

تجلید صالح الدقر
تلفون ۲۲۹۷۷

891.5109:A13kA

V.1

عبد القادر حامد

قصة الأرب الفارسي

MAR 16

JUL 19

Bew. 12

G48

891.5109

A13 kA

V.1

MAR 20 1965

17 Aug 65

10 MAR 1975

~~Feb 66~~

891.5109
A13 k A
V.1

قصة الأديب الفارسي

تأليف

حامد عبدالقادر

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة فؤاد الأول

الجزء الأول

ويشمل

تاريخ الأدب الفارسي

من مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية

مستند الطبع والنشر

مكتبة مخضرة مصر بالجيزة

مطبعة لجنة البَيان العربي

إشباع مصطفى كامل باشا بطاوعلى



(۱)

مفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

و بعد فإن من يعتزم تأليف كتاب في اللغة الفارسية وآدابها لرجال اللغة العربية وآدابها ليس في حاجة إلى أن يجهد نفسه في تبرير عمله ؛ فإن العلاقة بين الفارسية والعربية لم تكن موضع شك أو تساؤل بين علماء اللغات ، كما لم تكن العلاقة بين الثقافتين الفارسية والعربية موضع شك أو تساؤل بين علماء التاريخ . ولم يكن منشأ هذه العلاقة — كما قد يظن بعض الباحثين — هو دخول الإسلام بلاد إيران ، وامتزاج الشعبين الفارسي والعربي بعد أن فتح المسلمون بلاد فارس ، بل إن العلاقة بين اللغتين الفارسية والعربية قديمة قدم مجاورة بلاد العجم لبلاد العرب .

وإن التاريخ ليسجل وجود علاقات سياسية ، وروابط تجارية واجتماعية بين هذين الشعبين قبل ظهور الإسلام بقرون لا يعلم عددها على وجه اليقين ؛ ذلك لأن المجاورة الإقليمية تستتبع وجود صلات سياسية وتجارية واجتماعية ، وهذه الصلات تقضى بحكم الضرورة بوجود صلات لغوية .

يقص التاريخ أن الإسلام قد ظهر والمناذرة يحكمون الحيرة وما حولها من بلاد العراق بالنيابة عن أكاسرة الفرس ، وحين كان مرازمة الفرس يحكمون بلاد اليمن باسم ملوك فارس ، وحين كانت طائفة من الجوس يسكنون هجر .

ويروى التاريخ أيضاً أن بهرام گور الذى توج ملكاً على فارس سنة ٤٢٠ م تربي في بلاد العرب ، وأنه كان يجيد العربية نثراً وشعراً ، وأنه استعدى العرب على بعض الخارجين عليه فأعانوه على إخضاعهم^(١) .

وإن هذه الأحداث التاريخية وغيرها لتدل على ما كان بين العرب والفرس من صلوات قبل الإسلام ، وتميط اللثام عن السر في تسرب كثير من الكلمات الفارسية إلى اللغة العربية في العصر الجاهلى . وجاء الإسلام ونزل القرآن وقد صقلت هذه الكلمات بالصيقل العربى ، ودخلت فى كيان اللغة العربية فاستعمل القرآن بعضها ، مثل سندس واستبرق ، لا على أنها أعجمية ، بل على أنها كلمات عربية الصبغة ، والصيغة .

غير أن صلة العرب بالفرس والعربية بالفارسية قد بلغت منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد إيران ، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الإيرانية ، وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة ، موطدة الأركان ، شائخة البيان كان للمسلمين من الفرس فى بنائها النصيب الأوفر . ذلك لأن الفرس لما اعتنقوا الإسلام اضطروا إلى تعلم العربية ليتخذوها وسيلة لفهم الدين الجديد ، وظلوا حيناً من الدهر ولغتهم القومية هى اللغة العربية ، التى حلت محل اللغة الفهلوية : لغة الإيرانيين فى العصر الساسانى .

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٧٤ وما بعدها — المطبعة الحسينية . ولباب الألباب

ج ١ ص ١٩ وما بعدها .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري أخذت القومية الفارسية تستيقظ وتحيا ، وتحيا بحياتها اللغة والآداب الفارسية ، ومن ثم نشأت اللغة الفارسية الحديثة التي تمتاز بأنها تكتب بالحروف العربية ، وبأنها اقتبست من العربية عدداً لا يكاد يحصى من الكلمات والعبارات . وكان من آثار اختلاط الفرس بالعرب وتعلمهم اللغة العربية أن دخلت العربية في عصر ازدهارها كلمات فارسية بعد أن اصطبغت بالصبغة العربية . وأن تأثر الشعر الفارسي بالشعر العربي في كثير من نواحيه ، وتأثر الشعر العربي بالشعر الفارسي في أغراضه ومعانيه ، وأساليبه البيانية ، ومحسناته البديعية .

وكثر بين الفرس من أتقنوا العربية ، وأجادوا الشعر والنثر الفني باللغتين . وكان منهم من برع في ترجمة الشعر العربي إلى شعر فارسي وبالعكس ، كما كان منهم من برع في نظم الملهعات ، وهي قصائد يتوخى فيها الشاعر أن يأتي بيت بالعربية وآخر بالفارسية مع التزام البحر والروى والموضوع .

فليس بعجيب أن يُعنى رجال العربية بدراسة اللغة الفارسية وآدابها ، وإنما العجب كل العجب أن يظل الإخصائيون في اللغة العربية هذه القرون المتطاولة غير مهتمين بالفارسية وآدابها .

وإن دراسة الفارسية لا تعنى أدباء العربية فحسب ، ولكنها تعنى أيضاً

الإخصائيين في دراسته التاريخ الإسلامي ؛ ذلك أن تاريخ إيران الإسلامية ، وتاريخ الدويلات والدول الفارسية ، وتاريخ المغول الذين حكموا إيران وما حولها — هذه كلها من صميم التاريخ الإسلامي ، وليس من الممكن دراستها على الوجه الأكمل إلا بالرجوع إلى أمهات المراجع الفارسية الضخمة ، التي ألفها مؤرخو الفرس ، وعرضوا فيها تواريخ تلك الدول والدويلات عرضاً تفصيلياً لا نجد له نظيراً في المؤلفات العربية .

وخلاصة القول أن دراسة الفارسية تعنى رجال العربية من ثلاث نواح ، أما الأولى : فهي الناحية اللغوية ؛ إذ أن من يدرس الفارسية يستطيع أن يعرف الكلمات الفارسية الدخيلة في العربية ، وأن يردّها إلى أصولها . وأما الثانية : فهي الناحية الأدبية ؛ فإن من يدرس الآداب الفارسية الحديثة يعرف معرفة يقينية مباشرة كثيراً من المنابع التي استقى منها أدباء العربية أفكارهم وأساليبهم البيانية . وأما الثالثة : فهي الناحية التاريخية ؛ إذ أن من يلم بالفارسية يستطيع أن يتخذها وسيلة فعالة للكشف عن كثير من مجاهل التاريخ الإسلامي ، ويستغنى بها عن كثير من المراجع الأوروبية التي نقلت عن هذه المراجع الشرقية .

لهذا كله شعرت منذ أن توليت تدريس الفارسية وآدابها بدار العلوم أن الحاجة ماسة إلى وضع مؤلف بالعربية في آداب هذه اللغة ، فشرعت منذ عدة سنوات في تأليف هذا الكتاب الذي أقدمه الآن إلى قراء العربية عامة ، وإلى المُعَنِّين منهم بدراسة الفارسية بوجه خاص . ويُعنى هذا الكتاب بالناحية الثانية من

النواحي الثلاثة الآنف الذكر ؛ فهو يعرض عرضاً تفصيلياً — نوعاً ما — الأدب الفارسي ، في عصوره المختلفة ، مع مزيد اهتمام بالنصوص الأدبية الفارسية ، وبيان ما انطوت عليه من معان وأغراض .

ومع أني أعطيت لنفسى الحرية التامة في تأليف الكتاب ، ولم أتقيد بقيود الترجمة فإنى قد سلكت مسلك العلامة إدوارد براون ؛ إذ اقتبست طريقته التي اتبعها في تأليف كتابه القيم المسمى : « تاريخ أدبي لفارس ^(١) » ، فجعلت التاريخ السياسى لكل عصر مقدمة للتاريخ الأدبى ، ذلك لأنى رأيت أن التطور السياسى يؤدى فى الغالب إلى تطور فى اللغة والأدب ، وأن دراسة التاريخ السياسى تلقى ضوءاً على دراسة الأدب وتاريخه .

وقد بدأت بالحديث عن الأدب الفارسي فى عصر الدولة الأكمنية ؛ لأنه بداية التاريخ الإيرانى الذى يستند إلى وثائق أو آثار تاريخية ماثلة لا مجال للشك فيها . أما الحديث عن العصور السابقة لهذا العصر فيدخل فى باب رواية الأساطير الإيرانية الهندية ، التى لا تستند فى مجموعها إلى أسس تاريخية حقيقية ، فهى لذلك موضع شك وتساؤل .

بيد أن الحديث عن هذه الأساطير لا يخلو من فكاكة وممتعة ، والإلمام بها قد يعين من يقرأ الشعر الفارسي الحديث على فهم ما عسى أن يجد فيه من إشارات تاريخية يرجع كثير منها إلى هذه الأساطير .

(1) A Literary History of Persia. by, Browne.

وقد جمع الفردوسى هذه الأساطير أو — على الأقل — الجزء الأكبر منها ، وصاغها فى أسلوبه الشعرى العذب فأبدع نظمها وأحكم نسجها فى كتابه الشاهنامه .
وإليك طرفاً منها أسوقها لك على سبيل التمثيل ، لتتذوق ما فيها من فكاكة ، وتدرى ما فيها من طرافة .

يروى الفردوسى فى الشاهنامه أنه قد حكم إيران قبل الإسلام أربع دول هى :
الدولة الپیشدادية ^(١) ، والدولة الكيانية ^(٢) ، وملوك الطوائف الأشكانيون
أو الأشغانيين (من الپارثيين) ، والدولة الساسانية .

أما البحث فى الدولة الأولى فخرج عن نطاق البحث التاريخى الحقيقى ،
فالحديث عنها لا يعدو أن يكون حكاية لأساطير شاعت بين الفرس والهنود ،
وذكرها الأبستاق : كتاب زرادشت المقدس ، الذى سنتحدث عنه فى الباب الأول .
وأما الدولة الكيانية فبعض ملوكها أسطوريون ، والبعض الآخر تاريخيون
يعدون من ملوك الدولة الأكمينية التى نتحدث عنها فيما بعد .

وأما ملوك الطوائف فتاريخهم يكتنفه كثير من الغموض ؛ إذ لم يذكر
الفردوسى منهم إلا بعض أسماء ، ولم يقص قصصهم بطريقة منظمة . والمعروف
عنهم أنهم حكموا إيران فى الفترة الممتدة من وفاة الإسكندر حوالى سنة ٣٣٠ ق م
إلى قيام الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م .

(١) پیشدادی پیش + داد + ی — أما پیش فعناها : مقدم أو أول ، وأما داد
فعناها : العدل أو القانون . والياء فى الآخر هى ياء النسب . وعلى هذا يمكن أن يكون
تعريب پیشدادى هو : أول عادل أو أول قانونى .
(٢) کیان : جمع كى ومن معانيها : الملوك .

والدولة الساسانية دولة تاريخية لا مجال للشك في وجودها . وهى التى ظلت تحكم إيران من بعد انتهاء حكم ملوك الطوائف إلى أن صارت البلاد جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية .

وأول ملوك الپیشدادیین هو گیومرت ، ویقرر مؤلف الأستاق أنه أبو البشر، الذى تسمیه الکتب المقدسة الأخرى آدم .

ومما یحکى عنه أنه کان یسکن الجبال ، ویلبس هو وقومه جلود السباع ، وأنه أرغم وحوش الفلاة على طاعته ، وأنه أول من سن للناس القوانين ، وأخرجهم من ظلمات الجهالة البهيمية .

ولم یخضع له فى أول أمره سوى أفراد قبيلته ، أما غیرهم فقد شقوا علیه عصا الطاعة ، فأعلن علیهم الحرب ، ولما قتل ابنه سیامک فى إحدى المواقع استعد هو نفسه لمحاربة أولئك العصاة ، وأخذ معه هوشنگ (أوشنج) بن سیامک . وكان یعاونہ فى حربہ ضد هؤلاء الشیاطین (دیوان) جمیع السباع التى خضعت لحکمه ؛ من نمور وضباع وفهود .

ولما دارت الدائرة على هؤلاء المردة قفل گیومرت راجعاً إلى بلخ (باختر) عاصمة ملکه ، وتنازل عن العرش لحفیده هوشنگ ، وسلك مسلك الزهاد ، وكانت مدة حکمه ثلاثین سنة .

وساس هوشنگ الملك بالعدل والحکمة ، وبنى كثيراً من المدائن الفخمة ، وفى أيامه كشف أمر النار ، وأمكن استخدامها . وعدها الملك نوراً من عند الله فأمر

رعاياه أن يعبدوها . وكانت مدة حكمه أربعين سنة .

وجلس على العرش بعد هوشنگ ابنه طهمورث الملقب بمقيد الشياطين (ديوبند) . وكان له وزير يسمى شيراسب ، الذي كانت حكمته وحسن سياسته من أسباب تغلب طهمورث على المردة المخالفين . وقيل إن طهمورث تعلم القراءة والكتابة بعدة لغات من الأسرى من هؤلاء المردة ، ثم أطلق سراحهم مكافأة لهم . وفي عهد طهمورث بدأت عبادة الأصنام . وكان السبب في ذلك أن وباء مهلكا انتشر بين رعاياه ، فأفنى عدداً عظيماً منهم ، فمن مات له قريب أو حبيب أقام له تمثالا يذكره به ، ويسليه عن فقدته ، وعلى مر الأيام والسنين تطورت هذه العادة وكانت سبباً في عبادة الأصنام .

وكانت ولايه طهمورث ثلاثين عاما .

وجلس على العرش بعد طهمورث ابن أخيه جمشيد . ويروى أن عادة شرب الخمر ظهرت في عهده ، وأنه علم الناس طرق الحديد ، ونسج الأقمشة — من الحرير والصوف والقطن — وتطريزها ، وأنه استخدم الشياطين العصاة في عمل اللبنة من الطين . كما يعزى إليه أنه أول من استخدم الرخام المصقول في إقامة المباني ، وأنه كشف صناعة تقطير العطور ، واستحدث فنون العلاج الطبي ، وابتكر فن بناء السفن .

ويقال إنه أول من جعل الرعية أربع طبقات ؛ الأولى : طبقة العلماء ورجال الدين ، والثانية : طبقة الكتاب ، والثالثة : طبقة الجنود ، والرابعة : طبقة أرباب الحرف والصناعات والفلاحين والتجار .

ويحكى الفردوسي عن الفلاحين : « أنهم لم يكرموا أحدا ، بل إنهم كانوا

يعملون في حقولهم ؛ يزرعونها ، ويحصدون زرعها ، ويأكلون ما تخرجه الأرض من نبات ، لا يؤذون أحدا ، ولا يتلقون الأوامر من أحد . وكانت ملابسهم متواضعة ، ولم تصل إلى آذانهم كلمات السب والتدح . وكانوا أحرارا في حياتهم ، يعدون الفلاحة حقهم الطبيعي ، ولم يكن لهم أعداء ، ولم تقم بينهم خصومات » .
 وكان جمشيد قويا مقداما ، وكان العالم في أوائل عهده عامراً مليئاً بالخير والسعادة ، ولكن غزته أوقعته في الغرور ، وأخذته بالأثم ، فادعى الألوهية ، وأمر رعاياه أن يقيموا له تماثيل ، وأن يسجدوا لهذه التماثيل اعترافاً بألوهيته .

فكان هذا العمل سبباً في اشمئزاز الرعية منه ، وغضبهم عليه ، فأناروا عليه الضحاك — وكان من نسل بيشداد : جد الأسرة الأكبر ، وقيل إنه كان ابن أخت جمشيد . وحرصه الثوار على أن يجرد جيشاً يغزوه إيران ، ويستولى على ملك جمشيد ، ففعل . ولما لم يجد جمشيد في نفسه مقدرة على مقاومة ذلك الجيش فر هاربا إلى الصحراء .

وقصة تجول جمشيد من الأساطير المشهورة ؛ إذ يروى أنه ذهب أولاً إلى سيستان ، وهناك رآته ابنة حاكمها فوقعت في شرك محبته ، فتزوج منها . ولكنه لما أحس أن عيون الضحاك يتعقبونه فرّ من سيستان إلى الهند ، ومن ثم إلى الصين ، ولكنه لم يفلت من أيدي هؤلاء الجواسيس ؛ فأنهم قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الضحاك ، وانتهى أمره بأن قتل قتلة عجيبة ؛ ذلك أن الضحاك أمر أن يشق جسمه نصفين بمنشار . ولم يكن هذا المنشار من حديد أو صلب ، بل كان عَظْمة سمكة ضخمة .

ويروى الفردوسي أن ولاية جمشيد استمرت خمسمائة سنة . كما يروى أن

زوجته لما يبلغها خبر قتله قتلت نفسها بتناول السم ، وتركت ولداً كان من نسله رستم البطل الفارسي المشهور .

ويدعى بعض المؤرخين من الفرس والعرب أن جمشيد هو سليمان بن داود ، ويقولون في معرض الاستدلال على ذلك : إن المباني الضخمة التي أقيمت حول مدينة بيرسپوليس لا يمكن أن تكون من عمل إنسان لم تعاونه الجن والشياطين ، وإن المعروف أن الجن لم يكونوا في خدمة أحد غير سليمان وجمشيد ، فلا بد أن يكون هذان الملكان هما اللذان أقاما هذه المباني بمعونة الجن والشياطين ؛ ولذا يسمون بيرسپوليس (اصطخر فارس) « تحت جمشيد » ، كما يطلقون على قبر كورش : « مسجد أم سليمان » ، ويسمون مكانا على قمة جبل قرب سهل مصرغاب « تحت سليمان » .

ويرى الفردوسي أن الضحاك عربي الأصل ، ويقول إنه كان طالما ، نمت على كتفيه حيتان تأكلان أنفخاخ الناس ، وقد بلغ من ظلمه أنه كان يرغم حاشيته على إحضار أنفخاخ الناس ليطعم بها حيتيه . وقد أغواه الشيطان أن يأكل لحوم الحيوان ثم الإنسان ، بدلا من الاكتفاء بأكل النبات — كما كانت عادة الناس من قبله .

وبعد أن حكم الضحاك البلاد نحو ألف سنة ثارت عليه رعيته البائسة المظلومة طلبا لحريتها ، وكان قائد الثوار حدادا اسمه « كاوه » ، وقد جعل من ميدعته الجلدية علما اتخذها رمزا للمطالبة بحرية الوطن . ونادى الثوار بأفريدون ابن آبتين — من نسل طهمورث — ملكا عليهم ، وانتهى الأمر بانتهزام الضحاك ووقوعه في الأسر .

وبستمر حكم أفريدون خمسين سنة كلها عدل وسعادة . وكان لهذا الشاه ثلاثة أولاد ، فخشى أن يدب بينهم الخلاف على الملك بعد وفاته ، فقسم المملكة بينهم ؛ فأعطى أصغرهم المسمى إيراج بلاد إيران ، فحنق عليه أخواه سلم أو شرم ، وطور أو طورخ ، لاعتقادهما أنه حظى بالنصيب الأوفر من المملكة ، فاحتلّا حتى قتلاه ، وحملّا جثته إلى أبيه ، فحزن عليه أشد الحزن . وكانت امرأة إيراج حاملا ، فولدت بعد قتله ولدا سمي منوچهر . فلما بلغ سن الرشد وعلم بما حدث لأبيه ، اقتصر له من عميه فقتلهما . وتنازل له جده عن الملك ثم توفي بعد قليل .

وأولاد أفريدون في هذه الأسطورة يقابلون أولاد نوح الثلاثة : ساما وحاما وياثا . وعن هذا التنافس والتحاسد التي نشأ بين أبناء أفريدون نشأت تلك الحروب الدامية التي وقعت بين الإيرانيين والآتراك بزعامة أفراسياب . رقد امتدت هذه الحروب إلى ما بعد العصر الأسطوري كما هو معروف .

وبعد وفاة منوچهر اضطربت شئون إيران ، وضعف أمرها فهاجمها أفراسياب ، واستولى عليها ، وكان عهده عهد ظلم وشقاء ، فقد خرب ما كان عامرا ، وردم كثيرا من الأنهار والقنوات .

وكان لمنوچهر ولد اسمه طهماسب غضب عليه فنفاه عن بلاده ، فأقام ببلاد الترك لدى ملك من ملوكهم اسمه « وامن » ، وتزوج من ابنته ، فولدت له ولدا سمي زو . وكان المنجمون قد أخبروا أباهما أن ابنتك هذه ستلد ولدا يقتلك ، فأمر بسجنها ، ولما تزوج منها طهماسب وولدت منه كتمت أمر ولدها .

ثم إن منوچهر رضى عن ابنه طهماسب ، فاستدعاه من منفاه ، واحتال طهماسب حتى أخرج زوجه وولده زو من السجن . وفي أثناء حكم أفراسياب لإيران ظهر

أمر زو هذا ، وانضم إليه مواطنوه . ولما شعر بالقوة ثار على أفراسياب ، وأخرجه من إيران بعد أن حكمها اثنتي عشرة سنة .

وكان زو محمود السيرة ، عادلاً في رعيته ، فعادت البلاد في عهده إلى أحسن مما كانت عليه ، وامتد حكمه ثلاث سنين .

ويسمى زو أحياناً باسم زاب ، ويقال إنه هو الذي حفر نهري الزاب في العراق ، وإنه أول من اتخذ ألوان الطبيعة ، وأمر بها وبأصناف الأطعمة . وباتهاء حكمه ينتهي عصر الدولة الپيشدادية .

— ٧ —

تولى ملك إيران بعد زاب كيقباد ، وهو رأس الأسرة الكيانية ، وهو من نسل منوچهر ، وفي عهده انتشر العدل ، وعم الرخاء . ويرتب مؤرخو الفرس والعرب ملوك الأسرة الكيانية على الوجه الآتي ، متأثرين في ذلك بالأساطير الإيرانية الهندية :

اسم الملك	مدة حكمه
١ — كيقباد	١٠٠ أو ١٢٦ سنة
٢ — كيكائوس قابوس (قمبیز ؟)	١٥٠ »
٣ — كيخسرو (كورش ؟)	٨٠ سنة
٤ — كي لهراسب	١٢٠ »
٥ — كي یشتناسب = گشتاسب	١٢٠ »
٦ — كي یهمن	١١٢ »

اسم الملك	مدة حكمه
٧ — سُخْمَانِي چهر ازاد (امرأة)	» ٣٠
٨ — دارا (داراب) بن بهمن	» ١٢
٩ — دارا الثاني بن داراب	» ١٤
١٠ — ثم فتح الإسكندر البلاد وحكمها	» ١٤

أما مؤرخو الفرنجة فيعتمدون على وثائق وروايات إغريقية ، ولا يتحدثون عن الدولة الكيانية ، وإنما يتحدثون عن الدولة الأخمينية على النحو الذي سنذكره في الباب الأول من هذا الكتاب .

ويروى الفردوسي أن عصر الدولة الكيانية قد ازدان في عهد كيقباد وكيكاوس وكيخسرو بوجه خاص بظهور خمسة من أبطال الفرس ، كان لهم شأن عظيم في الحروب ، وهم : زريمن وسام وزال ورستم وسهراب ، وينتمي هؤلاء إلى أسرة من أشرف سيستان وزابلستان .

وبعد رستم في مقدمة هؤلاء الأبطال ؛ إذ يرجع إليه الفضل في إخراج الملوك الآنف ذكرهم من مأزق حرجة ، وكان له بمعونة جواده المسمى رخش أو رخشاش شأن يذكر في مغامرات البطولة والحروب ، التي استمرت عدة قرون ضد الثائرين من الرعية ومن المردة المسمين بالشياطين .

وكان لرستم أخ يحقق عليه ، فدبر له مكيدة كانت سبباً في قتله ، بعد أن أبلى بلاء حسناً في تلك الحروب الدامية ، ونجح في مقاومة اسفنديار بن گشتاسب ، والقضاء عليه . وتعد وفاة رستم نهاية العصر القديم الأسطوري ، وبداية العصر القديم التاريخي . وكان لاسفنديار بن گشتاسب ولد يسمى بهمن ، وهو عينه أردشير الملقب

يدراز دست (الطويل اليد) ، ويظهر أمر بهمن ويعلو شأنه فيتوصل للجلوس على عرش فارس ، وتخلقه ابنته خمانى وتسمى هُمى وتلقب چهرازاد ، وغداة جلوسها على العرش وعدت رعيته بالعدل والإحسان ، قالت : بارك الله لنا فى الملك ، وجعل أفعالنا أفعال خير ، ولا أرى أحداً منا سوءاً .

ويقول العلامة براون^(١) إن خمانى هذه تزوجت أخاها « بهمن » ، وكانت المجوسية تبيح هذا الزواج — ولدت بعد وفاة زوجها وأخيها ولداً سُمى : داراب . وسُمى داراب (درآب) لأنها كانت أخفته وألقت به فى اليم ، فعثر عليه فى الماء (= درآب) .

ولعل المراد من بهمن زوج خمانى هذا هو بهمن دوخت بن بهمن ؛ فقد حُكى فى فارس نامه وتاريخ الطبرى أن أولاد بهمن بن اسفنديار هم : ساسان ودارا وخمانى وفرنك وبهمن دوخت .

ولما كان داراب صبياً فقد تولت خمانى الوصاية على العرش ، ويشعر أخوها ساسان لذلك بخيبة الأمل فيأوى إلى الجبال ، ويعيش مع الأكراد ، ويشغل برعى الماشية .

ويعتقد مؤرخو الفرس أن ملوك الدولة الساسانية ينتمون إلى ساسان هذا ، وأنهم لذلك هم ورثة ملك فارس الشرعيون بعد انقراض الدولة الكيانية ؛ ذلك لأن أردشير مؤسس الدولة الساسانية هو — فى نظرهم — من أحفاد ساسان ابن بهمن بن اسفنديار بن گشتاسب نصير زرادشت والزرادشتية ، وعلى هذا الأساس ادعى الساسانيون استحقاقهم لعرش فارس ، ونصبوا أنفسهم حماة للزرادشتية .

(١) راجع كتابه الآنف الذكر ص ١١٧ / ١

ترى مما تقدم أن الأسطورة في صورتها القديمة قد أهملت التحدث عن ملوك الطوائف ، وانتقلت من دارا الثانى ابن داراب إلى الدولة الساسانية ، التى حكمت فارس فى الفترة التاريخية ، التى توصف بأنها الفترة المتوسطة ؛ لوقوعها بين العصر القديم والفتح الإسلامى .

ولكن رواة تاريخ فارس من الإغريق والسريان والمصريين والأحباش والعرب والمحدثين من مؤرخى الفرس أنفسهم — وفى مقدمتهم الفردوسى والنظامى الكنجى — يضيفون حلقة أخرى إلى سلسلة تاريخ إيران ، تلك هى : حلقة فتح الإسكندر للبلاذ ، ثم قيام ملوك الطوائف الإشكانيين من بعده .

وينظر قدامى الإيرانيين إلى الإسكندر نظرة حقد وازدراء ، ولذا نجد فى الأساطير الزرادشتية أن الإسكندريوصف بأنه : « الإسكندر الرومى الملعون ، الذى يستهويه الشيطان فيخرب البلاد ، ويسفك دماء الأبرياء ، ويحرق بيرسپوليس عاصمة فارس ، ويقضى على كتب الزرادشتية المقدسة — التى قيل إنها كتبت بمداد من الذهب على اثنى عشر ألف قطعة من جلود البقر — وأخيراً يذهب الإسكندر إلى الجحيم بعد أن يقضى على نفسه بنفسه » .

هكذا تُصوّر الأساطير القديمة الإسكندر وفتحته لإيران ، ولكن الأمر ينعكس فيما بعد ، فينظر الإيرانيون إلى الإسكندر نظرة توقير واحترام ، ويدعون أنه إیرانى النسب ، فيزعمون أن دارا الأول طلب التزوج من ابنة فيليب ملك مقدونيا ، فأجيب إلى طلبه . ولكنه بعد أن يخالطها يغضب عليها ، ويطلقها

ويرسلها إلى أبيها ، ثم إنها تلد الإسكندر بعد عودتها ؛ فالإسكندر في نظرهم هو ابن دارا . ولكن فيليب يخفى ما أصاب كرامة ابنته من ملك إيران ، فيعلن أن الإسكندر هو ابنه من إحدى زوجاته .

و بناء على هذه الأسطورة الفارسية لا يعد الإسكندر معتدياً حين يستولى على عرش إيران من يد دارا الثانى أخيه لأبيه ، إذ أنه بذلك قد استولى على عرش أبيه الذى يستحقه ؛ لأنه أكبر أولاده .

وهناك رأى ثالث عن الإسكندر ، يحكيه النظامى الكنجى فى روايته « سكندر نامه » إحدى رواياته التى ضمنها كتابه « پنج گنج » أى الكنوز الخمسة المسماة « خمسة نظامى » .

وخلاصة هذا رأى أن الإسكندر المقدونى هو الملقب فى القرآن الكريم « بذى القرنين » وأنه كان معاصراً لموسى عليه السلام ، وأنه كان ملكاً يدين بعقيدة التوحيد ، وأن أرسطو — مثقفه التقى — أحسن تربيته ، فاتجهت همته السامية إلى استئصال العقائد الفاسدة التى كان يدين بها الإيرانيون الوثنيون .

أما عصر ملوك الطوائف الذى يسمى فى اصطلاح مؤرخى الفرنجة « عصر البارثيين » فلم يتحدث عنه مؤرخو العرب والفرس إلا قليلاً ، ومع أنه من الثابت تاريخياً أن الفترة التى بين وفاة الإسكندر وقيام الدولة الساسانية تمتد حوالى خمسة قرون ونصف قرن فإن بعض مؤرخى الفرس والعرب يجعلونها ٢٦٦ سنة فقط .

وقد فطن المسعودى إلى هذا الخطأ ، ونبه إليه ، وبين السبب فيه فى كتاب « التنبيه والإشراف » .

وخلاصة ما ذكره المسعودى فى ذلك أن أردشير بن بابك حين أسس الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م — أى بعد انتهاء حكم الإسكندر بخمسة قرون ونصف قرن تقريباً — وصلت إلى سمعه نبوءة كانت مسيطرة على أذهان الناس فى ذلك العصر ، مؤداها أن الديانة الزرادشتية والإمبراطورية الإيرانية ستنقرضان معاً بعد ظهور زرادشت بألف عام . ولما كان من المعروف أن زرادشت ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة فإن حوالى ثمانمائة وخمسين سنة من الألف السنة تكون قد انقضت عند قيام الدولة الساسانية ، ولم يبق منها إلا نحو مائة وخمسين سنة .

ولما كان أردشير يخشى أن تتحقق هذه النبوءة فلا يطول عهد أسرته فقد اقتطع من فترة حكم ملوك الطوائف ما يقرب من ثلاثة قرون ، وادعى أنه لم يمض من الألف السنة إلا ست وستون وخمسمائة سنة ، وبذلك لا تتحقق النبوءة قبل مضى أربع وثلاثين وأربعمائة سنة .

وهذا هو ما حدث فعلاً فإن يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين قتل سنة ٦٥١ أو ٦٥٢ م .

ويعزو المسعودى هذا التدليس التاريخى إلى نفوذ رجال الدين والسياسة من الفرس ويستدل بإمكان وقوعه بهذه الصورة على ما كان لهؤلاء الرجال من استبداد بشئون الدولة ، واستحواذهم على أسرارها ؛ لاختصاصهم بمعرفة القراءة والكتابة .

هذه هى خلاصة الأساطير المروية عن تاريخ إيران القديم قبل قيام الدولة

الساسانية كما يرويها مؤرخو المشاركة .

أما مؤرخو الفرنجة فلا يعتدون بمعظم تلك الأساطير ، بل يعتمدون في سرد تاريخ إيران على مصادر إغريقية ، وعلى وثائق وآثار قديمة دل البحث العلمى على صحتها ، ويقررون — لذلك — أن تاريخ إيران الحقيقى المعروف يبدأ بقيام الدولة الأخمينية .

— ١١ —

ولما كان الغرض من تأليف هذا الكتاب هو رواية قصة الأدب الفارسى فى عصوره المختلفة ، ولما لم يكن لدينا نصوص أدبية يعتد بها ويعتمد عليها أقدم من النصوص التى دونت فى عهد الدولة الأخمينية فإننا سنبدأ هذه القصة بالحديث عن تاريخ الأدب الفارسى فى عهد هذه الدولة .

وبذلك تكون عصور الأدب الفارسى التى سنتحدث عنها هى : —

١ — العصر القديم أو العصر الأخمينى . ويمتد حوالى عشرين ومائتى سنة ؛ أى من سنة ٥٥٠ إلى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد . ويمثل الأدب فى هذا العصر النقوش المدونة بالخط المسمارى ، ويطلق على لغة هذه النقوش دون غيرها « اللغة الفارسية القديمة » .

ولأن الزرادشتية كانت مزدهرة فى هذا العصر رأينا من المناسب أن نتحدث — بعد الكلام على لغة النقوش — عن الزرادشتية والأبستاق : كتابها المقدس .

٢ — العصر الساسانى أو العصر المتوسط . ويمتد نحو ست وعشرين وأربعائة

سنة ، أى من سنة ٢٢٦ م إلى سنة ٦٥٢ م .

ويمثل الأدب الفارسى فى هذا العصر النقوش المدونة على التماثيل والأوسمة والجواهر والخواتم والنقود ، ومؤلفات أدبية تكاد تساوى فى حجمها العهد القديم . وهى كلها فى الديانة الزرادشتية والأساطير القديمة .

وإذا جردت لغة هذا العصر من نظام الطلاسم المسمى نظام الهزوارش كانت قريبة الشبه باللغة الفارسية الحديثة — إذا جردت من العناصر العربية . وتسمى لغة هذا العصر عادة « اللغة الفهلوية » كما تسمى أحياناً « الفارسية المتوسطة » .

٣ — العصر الإسلامى : ويبدأ باستقلال الأوطان الفارسية فى العصر العباسى ، ونهضة اللغة والآداب الفارسية فى نهاية القرن التاسع الميلادى وأواخر القرن الثالث الهجرى ، ويمتد إلى العصر الحاضر . وتسمى لغة هذا العصر : « الفارسية الحديثة » التى تكتب بالحروف العربية ، وتتضمن كثيراً من العناصر العربية .

ولما لمست شدة حاجة الطلاب إلى كتاب يعرض تاريخ الأدب الفارسى فى هذه العصور ، ووجدت أن الوقت لا يتسع لدراسة هذا الأدب على سبيل الإسهاب والتفصيل ، رأيت أن أسلك فى دراستى مسلكاً وسطاً بين الإيجاز والتفصيل ، كما رأيت — مراعاة لظروف الطباعة والنشر فى هذا العصر — أن أصدر الكتاب فى ثلاثة أجزاء : يخصص أولها بدراسة الأدب الفارسى من مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية ، وثانيها بدراسة هذا الأدب من مبدأ الدولة السلجوقية ، إلى نهاية العصر المغولى ، وثالثها بتاريخ الأدب الفارسى فى العصور الباقية ؛ أى

من قيام الدولة الصفوية حتى العصر الحاضر .

والآن أستخير الله تعالى ، وأصدر الجزء الأول ، راجياً منه سبحانه المعونة

وحسن الجزاء .

حامد عبد القادر

أستاذ الدراسات السامية والشرقية وفقه اللغة
كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

القاهرة في { رمضان المعظم سنة ١٣٧٠ هـ
يونية سنة ١٩٥١ ميلادية

(ب)

العصر القديم

الأدب الفارسي في العصر القديم

١ — تمهيد تاريخي

من المعروف أن الشعب الذي يسكن بلاد إيران في الوقت الحاضر هو أحد الشعوب المسماة بالشعوب الهندية الأوربية أو الآرية . ويسمى هذا الشعب بالشعب الإيراني . وأنت ترى مشابة لفظية قوية بين الإيرانيين والآريين ؛ فليس من البعيد أن تكون الكلمة الأولى تحريفاً للثانية .

أما تسميتهم بالفرس فترجع إلى أن ملوك إيران حين اتجهت أنظار مؤرخي الإغريق إلى بلادهم كانوا يسكنون مقاطعة پارس أو فارس أو فارسستان ، التي يسميها الإغريق : پيرسيس Persis .

واللغة الإيرانية قريبة الشبه باللغات الأوربية القديمة ، وبالجموعة السنسكريتية من مجموعات اللغات الهندية ؛ ولذا كانت هذه اللغة إحدى اللغات الهندية الأوربية ، كما أن الشعب الإيراني أحد الشعوب الهندية الأوربية .

ويرجح المؤرخون أن الإيرانيين نزحوا إلى بلادهم التي يسكنونها الآن من إقليم بحر الخزر سائرين من الشمال إلى الجنوب ، ثم مارين بحوضي سيحون وجيحون ، تاركين من ورائهم القبائل الهندية الأوربية الأخرى .

الدولة الأكمنية — الأخمينية — الهخامنشية

يستفاد من بعض الأساطير أن بعض القبائل الإيرانية الأولى أسست لها

ملكاً في باكتيريا (بلخ) في أعماق الماضي البعيد . ولكن العصر التاريخي الإيراني يبدأ حين يحدثنا التاريخ عن الميديين ، الذين ظهر شأنهم في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، واتجهت أنظار الآشوريين إليهم .

والميديون أو الماديون من القبائل الآرية ، وكانوا يسكنون الإقليم المسمى الآن بلاد الجبل (قهستان = كوهستان) أو العراق العجمي ، بين أصفهان وبحر قزوين . ومن المرجح أنهم كانوا يستخدمون لهجة إيرانية تشبه الفارسية القديمة ^(١) .

أما إقليم فارس فلم يظهر له شأن في التاريخ إلا في عهد كيروش أو كورش الأكبر (٥٥٨ — ٥٣٠ ق م) الذي قضى على الميديين سنة ٥٤٦ ق م ، واستولى على بابل وتوابعها سنة ٥٣٨ ق م ، وسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم ، وكان يختصر الكلداني قد استولى على دولتهم التي كانت تسمى يهودا ، وخرب هيكلهم للمرة الأولى سنة ٥٨٦ ق م وأسر الأغلبية الكبرى منهم ونقلهم إلى بابل .

وقد أسس كورش بإقليم فارس الدولة الهاخمينية (نسبة إلى هاخمين أو هاكين جدهم الأكبر) وجعل فارس (بيرسيس) عاصمة ملكه .

ولما قام به كورش من جلائل الأعمال يلقب بكورش الأكبر ، وبمؤسس الدولة الفارسية .

تولى الملك بعد كورش ابنه قمبيز فاتح مصر سنة ٥٢٥ ق م ، ثم دارا الأول (٤٨٥ — ٤٢١) ق م . وقد اقتفى دارا أثر كورش فعمل على استتباب الأمن في البلاد ، واستولى على البنجاب ، وبلغت الإمبراطورية الإيرانية في عهده أوج عظمتها . جاء بعد دارا الأول ملوك كانت لهم منزلة ثانوية هم أرتخششا ، ثم أرتخشيارش

(١) براون : تاريخ أدبي لفارس ج ١ ص ٢٢ — ٢٣

الأول ، ثم دارا الثانى ، ثم أرتخشيارش الثانى ، ثم أرتخشيارش الثالث ، ثم دارا الثالث . الذى فى عهده سقطت إيران فى يد الإسكندر المقدونى الأكبر سنة ٣٣٠ ق م ، وقضى على الدولة الأخمينية القضاء النهائى .

٢ — الفارسية القديمة

تدل بعض النقوش الأثرية التى عثر عليها فى فارس على أن عصر الأدب الفارسى القديم بدأ فى عهد دارا الأول ، واستمر فى عهد خلفائه من بعده . وتتضمن هذه النقوش أوامر ، وتعليمات ، وبيانات ملكية . ويلاحظ أنها — مع كونها كثيرة متنوعة — تكاد تكون ذات طابع وأسلوب واحد ، ولا تزيد مادتها اللغوية كثيراً على أربعمائة كلمة .

وتمثل لغة هذه النقوش اللغة الفارسية القديمة ، وأهمها نقش بهستون^(١) وهى على ثلاثين ميلا من كرمانشاه ، على الطريق الرئيسى إلى خراسان ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٤٥٦ متراً .

وما عليها من نقوش قسمان ، أحدهما : صور تمثل انتصار الملك ، وخضوع الملوك الآخرين وجنودهم له ، وثانيهما : عبارات كتبت بالخط المسمارى بثلاث لغات هى : الفارسية القديمة ، والكلدانية أو الآشورية ، والميدية . وإليك ترجمة بعض هذا النص اللغوى :

(١) وقد عثر على نقوش فارسية قديمة أخرى فى اصطخر والوند (جبل مرتفع فى همدان) والسوس (بلدة بنجوزستان) وآسيا الصغرى ومصر .

« يقول دارا الملك : هذا ما تم على يدى بيا بل . يقول دارا الملك : هذا ما فعلت بفضل أهورا مازدا ، فى السنة نفسها التى توليت فيها الملك ، واشتركت فى تسع عشرة حربا ، بفضل أهورا مازدا اشتركت فى هذه الحروب ، وأخضعت تسعة ملوك ، كان منهم ملك اسمه گوماتا ، مجوسى كذب ، وقال أنا باردیا بن كورش ، وأثار أهل فارس علىّ ، وكان منهم نیودینتو بعل بابل ، كذب وقال أنا بختنصر بن نابونائید ، وأثار أهل بابل علىّ . يقول دارا الملك : أخضعت هؤلاء الملوك التسعة فى أثناء تلك الحروب . يقول دارا الملك : هذه هى الأقالیم التى ثارت ، وكان الكذب هو الذى جعلها تنثور ، وكذلك كان هؤلاء الملوك هم الذين خدعوا الشعوب ، ثم أسلمهم أهورا مازدا إلى یدى ، ففعلت بهم ما أردت . »

وهذا النقش مع كونه وثيقة تاريخية خطيرة الشأن يُرجع إليها فى معرفة كثير من أحوال فارس فى عهد دارا الأول ، فإن له قيمة لغوية لا تقل عن قيمته التاريخية ؛ فقد كان حل رموزه وسيلة لمعرفة الخط الكلدانى المسمارى أو السنانى ، الذى كان يستخدم فى إيران فى ذلك الوقت . وقد أمكن بمعرفة هذا الخط الكلدانى الكشف عن كثير من أخبار البابليين والآشوريين .

ويرجع الفضل فى إنجاز هذا العمل الجليل الشأن — وهو حل رموز هذا النقش — إلى طائفة من علماء الآثار الإنجليز ، على رأسهم السير رولنسن ، والعلامتان كنج ، وتمسون الذى صعد إلى الصخرة المذكورة ، ودون النقش مرة أخرى سنة ١٩٠٤ م وبذلك تأكد العلماء منه ومن حله بصفة نهائية .

٣ — حالة إيران الاجتماعية في العصر القديم

تدل الدلائل التاريخية على أن الشعب الإيراني كان في عهد الدولة الأخمينية شديد البأس ، مهيب الجانب ، مولعاً بالحروب ، لا تلين قناته لغامز ، ولا يندفع إلى الشهوات ، ولا يحب اللهو واللعب ، ولا يميل إلى الشعر والأدب وغيره مما يثير العاطفة والوجدان .

٤ — الديانة الزرادشتية

يدل ورود اسم أهورا مازدا في النقش السابق ذكره على أن بعض الملوك وبعض الرعايا — على أقل تقدير — كانوا يدينون بالزرادشتية ، ويؤمنون بها ، وعلى أن هذه الديانة كانت في ذلك العصر منتشرة ثابتة الأركان . وقد اختلف المؤرخون في منشأ هذه الديانة — أى موطنها الأصلي ، كما اختلفوا في تحديد العصر الذي ظهرت فيه في العالم ، بل إن منهم من ينكر زرادشت^(١) نفسه الذي تنسب إليه هذه الديانة ، ويعده شخصية وهمية أسطورية ؛ مثلهم في ذلك مثل من ينكرون وجود هومر الشاعر الإغريقي القديم ، ومن لا يعترفون بوجود امرئ القيس زعيم شعراء الجاهلية العربية .

ومن يقولون بأن زرادشت شخصية تاريخية حقيقية اختلفوا فيما بينهم في

(١) يسمى هذا الرجل أحياناً ززادهشت وززادسترا . ويسميه صاحب الفهرست زرادشت ابن سبتان . وباللغات الأوربية يسمى Zoroaster . وتزعم بعض الأساطير أنه هو إبراهيم الخليل ، وأن الأبتاق هو الذي يسميه القرآن الكريم صف إبراهيم .

تحديد عصر ظهوره ؛ فمنهم من جعله مبدأ القرن السادس قبل الميلاد ، ومنهم من أوصله إلى مبدأ القرن الستين ق . م .

يبد أن جمهور المعاصرين من العلماء يرون أن زرادشت شخصية تاريخية ، وأنه عاش وظهر أمره في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد ، وأن موطنه الأصلي كان بناحية قريبة من آذرَبيجان الحالية . وسنزيد هذا الموضوع بياناً فيما بعد .

ويكاد يكون من المحقق الآن أن زرادشت كان في نظر قدماء الإيرانيين نبياً أوحى إليه أهورا مازرا ، وأمره أن يبلغ الناس رسالته .

وأساس الزرادشتية القول بوجود قوة عليا هي قوة الخير والنور ، وتسمى أهورا مازرا أى النور العظيم ، وبجانب هذه القوة سبعة ملائكة قدسيون يمثلون الفضائل السبعة العليا وهي : « الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل ، والإخلاص ، والأمانة ، والكرم » .

وبما أنه لا سبيل إلى الخير إلا بمقاومة الشر ، ومواصلة التغلب عليه فإن هذه الديانة تفرض وجود شخصية شريرة تسمى أهريمان — قوة الشر والظلام ، ويعاونها سبع من القوى الشيطانية الخبيثة المتدردة ، تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسية وهي : « النفاق ، والخديعة ، والخيانة ، والجبن ، والبخل ، وإزهاق الأرواح » . وبين هاتين الطائفتين من قوى الخير والشر صراع دائم ، ونزاع لا ينقطع ، وحرب أبدية ؛ إذ أن كلا منهما ترمى إلى السيطرة على العالم الإنساني . وفي وسط هذا النزاع الدائم وفي ميدان تلك الحرب المستعرة الأوار ينهض زرادشت ، ويذيع في الناس مبادئ ديانة ليست هادئة سلبية مستسلمة تدعن لقوى الشر والظلام ،

ولكنها ديانة إيجابية نشيطة ، قوامها : الجهاد والصراع في سبيل إخضاع قوى الشر .
وتعلن هذه الديانة أن على الإنسان واجباً أبدياً هو : أن يشهر حرباً لاهوادة
فيها تحت لواء قوى الخير ، وأن يظل يجاهد ويصارع أعداءها قوى الشر ، لكي
يصصرها ويقضى عليها القضاء النهائي في آخر الأمر .

ولا سبيل إلى هذا النصر النهائي إلا سبيلُ اليقظة المثمرة ، والتحفظ الدائم ،
والجهاد الدائب .

ولذا يهيب زرادشت بأتباعه أن يعقدوا العزم على اختيار الطريقين :
طريق الانضمام إلى قوى الخير ، وطريق الالتئام إلى شياطين الشر ، ويبين لهم أن
كل تقصير في اختيار مناصرة النور ، والإسراع إلى مقاومة عناصر الشر مقاومة
جدية نشيطة فعالة — يُعدُّ في نفسه استسلاماً لقوى الظلام الهدامة . وذلك بمثابة
إنذار صريح لكل من يتراخى في جهاده في سبيل الخير ، أو يقف موقفاً سلبياً
من مقاومة عناصر الشر .

وعلى من يختار طريق الخير أن يضع نصب عينيه الأمر المقدس الأسمى الذي
هو أول الأوامر وأولها بالطاعة ، ذلك هو : الخضوع التام لأهورا مازدا : إله النور
الأعلى ، والمبدأ الأول الخالد ، الذي لا يمكن أن يجد النقص إلى ذاته سيلاً ، وهو
خالق جميع الكائنات وعلى رأسها الإنسان ، الذي يحتل بين المخلوقات أعلى
الدرجات ، ويمتاز منها بما ركب فيه من روح خالدة مريدة حرة .

ولما كان من تعاليم زرادشت وعقائده الإلهية أن أهورا مازدا هو قوة روحانية

عليها مجردة من جميع شوائب المادة ، منزهة عن جميع أدران النقص ، لا يقوى على
إدراكها على حقيقتها عقل بشري ، ولا يستطيع استحضارها على صورتها الواقعية

خيال إنسانى ، ولما كان يعلم أنه ليس فى طاقة كثير من الناس أن يصلوا إلى تلك المرتبة الراقية ، التى هى عبادة قوة روحانية محضة مجردة من شوائب المادة — فقد رمز إلى هذه القوة الغيبية — التى لا تدركها الأبصار ، ولا تحيط بكنهها العقول ، ويعجز عن تصورها الخيال — برمزىن مشاهدين تقوى عقول الجمهور من أتباعه على إدراكهما ، ويستطيعون بالتفكير فىهما تصور صفات أهورا مازدا على وجه التقريب . هذان الرمزان هما : الشمس ، والنار . فالشمس تمثل روح أهورا مازدا على صورة يستطيع الناس إدراكها ؛ ذلك لما امتازت به من صفات تشبه صفات هذا المبدأ الأول ؛ فإنها كائن مشرق مضى ، يفيض الخير على جميع الكائنات ، وهى قوة لا تقاوم ، ولا تقوى نزعات الشر على الاقتراب منها ، والخط من قدرها ، والنقص من طهرها . هذا فى السماء أما فى الأرض فيمثل للناس تلك القوة العليا عنصر النار ؛ إذ أنها ليست عنصراً أولياً ساذجاً أبدياً أزلياً خصب ، ولكنها أيضاً قوة مُطَهِّرة مهلكة . ومن ثم يظهر لنا أن الزرادشتية لا تقوم — كما يزعم بعض الناس — على عبادة النار باعتبارها كائناً حياً مزوداً بحياة أو روح ، ولكنها تقوم على تقديس النار والشمس باعتبارهما رمزىن عظيمين لتلك القوة الواحدة التى لا تفقأ تفيض بالنور والرحمة ، والعطف والطهر ، وتعمل على إنقاذ الإنسان من البلاء . وإن الزرادشتية لتعدُّ الوثنية والإشراك الجريمة الكبرى التى تتضمن إنكار مبدءاً وحدة الواحد أهورا مازدا .

وتدور تعاليم زرادشت الدينية حول تقديس النار ، وقد حمل أتباعه تبعة الاحتفاظ بالشملة النارية مضطربة بالمعنيين : الرمزى الروحانى ، والحرفى المادى معاً ؛ ولذا كان من الواجب عليهم أن يطيعوا هذا الأمر ، ويظلوا يوقدون النار الخالدة

في صدورهم وفي معابدهم . وكان زرادشت نفسه — في أثناء سنوات رسالته —
يُجول في البلاد ليقم معابد للنار ؛ فكان يحمل الشعلة الموقدة من معبد إلى آخر ،
وبمجرد أن توقد النار في معبد يصبح من أهم الواجبات وأقدسها على رجال
الكهنوت من المجوس أن يعملوا دائبين على استمرار هذه النار مشتعلة ، فيأتوا
إلى المعبد خمس مرات في اليوم ؛ ليقدموا إلى النار وقوداً من قطعة من خشب
الصندل ، وليتلوا كل مرة عبارات دينية يدعون بها الناس إلى التفكير في الخير ،
والكلام الطيب ، والعمل الصالح . وتسمى هذه النصائح بالجواهر الثلاثة التي
تتضمن — على إيجازها — كثيراً من الفضائل والآداب .

وقد أسبغ المجوس على نار المعبد قدسية بالغة ، لدرجة أن كان على القسيس
أن يتلثم عند اقترابه من النار ؛ خشية أن يصل نفسه إليها فيلوثها . وكان يتذكر
حينما يدنو من هذه القوة الأرضية — التي ترمز لأهورا مزدا — أن هذا النور الفياض
ينبعث من النار ، ويملأ الفضاء الأبدى ، ويسير في طريقه حتى يصل إلى القوة العليا .
وكان من هذه النيران المشتعلة في جميع أنحاء إيران ثلاث نيران نُظر إليها
بنظرة قدسية خاصة ؛ فأما الأولى فهي نار العظمة الربانية ، التي كانت توقد بمعبد كابول ،
وأما الثانية فنار الأبطال ، وكانت تشعل في معبد على جبل أز نو ند على سواحل
جزيرة أورميا ، وأما الثالثة فنار العمال ، وكانت تشعل على جبل ريونت بخراسان .
ومن تعاليم زرادشت الخلقية أنه كان يرفع من شأن الجد والعمل ، ويضفي
عليه معنى قدسيا ؛ إذ كان يعده أفضل وسيلة للتقرب إلى الخالق ، والفوز برضاه ،
والنجاة من غضبه وسخطه . وكان ينوه بمنزلة القوة الفعالة المختارة في الإنسان ، التي
تحرره من ربة الذل والاستعباد . وكان يلفت أنظار أتباعه إلى فضل حياة

الاستقرار ، وبناء مواعد النار لإنضاج الطعام ، والعمل على استغلال الأرض ، والانتفاع بخيراتها .

وكان يرى أن تفرغ الإنسان لواجباته ، والتفانى فى أدائها — بكل إخلاص وأمانة — هو فى الواقع تهذيب للنفس جدير بأن يجنبها ظلمة الرذيلة وذنس الشر ، وأن فلاح الأرض ، والعكوف على إصلاحها واستثمارها — يقرب العبد من ربه — أكثر من صوم أو صلوات تؤدى فى خمول وكسل ، وأكثر مما يتبعه بعض من يسرفون فى الزهد ، ويغفلون فى تعذيب أنفسهم .

والخلاصة أن زرادشت كان يعد الجد والعمل رمزاً ظاهرياً لأداء المرء واجبه نحو ربه ، وأنه كان يعلق أكبر أهمية على الزراعة ، ويجعلها أفضل شعار لتقريب العبد من الخالق الأكبر ، والإقرار بفضلِه ؛ فهى بذلك مظهر أساسى من مظاهر العبادة . ولعل زرادشت كان فى حته على حياة الاستقرار والإقامة وفلاح الأرض متأثراً بما كان عليه الإيرانيون فى عصره ؛ فقد كانوا حديثى عهد بحياة البدو ، والتنقل فى السهول والأودية ؛ فأراد بتعاليمه هذه أن يحبب إليهم حياتهم الجديدة ، ويشجعهم على بذل جهودهم فى استغلال الأرض والانتفاع بخيراتها .

ولشدة رغبته فى أن يراعى الناس واجبات حياتهم الإنسانية أوجب على كل من يعبد أهورا مازدا أن ينظر إلى أربعة أماكن أو أوساط اجتماعية نظرة ملؤها الاحترام والتقديس ، أما الأول : فهو المعبد مع ما فيه من نار مقدسة ، وأما الثانى فهو المنزل وما فيه من أولاد ومواعد للنار ، وأما الثالث فهو الأرض التى تخرج الحب والفاكهة ، وأما الرابع فهو الأرض الجافة التى يجب أن تروى وتستغل ، أو المستنقعات التى يجب أن يصفى ماؤها ثم تصلح وتزرع .

يدل على ذلك ما نقرؤه في الوينديداد Vendidad — أحد الكتب المقدسة
في الأستاق — وهذا حيث يقول المؤلف :

« إن من يبذر الحب يبذر القدسية ، إنه يجعل ناموس « مازدا »^(١) ينمو
ويزداد رفعة وعلوا ، إنه يجعل بقدر طاقته ناموس مازدا يخضر ويزدهر ، إن عمله
هذا يساوى مائة عمل من أعمال محبة الله الخالق وعبادته ، ويعدل ألف عمل من
أعمال الابتكار والإبداع ، وعشرة آلاف عمل من أعمال التضحية » .

« وحينما ينمو الشعير تنزعج الشياطين ، وحينما يخرج الحب يغشى على
الشياطين ، وحينما يظهر القمح تهلك الشياطين ، وحينئذ لا يستطيعون الإقامة
في البيت ؛ فإن البيت الذى يدخله القمح تخرج منه الشياطين مذءومة مدحورة ؛
كأنما تكوى حلوقها بحديد محمى أحمر حينما يوجد كثير من الحب » .

ومن أهم التعاليم الدينية الخلقية الزرادشتية ثلاثة أوامر ؛ أما الأول فتجنب
الأكاذيب ، لأنها تعد شراً مستطيئراً ، وأما الثانى فهو الوفاء بالعهد وحفظ كلمة
الشرف ، وأما الثالث فهو تجنب الاحتكاك بالموتى أو الاتصال بهم ، فإن جثة
الميت أكبر خبث يلوث كل ما يتصل به .

(١) مازدا : مختصر أهورا مازدا .

٥ - الأَبَسْتاق

هو الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين ، ويسمى ^(١) بالعربية : أَبَسْتاق أو وستاق وبالسريانية أَبَسْتَاگَا ، وبالفارسية الحديثة أَبَسْتَا أو أوستا ^(٢) ، وقد سمي في نقوش صخرة بهستون « أَبَسْتام » وفي الفهلوية (أى اللغة الفارسية المتوسطة) أَوَسْتَاكُ (أو أَبَسْتَاكُ في رأى دار ميستيتير) .

ويرى بعض الباحثين (Andreas) أن هذه الكلمة مشتقة من أَبَسْتَا ، وهى كلمة فارسية قديمة معناها : سند أو أساس أو مُعين ، ويقول استناداً إلى ذلك إن معنى « أوستا » هو : النص الأساسى Ground Text وفى ضوء هذا البيان نستطيع أن نقول إن كلمة « متن » أنسب ترجمة لكلمة « أوستا » .

وقد اختلف العلماء فى تاريخ تدوين هذا الكتاب ، وفى تعيين موطنه الأسمى ، وفى اللغة التى دون بها — اختلافهم فى أمر زرادشت نفسه .

ويرجح بعض المحدثين من الباحثين — وفى مقدمتهم جيلدنر ^(٣) أن ظهور هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل سنة ٥٦٠ ق م ، وأن زرادشت كان معاصراً لكورش الأكمينى — وأن گشتاسب الذى نجح زرادشت فى جعله

(١) راجع كتاب براون ٧٨ ج ١ ، والفهرست لابن النديم ص ١٩ .

(٢) راجع : كتاب « زرادشت باستانی وفلسفهٔ او » بقلم ميرزا عبد المحمد خان إيرانى :

ص ١٠٩ وما بعدها .

(٣) Geldner اقرأ مقاله عن زرادشت فى الطبعة التاسعة من دائرة المعارف البريطانية

طبعة سنة ١٨٨٨ . ولزیدیان فى هذا الموضوع راجع كتاب براون الآنف الذکر ج ١ ص ٩٥ وما بعدها .

يعتق دينه هو أبو كورش هذا ، وأن ظهور الأبتاق كان في أول الأمر بإقليم
باكتيريا = باختر (بلخ) موطن زرادشت الأصلي .

ويكاد يكون من المتفق عليه أنه لم يبق من أقسام الأبتاق الواحد والعشرين
الأصلية إلا جزء واحد هو (الكاثا) الذي سيأتي الكلام عليه ، فهو القسم
الوحيد الباقي ، وهو الذي يعد أقدم ما وصل إلينا من نصوص الأبتاق القديمة .
وليس ذلك فحسب ولكنه يعد أيضاً متضمناً تعاليم زرادشت ، وكلامه الصادر
عن لسانه بالفعل .

أما أقسام الأبتاق الأصلية الأخرى فقد انقرضت وقضى عليها هي والزرادشتية
نفسها ، ولم يبق لهما أثر في الفترة الممتدة من فتح الإسكندر لبلاد إيران سنة ٣٣٠ ق م
إلى عهد ثولو جيسيس الأول البارثي (Vologses) (٥١ — ٧٨ م) . ويعزى
إلى هذا الملك أنه في مقدمة من شرعوا في تدوين الأبتاق في صورة جديدة ،
وقد اقتفى أثره في تكملة هذا العمل بجد ونشاط أردشير مؤسس الدولة الساسانية
(٢٢٦ — ٢٤٠ م) ، وليس من البعيد أن تكون نصوص أخرى قد أضيفت
إلى هذا الكتاب .

وقد بلغ ما تم تدوينه من قديم الأبتاق وحديثه في عهد الساسانيين واحداً
وعشرين قسماً — كما كانت عليه في العصر القديم . ويرغم ويست « West »
أن هذه الأقسام التي يتألف منها الأبتاق الساساني تحتوي على ٣٤٧ ألف كلمة ،
لم يبق منها إلا حوالي ٨٣ ألف كلمة أي نحو ربع الأصل .

أما لغة الأبتاق فيرى الباحثون من الألمان أنها كانت لهجة إيرانية شرقية
شاعت في باختر = بلخ ، موطن زرادشت في نظرهم . أما الباحثون من الفرنسيين

— وفي مقدمتهم دار ميستيتير Darmesteter وهوارت Huart — فيقولون أن لغة الأستاق الأصلية كانت لهجة آرية غربية هي لغة ميديا : موطن زرادشت والزراشتية في رأيهم .

وعلى هذا الرأي تكون الزرادشتية قد انتقلت من الغرب إلى الشرق ودخلت باختر دخول الفاتح المظفر ، بعد أن ثبتت أقدامها في ميديا . ويستدل دارميستيتير على صحة رأيه بما ذكره هيرودوت المؤرخ اليوناني المعروف من أن الميديين كانوا يسمون الكلب (سپاكا) ، وهذا الاسم قريب الشبه جداً بكلمة (سپان) الواردة في الأستاق اسماً لهذا الحيوان . أما كلمة سگك بمعنى كلب في الفارسية الحديثة فأخوذة على ما يظهر من كلمة (ساكا) الفارسية القديمة .

ويستدل على انتقال الزرادشتية من الغرب إلى الشرق بما ورد من أن المشاركة من الإيرانيين كانوا وثنيين متأثرين بالوثنية الطورانية التي كانت بلخ من مراكرها الهامة . وكان گشتاسب^(١) أبو كورش وثنياً يعبد إله الشر ، فلما دخلت الزرادشتية بلخ ، نجح زرادشت في أن يدخل فيها گشتاسب الملك .

ويتفق هذا الرأي في جملته وتفصيله مع رأي وليام جاكسون — الأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك — الذي شرحه في مؤلفه عن زرادشت نبي القدماء الإيرانيين^(٢) .

ويتلخص رأي جاكسون في هذا الموضوع وما يتصل به فيما يأتي^(٣) : —

١ — أن زرادشت شخصية تاريخية من قبيلة ماجي الميديية .

(١) يسميه ابن النديم « يستاسب » راجع : الفهرست ص ١٩

(٢) طبع في نيويورك سنة ١٨٩٩ م

(٣) يؤيد هذا الرأي العلامة براون . راجع كتابه الآف الذكر ص ٣٠

٢ — أن أمره قد ذاع وازدهر في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ؛ أى في عصر الميديين قبل ظهور الدولة الأكمنية ، ومات حوالى سنة ٥٨٣ ق م ، وسنه ٧٧ سنة .

٣ — أن موطنه الأصلي هو غربى إيران (ميديا) ، ولكن دعوته قد صادفت نجاحاً باهراً فى باكتيريا (= بلخ = باختر) حيث أفلح فى إدخال گشتاسب فى دينه .

٤ — أن سفر الگائا الذى يعد أقدم ما وصل إلينا من أسفار الأستاق يمثل تمثيلاً حقيقياً تعاليم زرادشت التى أذاعها وصدرت عن لسانه فى باكتيريا .

٥ — أن الزرادشتية بعد أن وطدت أركانها فى باكتيريا انتشرت فى سائر بلاد إيران ، وأنها انتشرت فى إقليم فارس فى أواخر العهد الأكمنى ، وإن لم يكن من المحقق تحديد الزمن الذى دخلت فيه هذه الديانة هذا الإقليم واعتنقها الملوك والرعية هنالك .

ومهما يكن من أمر الاختلاف فى هذا الموضوع فمن المتفق عليه أن لغة الأستاق القديمة كانت لهجة من اللهجات الإيرانية ، وأنها لم تكن مثل الفارسية القديمة لغة النقوش ، بل كانت أختاً لها .

٦ — الأbstاق الموجد الآن

قلنا ففما سبق أن الإسكندر الأكبر المقدونى هو الذى قضى على نسخة الأbstاق الأصلية حفنا خرّب بإعاز من قواده مدففة ڤفرفس ڤولفس عاصمة الأكمفنفف .

وفقول المسعودى إن هذه النسخة كانت مدونة بأحرف من ذهب على اثنى عشر ألف قطعة من نوع فاخر من الرق المصنوع من جلد الماغز أو البقر ، وإن الكتاب كله كان محزوماً محفوظاً فى قرار مكفن ؛ إذ كان الكتاب المقدس لى الإفرانفن .

وقد بفنا ففما سبق المساعى التى بذلت فى إحفاء هذا الكتاب . وقد اختلف البافئون فى تقدر نسبة ما بقى منه إلى ما كان عفله فى عهد الساسانفن ؛ فمن قائل إن ما بقى منه هو ربع الأصل كما قلنا من قبل ، ومن قائل إنه جزء واحد لا ففر من عشرفن جزءاً^(١) .

وفرجع الفضل فى الكشف عن بقافا الأbstاق إلى العلامة الفرنسى انكوتفل دوڤرون Anquetil Duperron الذى عاش فى أواخر القرن الثامن عشر المفلادى ؛ فقد عثر فى أثناء بحته فى المكتبة البودلفة^(٢) Bodleian على بعض أجزاء مخطوطة من الأbstاق ، فصمم على أن فتابع بحته للحصول على بقفة الأجزاء . وحنفا زار بلاد الهند وعاد إلى فرنسا أحضر معه ترجمة لما عثر عفله من باقى

(١) راجع كتاب : Oriental Philosophy. by Francis Grant P. 228.

(٢) مكتبة جامعة أكسفورد الشهفرة .

أجزاء الكتاب ، ولا تزال هذه الترجمة بالمكتبة القومية بباريس ، وتعد أول ما وصل إلى العالم الأوربي الحديث من معلومات عن هذا الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين .

ويتضمن كتاب الأستاق الموجود الآن سفراً واحداً كاملاً من الأسفار الواحد والعشرين التي تم تدوينها في العهد الساساني ، ذلك هو الونديداد ، في حين أن أربعة أسفار أخرى قد أدمجت في سفر اليسنا .

وتنحصر الأسفار الموجودة الآن المشتملة على التعاليم الأبساقية الدينية وغيرها في خمسة أسفار هي : —

١ — اليسنا Yasna . وهو قسم الأدعية والصلوات .

ويشمل الأدعية والصلوات والترنيمات والأغاني التي كانت تترتل في مدح مختلف الملائكة ، والكائنات الروحانية ، والكائنات المقدسة . ويتكون هذا القسم من اثنين وسبعين فصلاً تسمى (ها) وقد أدمج فيه الكاثا . الذي سبق الكلام عليه .

وإليك ترجمة بعض ما ورد في اليسنا : —

« النجاة لهذا الإنسان ! النجاة له مهما يكن ! ليتفضل عليه الخالق الأكبر ، والحاكم الأعظم ، الرب الحي ، القوتان الأبديتان . نعم ! إني أتوسل إليك يا أهورا أن تحمي حمي الهداية ، وعسى أن تتفضل فتمنحني إياها ، أنت يا من يبيت في النفوس التقوى التي لها من العظمة ما لها ، فهي النعمة المقدسة ، وهي حياة العقول الطيبة الصالحة » .

« إني أتصورك — أيها المعطى الأكبر مازدا — جميلاً حينما شاهدت أنك القوة

العليا (ذات الأثر الفعال) فى تطور الحياة ، وحينما رأيت أنك تكافى الناس على الأعمال والأقوال .

« لقد كتبت الشر (عقابا) على الشر ، وجعلت السعادة جزاء لمن يعمل الخير ، وذلك بفضلك (العظيم) الذى يظهر أثره حينما تتبدل الخليقة التبدل النهائى » .

ويتحدث زرادشت فى هذا السفر عن گشتاسب الملك ، ويرجو من أهورا مازدا أن يجزيه هو ومن دخل فى الزرادشتية الجزاء الأوفى على اعتناقهم الدين الجديد . وذلك حيث يقول :

« يامازدا أهورا : إني أتوسل إلى بركاتك وكرمك وعدلك أن تكافى من كانوا أوائل المسارعين إلى الانضمام إلى دين أهورا ، والدخول فى دار الأغاني القدسية ، وتجزئهم الجزاء الذى وعد به زرادشت من يدخل فى دينه ويحفظ عهده » .

٢ — الويسپرت^(١) (الويسپرد Vispered) .

يتكون هذا السفر من ٢٣ — ٢٧ فصلا تسمى كرده .

وليس سفراً مستقلاً قائماً بنفسه ، ولكنه يتألف من مجموعة من الترنيمات تشبه ما فى اليسنا تمام الشبه وتعد مكملة لها . وترتل هذه الترنيمات فى مناسبات خاصة .

٣ — الونديداد Vindidad . أى القانون المضاد للشياطين ، ويشبه سفر اللاويين فى التوراة فى أنه يبين التعاليم التى يخضع لها رجال الكهنوت من

(١) راجع : « كتاب زردشت باستانى وفلسفه » او « ص ١٥٢ .

الزرادشتيين ، ويتضمن وجهة النظر الزرادشتية نحو الوفاة والزواج وغيره من المشكلات الاجتماعية . ويتكون من اثنين وعشرين فصلاً يتحدث أولها عما خلق أرْمَزْد (أهورا مازدا) من الأراضى المباركة واحدة بعد الأخرى ، وعما خلق أهريمان (أهرو مينيوش) من الأراضى الخبيثة الشريرة معارضاً بذلك أرْمَزْد . وعلى أساس ما ذكر فى هذا الفصل قام النقاش حول ما كان يمتلك الإيرانيون أو يرثون من الأراضى فى عهد الأَبَسْتاق .

ومما يعرض له هذا السفر الأمور المتعلقة بالطهارة ، والنسل ، والنجاسة ، ونظافة الموتى ، وتطهير جثثهم ، والتوبة ، وتطهير الملابس والبدن ، وقص الأظافر والشعر .
٤ — اليشتات أو الترنيمات yashts ، وهى إحدى وعشرون ترنيمة منظومة ، تتلى فى مدح الملائكة المختلفة ، والكائنات الروحانية ، التى يسمى كل منها أنشَاسِپَند Anshaspand أو ايزد ، ويشرف كل منها على يوم من أيام الشهر الثلاثين ويسبغ عليها اسمه ، ولقد كان لكل كائن روحاني من هؤلاء ترنيمة تتلى باسمه ، وبما أنه لم يبق من هذه الترنيمات إلا واحدة وعشرون فالظاهر أن تسعاً منها قد فقدت ، أى أن ما بقى منها هو نحو ثلثى الأصل .

٥ — الخورده أوستا . أى الأَبَسْتاق الصغير ، وهو سفر فى الأدعية والصلوات يتلوها عامة الشعب . وقد دونها فى عصر متأخر الكاهن الزرادشتى آذرپاذ مَهَرَسِپَند Adharpadh mahraspand فى عهد أردشير الثانى (٣١٠ — ٣٧٩م) ويتكون معظمها من مختارات من الأَبَسْتاق كلها وبلغتها ، ويتكون الباقى من عبارات كتبت بلغة الپازند (لهجة آرامية كانت تستعمل فى شرح الزَند)^(١) .

(١) راجع كتاب براون ١ : ٨١ ، ٨٢ .

وتشمل الخورده :

- (١) الأدعية الخمسة (نيايش Nyayish) وهى أدعية موجهة للشمس والقمر وميثرا (mithra) وعبقريّة الماء ونار بهرام .
- (ب) الكائنات الخمس (ح) أدعية الأيام الثلاثين (سيروزه) الأكبر والأصغر منها (د) التبريكات الأربع (آفرينگان Afringān) .
- ونجد بالخورده الآداب والرسوم الدينية ، كالدعاء ، والصلاة ، والطاعة ، — والعادات التى كانت تتبع فى الأعياد الدينية — والمباحث المتعلقة بعقد الرواج والزفاف وما إليها .
-

(ج)

العصر المتوسط

العصر المتوسط

١ — تمهيد تاريخي

الدولة الساسانية :

العصر المتوسط هو العصر الثاني من عصور الأدب الفارسي أو اللغة الفارسية . ويسمى أيضا بالعصر الساساني . ويمتد من قيام الدولة الساسانية على يد اردشير بن بابك سنة ٢٢٦ م إلى سقوط هذه الدولة على يد العرب في عهد يزيد جرد الثالث سنة ٦٥٢ م .

كان على يد هذه الدولة إحياء الوطنية الفارسية باستخلاص الملك من أيدي البارثيين ، وإعادة الديانة الزرادشتية إلى مجدها الأول ، وإحياء ما درس من كتابها المقدس كتاب الأبستاق على النحو الذي شرحناه ، فيما سبق . وإليك بياناً موجزاً لملوك هذه الأسرة ومدة ملك كل منهم ^(١) :

عدد	اسم الملك	مدة ملكه	عدد	اسم الملك	مدة ملكه
س	ش	م	س	ش	م
١	اردشير بن بابك	١٤	٦	بهرام الثالث	٤
٢	شاپور بن اردشير	٣٠	٧	ابن بهرام الثاني	٩
٣	هرمز بن شاپور	١٠	٧	نرسی أخو	٩
٤	بهرام بن هرمز	٣	٧	بهرام الثالث	٩
٥	بهرام بن بهرام	١٧	٨	هرمز بن نرسی	٥

(١) اعتمدنا في هذا البيان على ما رواه الدينوري واليعقوبي والطبري وابن الأثير على اختلاف فيما بينهم ، ويكاد يكون من المحقق أن هؤلاء لم يتبعوا الدقة في تحديد هذه المدد .

عدد	اسم الملك	مدة ملكه
٩ —	سابور ذو الأكتاف ابن هرمز	س ٤٩ ش — م —
١٠ —	أردشير أخو ذي الأكتاف	س ٤ ش — م —
١١ —	سابور بن ذي الأكتاف	س ٥ ش — م —
١٢ —	بهرام کرمانشاه بن ذي الأكتاف	س ١١ ش — م —
١٣ —	يزدجرد الأثيم ابن کرمانشاه	س ٢٢ ش ٥ م ١٦
١٤ —	بهرام جور بن يزدجرد الأثيم	س ١٨ ش ١٠ م ٢٠
١٥ —	يزدجرد الثاني ابن بهرام الخامس	س ١٨ ش ٤ م —
١٦ —	فيروز بن يزدجرد الثاني	س ٢٦ ش — م —
١٧ —	بلاش بن فيروز	س ٤٤ ش — م —
١٨ —	قباد بن فيروز	س ٤٣ ش — م —
١٩ —	جاماسب بن فيروز	
٢٠ —	كسرى أنوشروان بن قباد	س ٤٨ ش — م —
٢١ —	هرمز بن أنوشروان	س ١٩ ش ٩ م —
٢٢ —	أبرويز بن هرمز ^(١)	س ٣٨ ش — م —
٢٣ —	شبرويه بن أبرويز	س — ش ٨ م —
٢٤ —	أردشير بن شبرويه	س ١ ش ٦ م —
٢٥ —	شهریار فرخان ^(٢)	س — ش — م ٤

(١) لمضي ٣٢ سنة و ٥ أشهر و ١٥ يوما من حكم أبرويز هذا هاجر النبي (ص) من مكة إلى المدينة .

(٢) لم يكن شهریار هذا من البيت الساساني .

عدد	اسم الملك	مدة ملكه س ش م
٢٦ —	بوران بنت أبرويز	١ ٤ —
٢٧ —	خشنشبنده ^(١)	أقل من شهر
٢٨ —	أرزميدخت بنت أبرويز	٦ —
٢٩ —	كسرى بن مهرجنس من نسل أردشير بن بابك	عدة أيام
—	أو خرزاد خسرو من ولد أبرويز	٦ —
٣٠ —	فيروز بن مهران جنس ويسمى جنسبنده ^(٢)	— —
٣١ —	يزجرد الثالث ابن شهریار بن أبرويز	٢ — —
ظهور أردشير مؤسس الدولة الساسانية :		

يروى في أمر ظهور الدولة الساسانية أنها تنسب إلى ساسان بن بهمن بن اسفنديار أحد ملوك الدولة الكيانية ، وأن أول ملوكها هو أردشير بن ساسان ، وأن ساسان هذا كان يرعى الماشية في خدمة بابك أمير فارس . ورأى بابك في نومه أن ساسان هذا من نسل الملوك وتحقق من صحة رؤياه ، فأكرم ساسان ورفع من قدره ، وزوجه من ابنته ، فولدت له أردشير .

وظهرت على أردشير منذ حداثة ، علامات النجابة والذكاء ، فتبناه^(٣) بابك

(١) خشنشبنده من بني عم أبرويز الأبعدين .

(٢) جنسبنده هو ابن صهاربخت بنت يزدان بن أنوشروان ، وكان ضخم الرأس فلما وضعوا التاج على رأسه قال : ما أضيق هذا التاج ! فتشاءموا منه فقتلوه في الحال ، وقيل بعد أيام .

(٣) هكذا يقول براون ، ولكن مورخى العرب يقولون إنه أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وهنا يختلفون فيقول ابن الأثير إن ساسان الأصغر هذا هو ابن بابك بن ساسان بن =

ومن ثم سمي أردشير بن بابك . ولما علم أردوان آخر ملوك الطوائف من البارثيين
بنجابه أردشير وشجاعته ونبل أخلاقه استدعاه إلى قصره بالرى ، وأحسن إليه ،
وقربه لديه ، وجعله كأحد أبنائه .

وذات يوم خرج أردوان للصيد ومعه أحد أبنائه وأردشير ، وفي أثناء الصيد
رمى أردشير رمية صائبة كانت موضع إعجاب أردوان ، وادعى ابن أردوان أنها
رميته ، فكذبه أردشير . وسمع الملك بذلك فغضب على أردشير وعزله من منصبه
في القصر ، وأمر أن يجعل رئيس الاصطبلات .

وعلمت بذلك حسناء محظية لدى الملك^(١) ، فعظفت على أردشير ، وأعدت
جوادين سريعين ، وفرت عليهما هاربة مع أردشير إلى فارس ، وحاول أردوان
اللاحق بهما فلم يستطع .

بعد ذلك ظهر أمر أردشير وأعلن استقلاله بفارس ، وجرد جيشاً هزم به
أردوان وابنه ، ومن ذلك التاريخ تأسست الدولة الساسانية . وكان ملك أردشير
من سنة ٢٢٦ م إلى سنة ٢٤٠ م .

وكان أردشير قد تزوج من محظية الملك أو ابنته فولدت له ولداً هو سابور
الذي تولى الملك بعد أبيه أردشير .

== بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار . ويقول الدينورى إن ساسان الأصغر هو
ابن فافك بن مهرمس بن ساسان الأكبر ابن بهمن بن اسفنديار . ويذكر الطبرى له نسباً
غير هذين (ج ٢ ص ٥٦) ومن المأثور من كلمات أردشير قوله : « لا ملك بدون جيش
ولا جيش بدون مال ، ولا مال بدون زراعة ، ولا زراعة بدون عدل . »
(١) قيل إنها كانت إحدى بناته .

أسطورة ولادة سابور :

قيل إن أردشير لما تزوج من ابنة أردوان ثم قتله هو وابنه — أحسن أوخشي — أن زوجته تدبر له مكيدة لقتله ، أخذاً بثأر أبيها وأخيها فأمر بقتلها^(١) . ولكن أبرسام^(٢) رئيس الموبدان أشفق عليها لتحققه من أنها حامل ، فأخذها^(٣) على زعم أن يقتلها إطاعة لأمر الملك ، وأودعها سرباً من الأرض ، ثم قطع مذاكيره ووضعها في حُق وختم عليه ، وقال له الملك : « ما فعلت ؟ » قال : « استودعتها بطن الأرض » . ودفع إليه الحق ، وسأله أن يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ، ففعل . ثم وضعت الجارية غلاماً فكره أن يسمى ابن الملك دونه ، وخاف أن يعلمه به وهو صغير ، فأخذ له الطالع وسماه شاه پور ، ومعناه : « ابن الملك » ليكون اسماً وصفة ، وهو أول من سمي بهذا الاسم .

وبقي أردشير لا يولد له ، فدخل عليه الشيخ الذي عنده الصبي يوماً فوجده محزوناً . فقال له : « ما يحزن الملك ؟ » فقال : « ضربت بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت ، وصفا لي ملك آبائي . ثم أهلك وليس لي عقب فيه ؟ » . فقال له الشيخ : « سرّك الله أيها الملك وعمرّك ! لك عندي ولد طيب نفيس » ، فادع لي بالحق الذي استودعتك أرك برهان ذلك » . فدعا أردشير بالحق وفتح له فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتاباً فيه : لما أخبرتنى ابنة أشك أنها علقت من ملك

(١) وقيل أن السبب في ذلك هو حنق أردشير على أردوان وعلى غيره من الأشكانيين الذين عاهد جده ساسان نفسه على إفتائهم .

(٢) يسميه ابن الأثير هرجد بن أسام .

(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ١٥٣ / ١ ، وكتاب بروان السابق ذكره ١٥٨ / ١ .

الملك حين أمر بقتلها لم أستحلّ إتلاف زرع الملك الطيب، فأودعتها بطن الأرض كما أمر، وتبرأنا إليه من أنفسنا؛ لئلا يجد علينا سبيلا.

فأمره أردشير أن يجعل مع سابور مائة غلام - وقيل ألف غلام - من أشباهه في الهيئة والقامة، ثم يدخلهم عليه جميعاً، لا يفرق بينهم زى، ففعل الشيخ.

فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم. ثم أعطوا صواجلة وكرة فلعبوا بالكرة وهو في الإيوان، فدخلت الكرة الإيوان فهاب الغلمان أن يدخلوه، وأقبل سابور من بينهم ودخل. فاستدل بإقدامه مع ما كان من قبوله حين رآه أنه ابنه. فقال له أردشير: « ما اسمك؟ » قال: « شاپور ». فلما ثبت عنده أنه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده.

أسطورة حرب الضيزن: (١)

من المواقع الحربية التي شهدتها شاپور ويشير إليها بعض شعراء العربية في أشعارهم موقعة الضيزن وكان ملكاً من الجرامقة يسمى الساطرون وهو من قضاغة، وكان يعتصم بمدينة يقال لها الحضر بجبال تكريت، بين دجلة والفرات. وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده، ودخل أرض السواد إذ كان شاپور بخراسان. فلما عاد منها بلغه خبر الضيزن، فسار إليه وحاصر مدينته، فلم يستطع هدم حصنه ولا الوصول إليه وكان للضيزن بنت من أجمل النساء تسمى النضيرة، فاتفق أن

(١) تجد هذه القصة مع الأشعار العربية المروية فيها مفصلة في تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦١ - ٦٣، وتجدتها بصورة أكثر تفصيلاً في كتاب الأغاني ج ٢ ص ١٣٨ - ١٤٤ طبعة دار الكتب.

رأت سابور ورآها فوق عشق كل منهما في قلب الآخر . فأرسلت إليه تقول :
« ماذا تفعل لي إن دلتك على ماتهدم به سور المدينة ؟ » فقال : « أحكمك وأرفعك
على نسائي » ، فقالت : « عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بدم حيض
بكر زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على سور المدينة فيخرب » . وكان ذلك طلسم ذلك
البلد . ففعل سابور كما وصفت ، وتداعى سور المدينة فدخلها عنوة ، وقتل الضيزن
وأصحابه وخرّب المدينة ، وحمل النضيرة .

ولكنه تبين أن وفاءها له لن يكون أشد من وفائها لأبيها ، فاعتزم التخلص
منها ، فأمر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرهما بذنبه ، ثم استرقضها
فقطعها قطعا .

ظهور ماني الزنديق :

في عهد سابور بن أردشير ظهر ماني الزنديق بإيران سنة ٢٤٢ م ، وادعى
النبوة وأغوى الناس ، فتبعه منهم خلق كثير ، وهم الذين يسمون المانوية أو المانية .
ويروى ابن النديم أنه ابن فتق بن أبي برزام ، وأن أمه المسماة ميس كانت
من نسل الأشكانيين . وأن أصل أبيه من همدان ، ثم انتقل إلى بابل ، وكان ينزل
المدائن (طيسفون) وبها بيت للأصنام فيتنسك هناك كما كان يفعل غيره .

ولما بلغ ماني الرابعة والعشرين آتاه (التَّوْم) ومعناه بالنبطية القرين . فقال له :
قد حان أن تخرج فتنادى بأمرك .

وزعم ماني أنه الفارقليط (المخلص) الذي بشر به عيسى عليه السلام .
واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وجول في البلاد أربعين سنة قبل

أن يلتقي سابور ، فدعا إلى مذهبه أهل الهند والصين وخراسان ، وخلف في كل ناحية صاحباً له .

ولما دخل على سابور ناقشه فكبر في عينيه — وكان قد هم بالفتك به . ثم إنه مال إلى مذهبه . وكان إعلان هذا المذهب بإيران يوم عيد جلوس سابور في العشرين من أكتوبر سنة ٢٤٢ .

ولما مر على اعتناق سابور لمذهب ماني نحو عشر سنوات جاءه الموبذ وقال له : إن هذا الرجل قد أفسد دينك ، فاجمع بيني وبينه لآناقشه ، فجمع بينهما ، ولما أحفمه رجع سابور إلى الجوسمية واعتزم قتله ، ولكنه هرب إلى الهند . وجلس على عرش إيران بعد سابور ابنه هرمز . وكان شجاعاً مقداماً ، ولم تطل مدة حكمه .

وجاء بعده ابنه بهرام فعكف على اللهو واللعب ، وانغمس في اللذات . فكتب أتباع ماني إليه بذلك ، فعاد إلى إيران ، وشاع خبره ، وعرف مقره ، فاستدعاه بهرام وناقشه ، واستدعى الموبذ لمحاورة أمامه . وكان مما قاله الموبذ : « يذاب لي ولك رصاص يصب على معدتي ومعدتك فأينما لم يضره ذلك فهو على الحق » . فقال ماني : « هذا فعل الظُّلْمة » .

فأمر بهرام بحبسه وقال له : إذا أصبحت دعوتُ بك فقتلتك قِتْلَةً ما قُتِلَ بها أحد قبلك » . وكان أن سلخ جلد ماني أثناء الليل فخرجت روحه . ولما كان الغد أرسل بهرام في طلبه فقبل إنه مات ، فأمر بحز رأسه ، وحشو جلد بالتبن ، وصلبه على باب مدينة جند يسابور ، ومن ثم سمي باب ماني . ثم تعقب أصحابه فقتل منهم عدداً عظيماً^(١) .

مذهب مانى :

كان مانى يقول بوجود كائن ثنائى الطبيعة ، وبوجود مبدأين يسيطران على العالم هما : مبدأ النور ، ومبدأ الظلام ؛ فالنور منشأ الخير ، والظلام منشأ الشر . ولكل منهما قدرة على إدراك اللون ، والطعم ، والرائحة ، والصوت ، والملاسة . ويستطيع كل منهما بهذه القدرة أن يرى ويدرك الأشياء . وكل ما هو خير وجميل ونافع فى الأشياء فهو صادر عن النور ، وكل ما هو ضار وقبيح ومفسد فيها فهو ناشئ عن الظلام .

وكان هذان المبدآن فى أول الأمر منفصلين مستقلين ، متلاصقين ملاصقة الضوء للظل ، وما داما منفصلين لم تحدث فى الكون حوادث ، فلم تنشأ الظواهر الطبيعية ، ولم توجد الكائنات الحية ولا الجمادات . ثم امتزجا فنشأ عن امتزاجهما الكون بمافيه من ظواهر ، وحوادث ، وأجسام كثيفة ، وكائنات حية . وكان الظلام هو البادئ بالامتزاج ؛ لأن النور خير بطبيعته فلا يبدأ الاعتماد ، وإنما قال مانى بوجود هذين المبدأين لأن الخير والشر ضدان لا يصدران عن شىء واحد ، ألا ترى أن النار لا تصدر عنها الحرارة والبرودة ، وأن الجسم البارد لا تنشأ عنه البرودة والحرارة ؟

وهذان المبدآن شيطان فعالان إلى الأبد ، بدليل دوام صدور الخير عن أحدهما والشر عن الآخر .

ولا يتسع المقام هنا لعرض تفصيلات مذهب مانى ، وبيان رأيه فى الأسباب التى دعت إلى اختلاط الظلام بالنور ، ولا لشرح نظرياته فى ملك جنات النور ،

وفي الإنسان الأول ، والشيطان ، وفي اعتبار حركات العالم المادى الآلية وسيلة لتخليص النور من سجنه ، ولا لبيان عقائده المتعلقة بآدم وحواء وقايل وهايبيل وشيث ، وبما يسمى بحكمة الدهر ، وبابنة الحرص .

فهذه مسائل تفصيلية يستطيع من يريد الإلمام بها أن يرجع إلى الكتب المختصة بشرحها ، وفي مقدمتها الفهرست لابن النديم ، والملل والنحل للشهرستاني . وقد فرض ماني على أتباعه أربع صلوات أو سبعا^(١) ، وصوم سبعة أيام كل شهر . كما فرض عليهم عشر فرائض أخرى هي :

١ — الإيمان بالعضائم الأربعة وهي : الله ، ونوره ، وقوته ، وحكمته . فالله جل اسمه هو : ملك جنات النور ، ونوره هو : الشمس والقمر ، وقوته : الأملاك الخمسة وهي : النسيم ، والريح ، والضوء ، والماء ، والنار . وحكمته هي : الدين المقدس .

٢ — ترك عبادة الأصنام .

٣ — ترك الكذب .

٤ — ترك البخل .

٥ — ترك القتل .

٦ — ترك الزنا .

٧ — ترك السرقة .

٨ — تعلم العلل والسحر .

٩ — الشك في الدين .

١٠ — التواني في العمل .

(١) تجد تفصيل هذه الفرائض في الفهرست ص ٤٦٥ — ٤٦٦ .

ولا يعترف ماني بأنبياء بنى إسرائيل ، ولكنه يعترف بأن بوذا وزرادشت كانا نبيين مرسلين ، ويعترف كذلك بنبوة المسيح عليه السلام ، ويقول إنه جزء انفصل من عالم النور ، وتجسد تجسداً ظاهرياً . أما الذى صلبه اليهود فهو عيسى الزائف ابن الأرملة ، وليس هو عيسى الحقيقى .

وكان المانويون خمس طبقات هم :

- ١ — المعلمون وهم أبناء الحلم .
- ٢ — المشتمسون وهم أبناء العلم .
- ٣ — القسيسون وهم أبناء العقل .
- ٤ — الصديقون وهم أبناء الغيب .
- ٥ — السماعون وهم أبناء الفطنة .

وكانوا يعنون بتجويد الخط ، وقد ابتكروا لهم أبجدية خاصة ، ومن ثم شاع عن ماني فى إيران أنه كان نقاشاً ماهراً ، ويعزى إليه أنه وضع كتاب صور سماه أرزهنك أو أرتنك ، وادعى أن هذا الكتاب هو معجزته التى تدل على مقدرته الخارقة للعادة ، وعلى أنه مرسل من عند الله .

وألف ماني ستة كتب رئيسية شرح فيها مذهبه الثنائى ، وبين فيها تعاليمه وهذه الكتب هى :

- ١ — كتاب شابرقان ، وهو الوحيد الذى ألفه بالفارسية الفهلوية ، وفيه يشرح حال النفس الناجية ، وحال النفس الشريرة التى تسيطر عليها الشياطين فتفسدها وتدنسها بالردائل .

- ٢ — كتاب كنز الإحياء ، وفيه يشرح ما يصدر عن النور من صلاح

لنفس ، وما ينشأ عن الظلام من فسادها ، وفيه يقرر أن السماء جرم مسطح ، وأن العالم كجبل يدور حوله الفلك الأعلى .

٣ — كتاب الهدى والتدبير .

٤ — كتاب الفرائض الاثنتي عشرة الآنف ذكرهما ، وفيه بعد حروف الهجاء واحداً واحداً ويبين خصائص كل منها ، ويصف الأدعية والصلوات ، ويذكر ما يجب أن يعمل لتحرير النفس .

٥ — سفر الأسرار ، وفيه يطعن في معجزات الأنبياء .

٦ — سفر الجبابة .

وله عدا هذه الكتب كتب ورسائل أخرى ذكرها ابن النديم^(١) .

اشتقاق كلمة زنديق :

يحدث بنا في هذا المقام أن نبحث في اشتقاق كلمة زنديق التي أطلقت أول ما أطلقت على مانى وأتباعه ، ثم شاع إطلاقها فيما بعد على كل مارق خارج عن الدين بوجه عام .

كان يُظن أن كلمة زنديق فارسية الأصل معناها المستمسك بالزند ، وهو شرح للأبستاق وتعليق عليه بالفارسية الفهلوية — كما قلنا من قبل ، وأنها أطلقت على المانوية لسلوكهم مسلك التأويل في شرح الكتب المقدسة الزرادشئية وغيرها بما يتفق وآراءهم ، وهذا هو المسلك نفسه الذى سلكته الطائفة الإسماعيلية الباطنية وغيرها من طوائف الشيعة الذين ادعوا أن للقرآن والتعاليم الإسلامية ظاهراً وباطناً ، وأخذوا يؤولون القرآن بما يوافق مذهبهم . ولكن براون^(٢)

(١) ص ٤٧٠ — ٤٧١ من الفهرست .

(٢) المرجع نفسه : ١٥٩ — ١٦٠ .

ينقل عن بيقان Bevan رأياً آخر يعده أقرب إلى الصواب . وخلاصة هذا الرأي أنه كان من بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة السَّاعِين وهم طبقة الأحرار الذين لم يلزموا أنفسهم التمسك بتعاليم دينهم القاسية ، التي تقضى بالزهد والتقشف والرهينة . وطبقة أخرى تسمى طبقة الصديقين أى المؤمنين المخلصين ، وهم الذين يأخذون أنفسهم بالرياضة النفسية ، ويؤثرون التقشف والتجرد من الشهوات ، ونبذ العالم المادى ، ويوجبون على أنفسهم دوام الصيام والتصدق بقدر طاقتهم .

فكلمة صديق كلمة عربية وتستعمل فى العبرية بلفظها ومعناها ، وهى بالآرامية والسريانية زَدِيق^(١) . ومن المؤكد الذى لا يتطرق إليك الشك أن الفارسية الفهلوية تأثرت بالآرامية كما سترى فيما بعد ، فيرجح أن الفرس أخذوا هذه الكلمة عن الآرامية وحرّفوها بعض التحريف فجعلوها زَنَدِيق ؛ وذلك بإبدال النون من إحدى الدالين ، وذلك كما فعلوا بكلمة شَبَّاث العبرية ؛ إذ أبدلوا من إحدى الباءين نوناً ، وأبدلوا الذال من الثاء الأخيرة ، وجعلوا الكلمة شَنَباذ ، وهى «شنبه» بالفارسية الحديثة . ومعناها : يوم السبت .

ثم أخذ العرب عن الفرس كلمة (زَنَدِيق) بعد أن كسروا زايها لتنسجم مع كسرة الدال وجعلوها زَنَدِيق ، مثل : عَرِيد ، وَتَنِين ، وقنديل .
فالكلمة على هذا رأى سامية الأصل ؛ نقلت محرفة عن الآرامية إلى الفهلوية ، ثم أخذها العرب بصورتها المحرفة عن الفرس وكسروا زايها لتعود إلى وزنها الأصلى .

وكانت تطلق فى عرف المانويين بمعناها الأصلى على المؤمن المخلص من أتباع

(١) كثير ما تقابل الزاى فى الآرامية والسريانية الصاد فى العربية والعبرية .

مانى ، ولما كان الزرادشتيون يعدون هؤلاء ملحدين خارجين على الزرادشتية الحقّة . فقد أطلقت الكلمة عندهم على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق . وهذا هو المعنى الذى ظل يفهم منها فى العصور الإسلامية^(١) .

ويقول صاحب معاهد التنصيص : « والزندق من الثنوية ، أو القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان . أو هو معرب زن دين أى دين المرأة^(٢) » .

وزن دين كلمتان الأولى منهما (زن) فارسية ومعناها : امرأة ، والثانية (دين) عربية ولعلها أطلقت على الملحدّين استهزاء بهم ، وسخرية منهم .

بين الزرادشتية والمانوية :

وهنا يعين لنا أن نسأل : لماذا أنكر الزرادشتون على المانويين مذهبهم ، مع أن المذهبين ثنويان يقولان بمبدئى النور والظلام ؟
ونقول فى الجواب عن ذلك : إن هذين المذهبين — مع اتحادهما فى القول بمبدأين يسيطران على العالم — يختلفان اختلافاً أساسياً فى التفصيلات الجوهرية .

وبيان ذلك أن الزرادشتيين يرون أن كلا من عالم الخير الذى يسيطر عليه أهورا مازدا ، وعالم الشر الذى يسيطر عليه أهريمان — يتكون من عنصرين أحدهما مادى والآخر روحانى ، وليست قوى الخير فى مملكة أهورا مازدا مقصورة على الملائكة والكائنات الروحانية ، ولكنها تشمل أيضاً العناصر المادية ، وأنواع

(١) راجع كتاب « فلسفة أبى العلاء » للمؤلف ص ١٦٦ .

(٢) معاهد التنصيص : ١/٥٣ .

الحيوان والنبات النافعة للإنسان ، وهؤلاء الذين يدينون دين الحق من بنى الإنسان ؛
فهؤلاء جميعاً يقفون فى جانب أهورا مازدا ، ويحاربون قوى الشر التابعة لأهريمان
من الشياطين والمردة ، والحيوانات المؤذية ، والسحرة والملحدين من بنى الإنسان .
والزرادشتية رغم ما فيها من اتجاهات روحانية تغلب عليها الاتجاهات المادية ؛ فهى
تشجع أتباعها على التناسل ، والتكاثر ، وملء الأرض ، وفلحها ، وزرعها ،
وحصد غلاتها ، والعمل الدائم فى استغلالها .

أما المانويون فيرون أن امتزاج النور بالظلام الذى نشأ عنه وجود
الكائنات المادية والظواهر الطبيعية هو شر كله ، وأنه نتيجة لنشاط قوى الشر ،
وليس فى هذا العالم من خير إذا استثنينا أنه يتيح للنور الفرصة للتخلص من أغلال
الظلام ، والعودة إلى حاله الأولى حيث كان قائماً بنفسه يخالط الظلام .

وحين يتم هذا التخلص تكف عن عملها الملائكة التى تقيم السموات
وتمسك الأرض ، ويكون فى ذلك القضاء على العالم المادى . وحينئذ تنشط
الذرات النورانية من عقالها ، وتصعد إلى جنة النور — مصدرها الأسمى —
تحدوها الشمس ، ويسوقها القمر . ومما يساعد على هذا التخلص التمسك والعبادة ،
والأعمال الصالحة التى يعملها البررة المخلصون من أتباع مانى .

وكل ما يساعد على إطالة أمد امتزاج النور بالظلام فهو شر فى نظر مانى
وأتباعه . وفى مقدمة ذلك : الزواج والتناسل ؛ ولذا كان من الواجب فى رأيهم أن
يسلك الإنسان مسلك العزلة والرهينة ، وأن يقطع دابر التناسل ، وأن يعكف على
الدعوات والصلوات ، حتى يفنى العالم المادى ، ويعود النور إلى موطنه الأسمى .

وهذا هو معنى قول هرمز فى مانى : « إن هذا الرجل قد جاء ليدعو الناس إلى تدمير الكون » .

هذا إلى أن الزرادشتية ديانة وطنية مادية استعمارية ؛ تدعو إلى الكفاح والصراع فى سبيل الحياة والتوسع فى فتح البلاد . أما المانوية فديانة عالميه استسلامية تقشفية ؛ تدعو إلى نبذ الدنيا ، وتجنب ما فيها من ملذات وشهوات . ومن ثم كانت الديانتان متعاديتين متعارضتين تعارضا جوهريا ، رغم ما بينهما من تشابه ظاهرى .

وليس التعارض بين المانوية وكل من اليهودية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام بأقل منه بين المانوية والزرادشتية . وإذا كانت المانوية لم تلق من اليهودية ما لقيت من الديانات الثلاث الأخرى من أذى واضطهاد فما ذلك إلا لضعف اليهود وعدم مقدرتهم على البطش والإيذاء . فمن الثابت أن مانى كان ينظر إلى اليهود نظرة ازدراء واستنكار وبغضاء ، وأن اليهود لم تكن تنقصهم الرغبة فى المعاملة بالمثل ، وإنما كانت تنقصهم القوة المادية الضرورية لذلك .

تاريخ انتشار المانوية :

ليس مما يعنينا فى هذا الكتاب التوسع فى سرد تاريخ انتشار المانوية ؛ فيكفى أن نقول فى ذلك ^(١) إنه لما قتل بهرام مانى ومن أمكن العثور عليه من أتباعه فر من بقى منهم إلى إيران وعبروا نهر بلخ ، ودخلوا بلاد الترك فيما وراء النهر ، وظلوا هناك إلى أن ضعف أمر الفرس ، وظهر العرب ، وفتحوا فارس ، وقوى

شأنهم ، فعاد المانويون إلى إيران ، وظهروا في عهد الدولة الأموية ، وتنبه إليهم خالد بن عبد الله القسري ، فتعقبهم .

وكثر عددهم واشتد أمرهم في العصر العباسي الأول فرأى الخليفة محمد المهدي (١٥٨ — ١٦٩ هـ) من الضروري إنشاء منصب « صاحب الزنادقة » أو « عارف الزنادقة »^(١) .

يقول الطبري^(٢) : وفيها (سنة ١٦٧ هـ) جدّ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم ، وولّى أمرهم عمر الكلواذي . وفي سنة ١٦٨ هـ مات الكلواذي وولى مكانه حمدويه محمد بن عيسى^(٣) .

ويقول المؤرخ نفسه^(٤) ، رواية عن محمد بن عطاء بن مُقدم الواسطي عن أبيه : « إن المهدي قال لموسى (ابنه) — وقد قدم إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب فضرب عنقه وأمر بصلبه — : « يا بني ! إن صار لك هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة — يعني أصحاب ماني — فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن ؛ كاجتناب الفواحش ، والزهد في الدنيا ، والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور ، وترك قتل الهوام تحرّجاً وتحوّباً ، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين ، أحدهما : النور ، والآخر : الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ، والاعتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور . فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها

(١) كتاب بروان السابق ذكره ١/١٥٩ .

(٢) راجع تاريخه ج ١٠ ص ٩ .

(٣) الطبري ج ١٠ ص ١٠ .

(٤) ج ١٠ ص ٤٢ .

إلى الله لا شريك له ؛ فإنى رأيت جدك العباس فى المنام قلدى بسيفين ، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين .

« قال : فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر : أنا والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها ، حتى لا أترك منها عيناً تُطَرَف . »
ويقال : إنه أمر أن يهيباً له ألف جذع (لصلب الزنادقة) ولكنه مات بعد شهرين قبل أن يقدر على البر بقسمه .

وفى أيام الخليفة جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) لحق، الزنادقة بخراسان خوفاً على أنفسهم ، ومن بقى منهم ستر أمره . واجتمع منهم بسمرقند نحو خمسمائة رجل فأراد واليها أن يقتلهم ، فأرسل ملك الصين يقول : إن فى بلادى من المسلمين أضعاف من فى بلادك من أهل دينى (الزنادقة) ، ويقسم له إن قتل واحداً منهم قتل الجماعة به وخرّب المساجد . فكف الوالى عن قتلهم ، وأخذ منهم الجزية .

ويروى ابن النديم أنه كان ببغداد وحدها فى عصره (أواخر القرن الرابع الهجرى) حوالى ثلثمائة من المانويين ؛ ويذكر أن الجعد بن درهم كان من الزنادقة ، وهو الذى ينسب إليه مروان بن محمد (آخر خلفاء الدولة الأموية : ١٢٧ — ١٣٢ هـ) ، فيقال : مروان الجعدى . وكان مؤدباً له ولولده فأدخله فى الزندقة ، وقد أسره خالد بن عبد الله القسرى ، فلما ولى الخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ) تقدم إليه آل الجعد يشكون ضعفهم وسوء حالهم بعد طول حبس عائلتهم ، فقال هشام : « أهو حى بعد ؟ » وكتب إلى خالد بقتله ، فقتله يوم أضخى ، وجعل (م — ٥)

قتله تقرّباً إلى الله بدلا من ذبح الأضحية . وكان ذبحه إياه بعد أن أعلن ذلك على المنبر بأمر هشام .

وكان ممن اتهموا بالزندقة : بشار بن برد ، ومحمد بن عبيد الله كاتب المهدي ، وقد اعترف بذلك أمام المهدي فقتله . وكان من الزنادقة : البرامكة جميعهم ما عدا محمد بن خالد بن برمك ، وكذلك الفضل بن سهل وأخوه الحسن وزير المأمون . وقيل كان محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم زنديقا .

قصة مزدك الشيعي :

من المشكوك فيه أن مزدك الذي ظهر في عصر قباد بن فيروز هو المبتدع الأول للمذهب الشيعي الهدام ، الذي انتشر في إيران في أوائل القرن السادس الميلادي ؛ فقد روى براون أن مبتكر هذا المذهب شخص يسمى زرادشت بن خرّگان الذي ظهر في بلدة فاسا بمقاطعة فارس قبل مزدك المشهور . ويفهم من كلام ابن النديم ^(١) أنه كان هناك مزدكان أحدهما : « مزدك القديم الذي أمر أصحابه بتناول اللذات ، والاعتكاف على بلوغ الشهوات ، والأكل والشرب ، والمواساة ، والاختلاط ، وترك الاستبداد بعضهم ببعض ، ولهم مشاركة في الحُرّم والأهل ، لا يمتنع الواحد منهم عن حرمة الآخر ولا يمنعه . ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير ، وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس . ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم ، إذا أضافوا الإنسان لم يمنعه من شيء يلتصقه كائنا ما كان . »

« والآخر : مزدك الأخير الذي ظهر في أيام قباد بن فيروز ، وقتله أنوشروان

وقتل أصحابه وخبره معروف مشهور .

وقد يؤيد هذا ما ذكره الطبري حيث يقول : « وإن كسرى (أنوشروان) لما استحكم له الملك أبطل ملة رجل منافق من أهل فسا يقال له زرادشت بن خرکان ، ابتدعها في المجوسية فتابعه الناس على بدعته تلك وفاق أمره فيها . وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مصرية يقال له مزدق بن بامداز . وكان مما أمر به الناس وزينه لهم ، وحثهم عليه : التآسى في أموالهم وأهلبيهم ، وذکر أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ، ويثيب عليه أحسن الثواب ، وإنه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين كان مكرمة في الفعال ورضا في التفاوض . فحضر بذلك السفلة على العلية ، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وسهل السبيل للغصبة إلى الغصب ، والظلمة إلى الظلم ، والعهار إلى قضاء نهمتهم ، والوصول إلى الكرائم ، اللأى لم يكونوا يطمعون فيهن . وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله » (١) .

وسواء أوجد زرادشت بن خرکان أو لم يوجد ، وسواء أكان مزدك القديم هو عينه مزدك الأخير أو غيره — فالذى يعنيننا هو مزدك الذى ظهر فى عهد قباد ، وكان له ولأتباعه نشاط ملحوظ فى نشر المذهب الشيعى فى إيران .

ومن الواجب أن ننبه القارىء إلى أن ما سنقصه عن مزدك هذا وعن مذهبه مستقى من مصادر معادية له ؛ إذ لم تصل إلينا معلومات عن هذا الرجل وأتباعه من مصادرهم الخاصة ؛ ولذا لا يبعد أن يكون فى قصتهم التى سنرويها شيء من الغلو والتحامل ، على الرغم من أن الرواة من القرس والعرب والمسيحيين يكادون يتفقون على هذه القصة فى جملتها وكثير من تفصيلاتها .

وتتماز الشيعوية المزدكية من الشيعوية الأفلاطونية ، ومن الشيعوية الحديثة بأنها مطبوعة بالطابع الديني ؛ ذلك أن مزدك يقرر أن جميع أنواع الشرور في العالم ترجع إلى الثلاثة الشياطين : الحسد ، والبغضاء ، والجشع ، وأنها هي التي مزقت شمل المساواة بين بنى الإنسان ، تلك المساواة التي أقرها الله ورضى عنها . ولذا كان غرضه من ثورته أن يحطم عوامل التفرقة بين الناس ، ويعيد المساواة بينهم إلى نصابها . ومع ذلك فقد كان هذا المذهب ينطوى على دعوة إلى الزهد والتقشف الذى كان يدعو إليه مانى وأتباعه ؛ فقد نهى مزدك عن القتل وأكل اللحوم . وقد أغرت هذه الدعوة البراقة المقبولة في ظاهرها قباز الملك فقبلها ، ولم يتنبه إلى ما تنتهى إليه من هتك للمحارم ، واتباع للحرمات ، وفساد للمجتمع ، وفساد نظام الأسرة ، واختلاط الأنساب .

وقيل إن قبول هذا الملك لتلك الدعوة في أول الأمر يعزى إلى رغبته في الحد من غلو طبقة الأشراف ، والضرب على أيدي رجال الدين من الجوس ، ومنع هؤلاء وهؤلاء من الاستئثار بالسلطان ، وكانت النتيجة الحتمية لقبوله هذا المذهب أن ثار عليه الشعب الإيراني ، وحسوه ونادوا بأخيه جاماسب ملكاً عليهم .

يقول ابن الأثير^(١) : « وفي أيامه (قباز في أوائل القرن السادس الميلادى) ظهر مزدك (بن مازيار) وابتدع ووافق زرادشت في بعض ما جاء به ، وزاد ونقض ، وزعم أنه يدعو إلى شريعة إبراهيم الخليل حسبما دعا إليها زرادشت ، واستحل المحارم والمنكرات ، وسوى بين الناس في الأموال والأموال ، والنساء والعبيد والإماء ، حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء ألبتة ، فكثر

أتباعه من السفلة والأغنام ، فصاروا عشرات ألوف . فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها إلى الآخر ، وكذا في الأموال ، والعييد ، والإماء ، وغيرها من الضياع والعقار ، فاستولى ، وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ .

« فقال يوما لقباذ : اليوم نوبتي من امرأتك أم أنوشروان ، فأجابه إلى ذلك ، فقام أنوشروان إليه ، وخلع خفيه بيده ، وقبل رجله ، وشفع إليه حتى لا يتعرض لأمه ، وله حكمه في سائر مملكه فتركها . »

« وحرم ذبابة الحيوان ، وقال : يكفي في طعام الإنسان ما تنبتة الأرض ، وما يتولد من الحيوان ؛ كالبيض واللبن والسمن والجبن . »

« فعظمت البلية على الناس ، فصار الرجل لا يعرف ولده ، والولد لا يعرف أباه . فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذ موبدان والعطاء وخلعوه ، وملكوا عليهم أخاه جاماسب . وقالوا له : إنك قد أثمت باتباعك مزدك ، وبما عمل أصحابه بالناس ، وليس ينجيك إلا إبادة نفسك ونسائك ، وأرادوه على أن يسلم نفسه إليهم ليذبحوه ويقربوه إلى النار فامتنع من ذلك ، فحبسوه . »

« واندست أخت لقباذ^(١) فدخلت عليه السجن ، وأخرجته منه بحيلة ، فمكت أياما مستخفياً إلى أن أمن الطلب . ثم خرج في خمسة نفر من ثقاته ، فيهم زمرهر بن سوخر (من عطاء الفرس) نحو الهياطلة^(٢) يستنصر ملكها ، فأخذ طريق الأهواز فانتهى إلى أرمشير ، ثم صار إلى قرية في حد الأهواز وأصبهان^(٣)

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢) الهيطل اسم لبلاد ماوراء النهر ... وجنس من الهند أو الترك كانت لهم شوكه كالهيطل والهياطلة — القاموس المحيط للفيروز بادي .

(٣) يقول ابن الأثير إنه نزل بإيران شهر وهي نيسابور .

فنزلهام متذكراً ، وكان نزوله عند دهقانها ، فنظر قباز إلى بنت لصاحب منزله ذات جمال ، فوقعت في قلبه ، فقال لزمره بن سوخر : « إني قد هويت هذه الجارية ، ووقعت بقلبي فانطلق إلى أبيها فاطبها على » . ففعل . فأرسل قباز إلى الجارية بخاتمه ، وجعل ذلك مهرها . فهيتت ، وأدخلت عليه ، فحلا بها قباز ، وسر بها سروراً شديداً ؛ لما ألفاها ذات عقل وجمال وأدب وهيئة ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم أمر بحفظ نفسها . وخرج حتى ورد على صاحب الهياطة . فشكا له صنيع رعيته ، وسأله أن يمهده بجيش ليسترجع ملكه فأجابه إلى ذلك ، وشرط عليه أن يسلم له حيز الصغانيان ^(١) ، ووجه معه ثلاثين ألف رجل ، فأقبل بهم يريد أخاه .

« فأخذ على طريقه الذي شخص فيه بديناً حتى نزل القرية التي تزوج فيها تلك المرأة ، فنزل على أبيها وسأله عنها ، فأخبره أنها ولدت غلاماً ، فأمر بإدخالها عليه مع ابنها ، فدخلت ومعها الغلام ، فابتهج به ، ورآه كأجل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى ، وهو كسرى أنوشروان الذي تولى الملك من بعده . فقال لزمره : « اخرج فسل لي عن هذا الرجل أبي الجارية : هل له قديم شرف ؟ » فسأل عنه فأخبر أنه من ولد فريدون الملك ، ففرح بذلك قباز وأمر بالجارية وابنها فحملا معه .

« ولما انتهى إلى مدينة طيسفون (المدائن) تلاومت العجم فيما بينهما ، وقالوا إن قباز تنصل إلينا من شأن مزدك ، ورجع عما كنا اتهمناه ، فلم نقبل ذلك منه ، وظلمناه حقه ، وأسأنا إليه . »

(١) صغانيان: كورة عظيمة بمأوراء النهر ينسب إليها الصغاني صاحب المعجمين : العباب وتكملة الصحاح المتوفى سنة ٦٥٠ . وصغانيان معرب جغانيان — القاموس المحيط .

« فخرجوا إليه جميعاً وفيهم جاماسب أخوه الذى ملكوه ، فاعتذروا إليه ، فقبل ذلك منهم ، وصفح عن أخيه جاماسب وغنهم . وأقبل فدخل قصر المملكة ، ووصل رجال الجيش الذين أقبل بهم ، وأجازهم وأحسن إليهم ، وردهم إلى ملكهم . وأمر بالجارية فأنزلت فى أفضل مساكنه . »

أقول : إذا صحت رواية الدينورى هذه التى يرويها عن ولادة أنوشروان ، وتتفق فى جملتها وكثير من تفصيلاتها مع رواية ابن الأثير وإحدى روايتى الطبرى^(١) . ثبت أن شفاعه أنوشروان لأمه لدى مزدك التى يرويها ابن الأثير مكذوبة لا أساس لها من الصحة ، أو — على الأقل — سابقة لأوانها .

إذ أن هذه الشفاعه لا يمكن أن تحدث إلا حين يكون قباض فى دين مزدك ، ويسمح له أن يخاطب زوجته أم أنوشروان — طبقاً لتعاليم هذا الدين . والمفهوم من قصة ولادة أنوشروان هذه أن وصوله إلى إيران مع أبيه كان بعد أن تاب أبوه ، وتبرأ من مذهب مزدك واستنكر تعاليم دينه .

وبعبارة أخرى نقول : كيف يمكن وقوع هذه الشفاعه وأنوشروان لم يكن قد ولد بعد ؟ فنحن بين ثلاثة أمور ، فإما أن نرفض هذه الشفاعه ، وإما أن نقول إنها وقعت من شخص آخر لامرأة أخرى غير أم أنوشروان ، وإما أن نقول إن قباض رجع إلى المزدكية بعد أن خرج منها . وهذا ما لم يذكره أحد من المؤرخين فيما نعلم .

ومن العجيب أن يقع ابن الأثير فى هذا التناقض ولا يتنبه إليه . وأعجب من

ذلك أن يعود ابن الأثير فيذكر هذه الشفاعة في موضع آخر حيث يقول^(١) .
 « وكانت أم أنوشروان يوماً بين يدي قباد فدخل عليه مزدك ، فلما رأى
 أم أنوشروان قال لقباد : « ادفعها إلى لأقضى حاجتي منها . » فقال : « دونكها »
 فوثب إليسه أنوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع إليه أن يهب له أمه ، حتى قبل
 رجله ، فتركها . فكان ذلك في نفسه . فهلك قباد على تلك الحال وملك
 أنوشروان . »

« ثم إن أنوشروان أذن للناس إذناً عاماً ، ودخل عليه مزدك ، ثم دخل
 عليه المنذر ، فقال أنوشروان : « إني كنت تمنيت أن أملك ، وأستعمل هذا
 الرجل الشريف — يعنى المنذر ، وأن أقتل هذه الزنادقة » . فقال له مزدك :
 « أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ » فقال : « وإنك ههنا يا ابن الزانية ؟
 والله ماذهب نين ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك إلى يومى هذا . »

وأمر بقتله فقتل وصلب . وقتل منهم ما بين جازر إلى النهر اوان إلى المدائن في
 نحوة واحدة مائة ألف زنديق ، وصلبهم ، وسمى يومئذ أنوشروان^(٢) .

« ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن أدخلوا على الناس
 في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن
 هو منهم إذا لم يعرف أبوه ، وأن يعطى نصيباً من مال الرجل الذى يسند إليه إذا
 قبله الرجل ، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ، ثم
 تخير المرأة بين الإقامة عنده وبين فراقه ، إلا أن يكون لها زوج فترد إليه . وأمر

(١) راجع تاريخه ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) سيأتي الكلام على أصل هذا الاسم ومعناه .

بـعـيـال ذوى الأـحـساب الذين مات قيمهم فأـنـكـح بناتهم الأـكـفاء ، وجـهـزـهن من بيت المال ، وأـنـكـح نساءهم من الأشراف ، واستعان بأبنائهم فى أعماله .
على أنه من الممكن أن نتصور وقوع هذه الشفاعة ، التى يذكرها ابن الأثير ويلج فى ذكرها ، إذا صدقنا رواية الطبرى الأولى لقصة ولادة كسرى أنوشروان حيث يقول ما خلاصته ^(١) : أن قباز قبل أن يصير إليه الملك سار إلى خاقان ملك الأتراك مستنصراً به على أخيه بلاش ، فمر فى طريقه بناحية نيسابور ^(٢) ، ومعه جماعة منهم زرمهر بن سوخر ، فسأله أن يلتمس له امرأة ذات حسب ، فسعى زرمهر فى ذلك ، ونجح فى أن يزوجه من ابنة صاحب المنزل الذى نزل به ، وكانت بكرة فائقة الجمال تسمى نيونندخت ، وخالطها قباز فحملت . ثم مضى إلى خاقان ، وأقام عنده أربع سنوات يحتال فى استنصاره ، فجهزه بجيش ، فانصرف به . ولما وصل إلى ناحية نيسابور سأل عن الجارية ، فأخبر أنها ولدت غلاماً يشبهه فى صورته وجماله . وقيل إن الخبر ورد عليه فى ذلك الموضع بهلاك أخيه بلاش ، فتيمن بالمولود ، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك .

أقول : إذا صحت هذه الرواية ثبت أن ولادة أنوشروان كانت قبل تولى أبيه الملك ، وقبل ظهور مزدك ودخول قباز فى دينه . وحينئذ يمكن أن يقال إن أنوشروان شب فوجد أباه فى دين مزدك ، وسمعه وهو يطالب أباه بمخالطة أمه

(١) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٨٧ .

(٢) نيسابور من أحسن مدن خراسان وأعظمها وأجمعها للخيرات . وإنما قيل لها نيسابور لأن سابور هذا الاكتاف لما وصل إلى مكانها أعجبه ، وكان مقصبة فقال : يحسن أن يكون ههنا مدينة . وأمر بقطع القصب ، وبنى المدينة فقليل لها نيسابور . والى = القصب . وفيات الأعيان ١ — ٢٢ نقل عن السمعاني فى كتاب الأنساب .

تطبيقاً لمبادئ مزدك ، ويسمع أباه وهو يسمح لمزدك بذلك ، فيثور ويشفع في أمه لدى هذا الرجل على نحو ما ذكر ابن الأثير .

هذه هي قصة مزدك والمزدكية كما يرويها معظم المؤرخين . وهي تفيد أن أنوشروان هو الذي قضى على المزدكية بعد وفاة أبيه قباد .

ولكن نظام الملك وزير السلاجقة (٤٠٨ — ٤٨٦ هـ) يروي هذه القصة بطريقة أخرى في تفصيل وإسهاب في كتابه (سياست نامه ^(١)) المؤلف بالفارسية . ويؤخذ من هذه الرواية التي يؤيدها العلامة براون ^(٢) أن القضاء على هذه الطائفة كان سنة ٥٢٨ م أي في أواخر عهد قباد ، وأن ذلك قد تم بحيلة أحكم تديرها أنوشروان ، ووافقه عليها أبوه قباد ، بعد أن تبين له ضلال مزدك ، وخطر مذهبه على ملكه .

وخلاصة ما ذكره نظام الملك في مذبح المزدكية : أن الأمير أنوشروان أقنع أباه بفداحة أمر مزدك وأتباعه ؛ وشرح له ما يلجئون إليه من أنواع الخداع والتغدير بالناس ، وما يرتكبون من شرور وآثام تهدد كيان الدولة ، وتؤذي بخراب الملك . فاتفق الأب وابنه على الفتك بهذه الطائفة ، وإفنائها عن آخرها .

فعرض أنوشروان أن يخدع هذه الطائفة بأنه اعتمزم الدخول في مذهبهم في يوم مشهود ، يجتمع فيه مزدك وأتباعه من كافة أنحاء المملكة في قصر الملك ، ويتناولون فيه الطعام والشراب ، وتقدم لهم الخلع والهبات السنية ، ثم يقدمون للذبح طائفة بعد أخرى .

(١) راجع الفصل الرابع والأربعين من هذا الكتاب ص ١٤٠ — ١٥٥ طبعة طهران سنة ١٣١٠ هجرية شمسية .

(٢) راجع كتابه نفسه ج ١ ص ١٧١ — ١٧٢ .

ووافق قباز على ذلك ، وأرسلت الدعوة إلى مزدك وأتباعه ، وأذيع فيهم هذا النبأ الذى سرهم ، ولما أتى اليوم الموعود ، واجتمعت جموع المزدكية فى قصر الملك ، أمر بإغلاق جميع الأبواب والنوافذ ، وجلس المدعوون إلى الموائد فأكلوا ، ثم نقلوا إلى مكان آخر فقدم لهم الشراب مرة بعد أخرى . ولما ثملوا استدعاهم أنوشروان عشرين عشرين أو ثلاثين ثلاثين للتنزه فى فناء القصر . وكان أنوشروان قد أمر عدداً كبيراً من العمال أن يحفروا فى فناء القصر اثنى عشرة ألف حفرة ، تتسع كل منها لرجل ، بحيث لا يظهر على سطح الأرض إلا رجلاه . وأمر أربعمائة رجل من صناديد الجند مدججين بالسلاح أن يستعدوا لاستقبال الضيوف فى فناء القصر ، حتى إذا ما أقبلت طائفة منهم جردوهم من سلاحهم وملابسهم وذبحوهم ، وألقوا كل واحد منهم فى حفرة رأساً على عقب ، بحيث تكون رجلاه معلقتين فى الهواء .

وفعل العمال ما أراد أنوشروان ، واستعد الجند لتنفيذ أوامره ، فكانوا يستقبلون كل جماعة من المزدكية ويجردونهم من أسلحتهم وملابسهم ، ويلقون كل واحد فى حفرة ، ويهيلون عليه التراب حتى تثبت جثته فى الحفرة ولا تتحرك . وتم الأمر بسرعة ، ولم يبق إلا مزدك ، فأعدت له حفرة على نشر من الأرض فى الجهة الأمامية من فناء القصر . ولما قضى على أتباعه تقدم إليه أنوشروان وقال له : هيا بنا نذهب لنرى أتباعك وقد خلعت عليهم الخلع . وذهب قباز ومزدك وأنوشروان إلى الفناء ، ونظر مزدك فإذا برجاله مدفونين فى التراب وأرجلهم معلقة فى الهواء . وحينئذ قال له أنوشروان : « إن جيشاً قائده مثلك لا يمكن أن تخلع عليه خلع أفضل من هذه . إنك قد جئت لتنتزع من الناس أموالهم ،

وتغتصب أملاكهم ، وتستحل محارمهم ، وتغتصب الملك من يد أسرتى . انتظر حتى أخلع عليك خلعتك أيضاً » .

ثم أمر به فألقى حياً فى الحفرة التى أعدت له ، وجعل رأسه إلى أعلى ^(١) ، ورجلاه إلى أسفل ، وجزء جسمه الأعلى إلى صدره بارزا . وأمر أن يصب حول جسمه الملاط دائماً ، كي يبقى فى وسط الملاط المذاب إلى أن يجمد حوله ويموت . ثم قال له : « متع نظرك بمشاهدة أتباعك ومعتنقى مذهبك ^(١) » .

ثم أمر أنو شروان أن تفتح أبواب الفناء ، وأن يستدعى الجيش وسكان المدينة لمشاهدة هذا المنظر العجيب ، ولينتفوا الشعر من لحية مزدك وشاربه إلى أن يموت .

على هذا الوجه نجح أنو شروان فى تدييره . ومع أن هذا العدد العظيم من المزدكية قد لقي حتفه فى هذه المذبحة فإن الطائفة لم تنقرض ، ولم يقض عليها القضاء النهائى ، بل بقى منهم عدد تعقبه أنو شروان بعد جلوسه على العرش سنة ٥٣١ م . ومن المرجح أن بعضهم ظلوا مستمسكين بدينهم خفية حتى جاء الإسلام ، فانتقلت بعض عقائدهم إلى بعض الفرق الهدامة التى ظهرت فيما بعد فى الدولة الإسلامية . ويقرر نظام الملك أن الطائفة الإسماعيلية التى لقي حتفه على يد أحد أتباعها سنة ٨٤٦ هـ (١٠٩٢/١٠/١٤ م) لم تتأثر بالمذهب المزدكى فحسب بل كانت من سلالة المزدكيين .

(١) يلاحظ أن بروان أو من نقل عنه أخطأ فى ترجمة هاتين الجملتين .

أنوشروان العادل الحكيم :

قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ولدت في زمن الملك العادل » يريد بذلك كسرى أنوشك رُوبان أى الروح الخالدة . وهو الذى يصفه الفرس بأنه نوشيروان العادل ، ويعدونه مثلاً أعلى للملك الفاضل . وربما يرجع ذلك إلى الوسائل الفعالة التى اتخذها ضد الملاحدة ، وإلى ما فعله فى سبيل إصلاح ما أفسد المرذكيون ، ورد المظالم لأهلها ، وإعادة النظام الاجتماعى إلى ما كان عليه قبل قيام تلك الثورة الاجتماعية الهدامة ، وإلى القوانين العادلة التى سنّها ، وإلى شدة عنايته بالدفاع عن الوطن ، وإلى ظفّره فى الحروب التى نشبت بينه وبين البيزنطيين ، وإلى ما حظيت به الإمبراطورية الفارسية من رخاء ورفاهية فى عهده الطويل (٥٣١—٥٧٨) . ولعل اهتمامه باستقرار الحالة الدينية — أكثر من اهتمامه بنشر العدل بين رعيته — هو الذى أكسبه هذه الشهرة الممتازة ، وجعله دون غيره من ملوك فارس يسمى بالملك العادل ، وبخاصة إذا ذكرنا أن المهمنين على تسجيل تاريخ إيران كانوا من رجال الدين من المجوس الذين كانت تعنيهم رعاية شئون الدين أكثر مما كان يعنيهم مسلك الملك الدنيوى فى رعيته . وقد يكون هذا هو السبب نفسه الذى دعا إلى وصف يزدرج الأول بأنه « يزدرج الأثيم » ؛ فقد عرف هذا الملك بعدم اهتمامه برجال الدين من المجوس ، وبتسامحه مع أرباب الديانات الأخرى — أكثر مما عرف بارتكاب الآثام فى حياته الخاصة أو العامة . بيد أن أنوشروان لم يعرف بالتعصب الدينى على الرغم من قسوته فى معاملة الملاحدة الذين كانوا خطراً على سلامة الدولة . ولم يكن بعيداً عن التعصب الدينى

فحسب بل إنه كان أيضاً يعنى بدراسة الديانات الأخرى، وبالإلمام بمذاهب الفلاسفة من الأجانب ، مثله فى ذلك مثل الخليفة المأمون العباسى والإمبراطور أكبر الهندى ؛ فقد كان لدهما شغف عظيم بالمجادلات الدينية والمحاورات الفلسفية ، وكانا يشتركان فى النقاش الذى كان يدور بين العلماء والفلاسفة على مسمع منهما . وشاع فى الشرق والغرب أمر أنوشروان حتى قيل عنه ^(١) : « إن تلمبذ أفلاطون يجلس على عرش إيران » ، وذلك لما أثر عنه من حسن استقباله للحكماء السبعة الذين نفاهم عن وطنهم الإمبراطور جستنيان نوس الرومانى (٥٢٣—٥٦٥م) ، وموافقته على إدخال مادة تقضى بحسن معاملتهم فى المعاهدة التى عقدها مع الروم بعد انتصاره فى إحدى حروبه معهم ؛ فقد أخذ على نفسه فى هذه المادة أن يضمن لهؤلاء الفلاسفة حسن المعاملة ، والحرية ، وعدم التدخل فى شئونهم إذا أرادوا العودة إلى وطنهم ، وكذلك لما عرف به من محبة العلم والمعرفة ، وتكريم العلماء والحكماء ، وإنشاء البيمارستان ^(٢) (دار المرضى) بمدينة جنديسابور ، وبتشجيعه العلماء على أن يترجموا بأمره كثيراً من أمهات الكتب من الإغريقية والسانسكريتية إلى الفهلوية — لغة بلاده الرسمية .

ويجدر بنا أن نشير إشارة عابرة إلى ما كان لوفود هؤلاء الحكماء السبعة من فلاسفة الأفلاطونية الحديثة على إيران وإقامتهم بها من آثار بالغة فى الثقافة الفارسية ، ثم فى الثقافة الإسلامية ؛ فإن الباحثين أخذوا يدركون منذ زمن بعيد

(١) راجع كتاب براون الآنف ذكره ١/١٦٧ .

(٢) هذه الكلمة مركبة من بي = بدون + مار = صحة + ستان =

أن كثيراً من الفضل يرجع إلى هؤلاء في ظهور التصوف في إيران^(١) ، وفي مقدمة هؤلاء الباحثين العلامة نيكلسون ؛ فقد أكد ذلك في كتابه المسمى : « أشعار مختارة من ديوان شمس تبريز » لجلال الدين الرومي .

ويرى العلامة دار مستيتير Darmesteter أن الزرادشتية نفسها قد تأثرت بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة بعد زيارة هؤلاء الحكماء لبلاد إيران .

نعم إن تأثر الفلسفة الشرقية بهذا المذهب وبالعلوم والمعارف الإغريقية قد بلغ مداه في عهد الدولة العباسية ، وبخاصة في عهد هرون الرشيد وابنه المأمون . ولكن يكاد يكون من المحقق أن الفلسفة الإغريقية المطبوعة بطابع الأفلاطونية الحديثة بدأت تغزو إيران في القرن السادس الميلادي في عهد أنوشروان ، وأن عهد دخول المبادئ التصوفية الفلسفية هذه البلاد يرجع إلى العهد الساساني ، قبل الفتح الإسلامي لإيران بنحو مائة سنة .

وكان مسلك أنوشروان مع المسيحيين القاطنين ببلاده مسلك التسامح ، فقد حظى في عهده اليعاقبة القائلون بأن للسيد المسيح طبيعة واحدة^(٢) (monophysites) بامتيازات كثيرة ، على الرغم من عدم إخلاصهم للعرش ، وأن وجودهم بالبلاد كان خطراً جسيماً يهدد كيان الدولة .

وقد قبل أنوشروان أن تضاف إلى معاهدة عقدها مع إمبراطور الروم عبارة تقضى بمراعاة حقوق الكاثوليك المسيحيين المقيمين في بلاده ، بل إن أحد

(١) راجع كتابي « محاضرات في الفلسفة الإسلامية » ص ٩٠ — ٩٣ .

(٢) اليعاقبة إحدى الفرق الثلاث المسيحية . أما الثانية : فهي فرقة النساطرة ، وأما الثالثة

فهي : فرقة الملكانيين . ومنشأ الاختلاف بينها هو تحديد طبيعة السيد المسيح .

المؤرخين يزعم خطأ أن أنوشروان دخل في المسيحية قبل وفاته. وهذا الزعم — وإن كان خاطئاً — يدل على أن هذا الملك كان ينظر إلى المسيحيين بعين التسامح. وهذا الزعم نفسه يذكرنا بما يزعمه بعض المؤرخين من العرب أن المأمون الخليفة العباسي كان زنديقاً^(١). والزعم في كلتا الحالتين يقوم على أساس خاطئ هو رغبة كل من العاهلين في التسامح مع أرباب الديانات المختلفة، والاستماع إلى آرائهم ومحاوراتهم. على أن تسامح أنوشروان في الأمور الدينية لم يكن عاماً مطلقاً، بل إنه كان مقصوراً على الطوائف التي آمن جانبها، وعلى الحالات التي لا يكون التسامح فيها سبباً في قلب النظام الاجتماعي، وإلحاق الأذى بالدولة. أما حين يخشى الضرر، وتبدو علامات الخطر، فلا تسامح ولا هوادة، بل قمع وتشريد، وتغذيب ثم تقتيل. وذلك كما في موقف أنوشروان من مزدك وأتباعه الذي قصصنا عليك قصته فيما سبق. وكما في موقفه من ابنه المسمى أنوش زاد^(٢) التي نقصها عليها بدون تعليق:

يروى الدينوري^(٣): أنه كان لكسرى أنوشروان ابن يسمى أنوش زاد، وكانت أمه نصرانية ذات جمال، وكان كسرى معجباً بها، وأرادها على ترك النصرانية والدخول في المجوسية فأبت، فورث ذلك منها ابنها أنوش زاد، وخالف أباه في الديانة، فغضب عليه وأمر بحبسه في مدينة جند يسابور، فلما غزا كسرى بلاد الشام، وبلغ أنوش زاد مرضه ومقامه بممص استغوى أهل الحبس،

(١) الفهرست ص ٤٧٣.

(٢) أي ابن أنوش أو ابن الروح.

(٣) الأخبار الطوال ص ٦٩ — ٧١. وتاريخ ابن الأثير ١/١٧٦.

وبث رسله فى نصارى جند يسابور والأهواز ، وكسر السجن وخرج ، واجتمع إليه أولئك النصارى ، فطرد عمال أبيه عن كور الأهواز ، واحتوى على الأموال ، وأذاع موت أبيه ، وتهياً للمسير نحو العراق . وكتب خليفة أتوشروان بمدينة طيسفون يُعلمه خبر ابنه وما خرج إليه ، فكتب إليه كسرى :

« وجه إليه الجنود ، واكش فى حربته : واحتل لأخذه ، فإن يأت القضاء عليه فيقتل فأهون ديم ، وأضيع نفس . والليب يعلم أن الدنيا لا يخلص صفوها ، ولا يدوم عفوها . ولو كان الشئ يسلم من شائبة إذن لكان الغيث الذى يحيى الأرض الميتة ، ولكان النهار الذى يأتى الناس رقوداً فيبعثهم ، وعمياً فيضىء لهم ، فكم — مع ذلك — من متأذ بالغيث ، ومتداعى عليه من البنيان ، وكم فى سيوله وبروقه من هالك . وكم فى هواجر النهار من ضرر وفساد ، فاستأصل الثؤلؤل^(١) الذى نجم بحدك ، ولا يهولنك كثرة القوم ؛ فليست لهم شوكة تبقى . وكيف تبقى النصارى وفى دينهم : أن الرجل منهم إن لطم خدّه الأيسر أمكن من الأيمن ؟ فإن استسلم أنوش زاد وأصحابه فرد من كان منهم فى المحابس إلى محابسهم ، ولا تزدهم على ما كانوا فيه من ضيق ونقص المطعم والملبس . ومن كان منهم من الأساورة^(٢) فاضرب عنقه ، ولا يكن منك عليهم رأفة ، ومن كان منهم من سفل الناس وأوغادهم فخل سبيلهم ، ولا تعرض لهم » .

« وقد فهت ما ذكرت مما كان منك فى نكال القوم الذين أظهروا شتم

(١) الثؤلؤل حلة الثدى ، وبثر صغير صلب مستدير — وهو المراد هنا .

(٢) الأسوار بضمة الهمزة وكسرهما قائد الفرس جمعه أساوره .

أتوش زاد ، وذكروا أمه ؛ فاعلم أن أولئك ذوو أحقاد كامنة وعداوة باطنة ،
فجعلوا شتم أتوش زاد ذريعة لشتننا ، ومراقبة إلى ذكرنا . وقد وُفِّقت في تأديبك
إياهم ، فلا ترخص لأحد في مثل مقاتلتهم والسلام .

ثم إن كسرى عوفى من مرضه ، فانصرف في جنوده إلى دار ملكه ،
وقد أخذ ابنه أنوش زاد أسيراً ، وانتهى فيه إلى ما أمر به .

مقارنة التاريخ النبوى بتاريخ الفرس :

المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل بعد مضي أربعين
سنة من حكم أنوشروان ، وأنه أقام بمكة إلى أن بعث بعد أربعين سنة ، منها
سبع سنين بقيت من ملك أنوشروان ، وتسع عشرة سنة ملكها هرمز بن كسرى
أنوشروان ، وبعث وقد مضى من ملك كسرى أبرويز ست عشرة سنة ، فأقام
بمكة في نبوته ثلاث عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وقد مضى من ملك أبرويز
تسع وعشرون سنة ، فأقام بالمدينة عشر سنين . وتوفى صلى الله عليه وعلى آله
بعد موت كسرى أبرويز الذى كانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة .

٣ — اللغة الفهلوية

يطلق على اللغة الرسمية التي استخدمت في العصر المتوسط « اللغة الفهلوية ». ويقرر العلامة أولسهاوزن Olshausen أن أصل كلمة فهلوى هو كلمة پړثوى ؛ ذلك أن الفارسية القديمة سمت پړثيا پړتهوه Parthava ، ثم حرفت هذه الكلمة على مر الزمن فصارت پړهوه Parhav كما حرفت الكلمتان متهره mithra وچتهره Chithra فصارتا مهر (شمس أوحب) وچهره (بمعنى وجه أو وجنة) ، أى بحذف التاء في جميع هذه الحالات .

ثم إن پړهوه حرفت تحريفاً ثانياً بقلب الراء لاما فصارت « پلهو » ؛ ذلك لأن النطق باللام أسهل من النطق بالراء ، ومخرج كل منهما قريب من مخرج الآخر . ولنا في لغة الأطفال دليل على ذلك ؛ فإنهم في المراحل الأولى من مراحل حياتهم اللغوية يقبلون الراء لاما ؛ فيقولون : إبلاهيم وممكيب مثلاً ، بدلاً من إبراهيم ومركب . وأخيراً حرفت پلهو تحريفاً ثالثاً بطريق القلب المكنى ، فصارت پهلو بحلول كل من اللام والهاء محل الآخر ، واستبدل في العربية بالياء فاء كما هي العادة فصارت فهلو أو فهله .

ويطلق قدماء الجغرافيين من العرب اسم فهله على إقليم خاص في وسط إيران وغربها ، ويقول ابن النديم في الفهرست ^(١) إنه كان يشمل خمسة بلدان هي : أصفهان ، والرى ، وهمدان ، وماه نهاوند ، وآذر بيجان .

ولا يزال أهل فارس يفهمون من پهلو ان معنى بطل صنديد أو ماهر . ويصفون لغة القدماء من أبطال إيران وأعمالهم بأنها پهلووية .

(١) راجع ص ١٩ من الفهرست لابن النديم — المطبعة الرحمانية .

ويطلق الباحثون في تاريخ اللغة الفارسية كلمة پهلوی على النظام الأبجدي الذي كتبت به اللغة الفهلوية إطلاقاً حقيقياً ، أكثر مما يطلقونها على تلك اللغة . وقد اشتق الخط الفهلوي ^(١) من الخط الآرامي . وهو معظم الخطوط السامية يكتب ويقرأ من اليمين إلى الشمال .

ومن غرائب الخط الفهلوي ما يسمى بنظام (الهزوارش) أو الزوارش ، أو ما يسميه ابن النديم (الزوارشن) ؛ ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية أو الآشورية ويقرءونها كلمات فارسية تؤدي معناها ، كأن يكتبوا بالحروف الفهلوية « ملكان ملكا » ، « ملك الملوك » ويقرءوا ، شاهان شاه ، أو يكتبوا كلمة بسرا (لحم) ويقرءوا : گوشت ، أو يكتبوا كلمة زانا (ذلك) ويقرءوها آن .

وفي هذا الموضوع يقول ابن النديم ^(٢) .

« ولهم (= وللفرس) هجاء يقال له : زوارشن يكتبون به الحروف موصولة ومفصولة وهو نحو ألف كلمة ليفصلوا بها بين المتشابهات . مثال ذلك أن من أراد أن يكتب گوشت وهو اللحم بالعربية يكتب (بالحروف الفهلوية) بسرا ويقرؤه گوشت... وإذا أراد أن يكتب نان وهو الخبز بالعربية يكتب لحا ويقرؤه نان .. » ولعل هذا تقليد لما كان يتبع من قبل في اللغة الآشورية ؛ فإن من أراد من الآشوريين أن يكتب كلمة (أب) فإنه يكتب (أد) أو (أت) ويقرأ أب ، وأد من كلمة طورانية أكادية هي أده (= أب) . ومن أراد من منهم أن يكتب

(١) راجع ما كتبه ابن النديم في الكتاب الآنف الذكر (ص ١٨) وما بعدها عن

« القلم الفارسي » . (٢) راجع الكتاب نفسه ص ٢١ .

(أبى) فإنه يكتب (أتويا) ويقرها (أبويا) فالجزء الأول (أت) أكادى والثانى (ويا) آشورى .

فهذه هى الطريقة نفسها التى اتبعها كتاب الفهلوية حين كتبوا (أبتر) وقرءوا پتر (= پدر) وهو فى الفارسية الحديثة بمعنى أب ، وحين كتبوا (گبرا أم) وقرءوا (مردم) ، وحين كتبوا (يكتبون نن) وقرءوا نوشتن ، فالجزء الأول من كل هذه الكلمات آراى والثانى فارسى .

فمن كان يقرأ مثل هذه الكلمات كان ينظر إليها على أنها رموز معنوية Ideograms ، لا على أنها مقاطع لفظية ؛ ولذا كان يقرؤها بمعناها لا بلفظها ؛ كأنما كان يترجمها إلى لغته ولا يقرؤها بلفظها فى اللغة الأجنبية . مثله فى ذلك مثلنا حين نرى E. فى الإنجليزية فنقرأ That is to say وحين نرى etc فنقرأ and so on وحين نرى S فنقرأ and ويقرب من ذلك ما نفعله فى العربية حين نكتب (أه) ونقرأ انتهى . وحين نكتب الخ ونقرأ إلى آخره ، وحين نكتب (ص) ونقرأ صلى الله عليه وسلم ، على أن ما نفعله نحن فى هذه الأمثلة وما يشبهها يخالف النظام الهزوارشى ، فهناك كلمة تكتب ويعبر عنها بكلمة أخرى لا تمت إليها بصلة لفظية ، أما ما نفعله فهو على سبيل الإيجاز ، فإننا نستغنى عن الكلمة أو العبارة ببعض حروفها .

وقد اختلفت فى بيان اشتقاق كلمة هزوارش التى يقصد منها العناصر السامية المستعملة فى اللغة الفهلوية ؛ فمن قائل إنها مأخوذة من هزوان آسور (= لغة آشور) ومن قائل إنها من هاسورسى (= هذا سريانى) . ويرى بعض

الباحثين أن هذه الكلمة مشتقة من مصدر فعل فارسي قديم هو زواریدن ، بمعنى قَدُمَ أو هُجِرَ ، أو من فعل آخر يعتقد دارمستيتز أنه درس وطال على قدمه العهد حتى لم يبق إلا فعل في العربية يشير إلى معناه وهو زَوَّرَ . ويرجح العلامة برون^(١) هذا الرأي ، ويستدل على ذلك بأن في نظام الهرتوارش شيئاً من التزييف القائم على قراءة كلمات بحروف غير حروفها المكتوبة .

هذا ومع أن الحروف العربية قد غزت بلاد إيران إبان الفتح الإسلامي فإن النظام الأبجدي الفهلوي قد استمر في عهد الخلفاء الأولين ، وقد ظل الإسفهباديون المتغلبون في إقليم طبرستان يستعملونه نحو قرن من الزمان بعد الفتح الإسلامي ، كما ظل الزرادشتيون يستعملونه في تدوين الأدب الفهلوي قرناً آخر تقريباً . وقد بطل استعماله في القرن التاسع الميلادي على أكثر تقدير ، ولذا يمكن أن يقال على وجه التقريب إن الحروف الفهلوية قد بطل استعمالها منذ نحو ألف وخمسين سنة تقريباً .

هذه هي الحروف الفهلوية ، أما اللغة الفهلوية فيمكن أن يقال في ضوء ما تقدم إنها لهجة إيرانية ؛ ذلك أن اللهجات الفارسية القديمة قد تطورت وتولدت منها لهجات أخرى ظهر أمرها في العصر المتوسط ، وجاءت الدولة الساسانية فاتخذت أشهر هذه اللهجات — وهي اللغة הפרثوية — لغة لها ؛ لأنها كانت لغة البارثيين الذين كانوا يملكون إيران من قبل الساسانيين .

ويمثل هذه اللغة — كما قلنا من قبل — النقوش المدونة على الآثار الفارسية .

(١) راجع كتابه نفسه ج ١ ص ٨١

والأوسمة ، والجواهر ، والخواتم ، والنقود ، وكذلك طائفة لا يستهان بها من الأدب
الفارسي تكاد تساوى في كمها ما احتوى عليه العهد القديم . أما موضوعاتها فلا تكاد
تخرج عن تعاليم دينية ، وأدعية وصلوات كهنوتية ، وبعض أساطير ونظم اجتماعية .
وإذا استثنينا من هذه النقوش والآداب ما يسمى بالرموز الهزواشية وجدنا أن
اللغة الفهلوية تقرب كثيراً من اللغة الفارسية الحديثة الحالية — إذا تصورنا خلوها
من العناصر الأجنبية ، واشتمالها على مفردات غريبة مصقولة بالصيقل الحديث .

٣ — النقوش الفهلوية

يقرر الثقات من الباحثين أن أقدم ما وصل إلينا من اللغة الفهلوية هو بعض النقوش المدونة على قطع من النقود البارثية التي يرجع عهدها إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، أى بعد سقوط الدولة الأخمينية مباشرة . وقد استمرت النقود الفارسية تحمل نقوشاً فهلوية في أواخر الدولة البارثية وخلال العصر الساساني كله وأوائل العصر الإسلامي ؛ فقد كان الاسهبندات أمراء طبرستان ، وحكام فارس الأولون من العرب يضربون النقود الفارسية محلاة بنقوش فهلوية .

ومعنى ذلك أن استعمال النقود الفارسية التي تحمل نقوشاً فهلوية قد استمر فترة من الزمن تبلغ نحو عشرة قرون ؛ أى من حوالى ٣٠٠ سنة ق م إلى سنة ٦٩٥ م ، وذلك حين ألغى عبد الله بن مروان — الخليفة الأموى (٦٥ — ٨٦ هـ) النقود الفارسية ، واستبدل بها نقوداً عربية تحمل نقوشاً عربية . وتوجد نقوش فهلوية أخرى على بعض الآثار التاريخية الفارسية يرجع عهدها إلى أوائل العصر الساساني ، وأقدمها نقشا أردشير بن بابك (٢٢٦ — ٢٤٠ م) أول ملوك الدولة الساسانية ، وشابور بن أردشير (٢٤٠ — ٢٧٢ م) ثانى ملوك هذه الدولة .

وقد استمر النقش بالفهلوية على الصخور إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، وتعد نقوش كهرف سالسيت Salsette — على مقربة من بمباى بالهند — أحدث ما عثر عليه من النقوش الفهلوية . ويعزى حفر هذه النقوش إلى بعض البارثيين الذين

زاروا تلك الكهوف عامي ١٠٠٩ ، ١٠٢١ م .

وفيما بين هذا وذاك من أقدم النقوش الفهلوية وأحدثها توجد عشرة توقعيات بالفهلوية على لوحة من ست لوحات من البرنز ، قدمت هدية للمسيحيين من السريان الذين كانوا يقيمون على ساحل ملبار بالهند ؛ فقد كتب بيان هذه الهدية بالخط التاميلي القديم على اللوحات الخمسة الأخرى ، وخصصت اللوحة السادسة لتقوقيات الشهود الذين شهدوا بالإهداء ، وكانوا خمسة وعشرين شاهدا ، وقع أحد عشر منهم بالخط الكوفي العربي ، وعشرة بالخط الفهلوي الساساني ، وأربعة بالفارسية الفهلوية مكتوبة بحروف عبرية .

٤ — الأدب الفهلوى^(١)

يراد بالأدب الفهلوى الأدب الفارسي الذي ظهر بوجه خاص في عهد الدولة الساسانية (٢٢٦ — ٦٥٢ م). ويكاد هذا الأدب يساوى في كمه ما احتوى عليه العهد القديم. أما موضوعاته فلا تكاد تخرج عن تعاليم دينية، وأدعية وصلوات كهنوتية، وبعض أساطير تاريخية، ونظم اجتماعية كما سترى مفصلاً فيما بعد. وقد كان من الطبيعي أن يستمر هذا الأدب الفهلوى بعد سقوط الدولة الساسانية وقيام الدولة الإسلامية؛ فلا شك أننا نجد من هذا الأدب كتاب *كُجَسْتِكْ أْبَالِشْ نَامِه* (*Cojastik Abalish Nameh*) الذي يقص علينا قصص محاورة دارت بالفهلوية أمام المأمون الخليفة العباسي (١٩٨ — ٢١٨ هـ) بين القديس الزرادشتي المحافظ *آتُرْ فَرَنْبَكْ* (*Atur Fārnbag*) بن فروخ زاد وبين أحد الزنادقة الثنوين من المانيين.

وعلى ذلك يمكن أن يقال إن عصر الأدب الفهلوى يمتد من القرن الثالث إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي، وذلك حين انقرض هذا الأدب ولم يبق له أثر إلا بين الزرادشتيين الذين ما زالوا يستخدمون لغة فهلوية لا تخلو من التحريف. وأقدم ما بقي حتى الآن من النصوص الأدبية الفهلوية ما دون على بعض صفحات من ورق البردي وجدت بالفيوم المصرية، ويقال إنها دونت في القرن الثامن

(١) راجع في هذا البحث « تاريخ أدبي لفارس » تأليف العلامة براون ج ١ ص

الميلادى . ويليهما فى القدم نسخة خطية من سفر الياسنا الفهلوى ثم تدوينها فى ١٣٢٣/١/٢٥ م .

وقد استمر نسخ المؤلفات الفهلوية بأيدى النساخ إلى أن اخترعت الطباعة الفهلوية ، فطُبعت أهم الكتب الفهلوية ، وأخذت صناعة النسخ فى التدهور — كما هى الحال بالنسبة لما ألف باللغات الشرقية الأخرى .

ويقسم العلامة ويست West الأدب الفهلوى ثلاثة أقسام هى : —

١ — ترجمات فهلوية من نصوص الأَبَسْتاق ، وتسمى الزَّند^(١) . وتشمل سبع

رسائل بعضها كامل والبعض الآخر ناقص . ويقدر ما حوته من الكلمات بنحو ١٤١ ألف كلمة . ومع أن هذه الترجمات ذات قيمة لا يستهان بها فى شرح الأَبَسْتاق فليس من الحق اعتبارها أدباً فهلوياً حقيقياً ؛ ذلك لأن المترجمين من البارسيين كانوا مقيدين فى ترجمتهم بنصوص الأَبَسْتاق ونظمها الكلامى .

٢ — نصوص فهلوية دينية ، تمثلها خمس وخمسون رسالة ، يقدر عدد كلماتها بنحو ٤٤٦ ألف كلمة . ويشمل هذا القسم أدعية ، ونصائح ومواعظ ، وكلمات دينية مأثورة ، كما يشمل كتابين هامين هما : —

(١) دينكارت : أى الأعمال أو الشرائع الدينية ، ويتضمن مجموعة عظيمة من المعلومات المتعلقة بالأصول والعادات والتقاليد الدينية التى يعتنقها من يعبدون مزدا ، أو بتاريخ ديانة زرادشت وأدائها .

(١) من معانى زند بالفارسية : الروح والحياة ، ولذا يقال للسكان الحى زنده ، وسمى شرح الأَبَسْتاق زند إشارة إلى أنه كتاب حي باق وتفاوتاً بأنه سيبقى حياً . والزند فى الفارسية والعربية هو الحجر الذى تنشأ النار من احتكاكه بحجر أسفل منه يسمى بالفارسية پازند . وتطلق كلمة زند على الطائفة من الناس ، والپازند على شرح للزند بالآرامية .

وقد بدأ تأليف هذا الكتاب في القرن التاسع الميلادي آثر فرنبگ بطل الديانة الزرادشتية الأنف الذكر ، الذي ظهر أمام المأمون يدافع عن هذه الديانة ، ويبطل مزاعم أبالش « اللعين الملمحد » زعيم الديانة الثنوية المانية . وقد فرغ آثر من تأليف هذا الكتاب في أواخر ذلك القرن نفسه .

(ب) بندهش (بن + دَهش = وضع الأساس أو التأسيس) ، وهو كتاب ديني ضخيم تتكون نسخته الكاملة المسماة بالنسخة الإيرانية من ٤٦ فصلا . ويظهر أن تأليفه قد تم في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بعد الميلاد ، وأن معظمه قد ألف قبل ذلك بزمان طويل .

ويشمل القسم الثاني من أقسام الأدب الفهلوي عدا هذين الكتابين ما يأتي :
(١) داتستان دينيك (المذاهب الدينية) ألفه منوش چهر بن يودان يم .
ويشمل اثنين وتسعين مبحثاً من المباحث الدينية . ويعد في نظر ويست من أصعب الكتب الفهلوية فهماً وترجمة .

(ب) شِكَنْد كُومَانِك وِيجار (البيان المزيل للشكوك) ، ألف في أواخر القرن التاسع الميلادي . وهو كتاب ديني مدني ، ألفه صاحبه في الدفاع عن آراء الزرادشتيين في طبيعة الشر وأصله ، وبطلان آراء اليهود والنصارى والمانيين والمسلمين في ذلك . وهو في رأى ويست أشد المؤلفات الفهلوية الأدبية الموجودة الآن اقتراباً من الفلسفة الدينية .

(ح) ديناي مينيوى خرد Dinà - i - Mainyo - i - Khirad (آراء روح الحكمة) ويتضمن إجابات هذه الروح عن اثنين وستين سؤالاً عن العقيدة الزرادشتية .

(د) أردہ ویراف نامک : وهو کتاب یمکن أن یوصف علی سبیل
الإيجاز بأنه رسالة نثرية زرادشتية تشبه رواية الفردوس والجحيم لدانتی . ویمتاز
بأنه یشرح الفوضى المادية والدينية التي حلت بفارس علی أثر غزو الإسكندر اللعین
لها ، ویبین النهضة الوطنية والدينية التي تمت فی العهد الساسانی فی القرن الثالث
المیلادی ، ویوضح آراء الزرادشتیین فی الیوم الآخر . وعند الکلام علی الیوم
الآخر یتحدث الکتاب عن الصراط ، وعن الحوراء التي تمثل أحد الأبرار ، وتقول
حين تسأل عن شخصيتها إنها تمثل الأعمال الصالحة ، والكلمات الطيبة ، والأفکار
الحسنة التي صدرت عن ذلك البرّ فی حياته فی الدنيا .

(هـ) ماتگان گجستک أبالش : وقد سبق الکلام علیه .

(و) جاماسب نامک : ولا یوجد کاملاً إلا باللغتين الیازندية والفارسية الحديثة .

و یتضمن أساطیر شائعة عن قدماء ملوک ایران فی عهد البطولة الأسطوری .

(ز) أندرز خُسرو گواتان (نصائح کسری نوشروان) (أنو شکرُبان)

ابن قباد لتلاميذه) ، ولهذا الکتاب علی صغر حجمه قيمة خاصة من الوجهة اللغوية .

٣ — نصوص فهلوية فی موضوعات غیر دينية ، وتبلغ حوالی أحد عشر مؤلفاً ،

بها نحو ٤١ ألف کلمه . وهذا القسم يشوق القارئ ، ویجذب انتباهه أكثر من غیره
من الأقسام — مع کونه علی ما ترى أصغر حجماً .

ولا ريب أن مؤلفات متعددة من هذا النوع قد ألفت فی العصر الساسانی ،
ولکن كثيراً منها قد انقرضت ولم یبق منها إلا أسماءها ، أو ما ذکره المتقدمون من
کتاب العربية عن بعض محتوياتها ، وذلك مثل « خدای نامه » = « سفر الملوک » .
والسبب فی ضیاع مثل هذه الکتب هو السبب نفسه الذي أدى إلى ضیاع

نصوص الأستاق العلمية والفلسفية ، وهو عدم اهتمام جال الكهنوت من الزرادشتيين بالمؤلفات الدنيوية ؛ فقد كان هؤلاء وحدهم هم حفظة الأدب الفارسي بعد سقوط الدولة الساسانية ، وقد وجهوا كل اهتمامهم إلى حفظ الكتب الدينية .
وخلاصة القول أنه لم يبق لدينا من القسم الثالث من أقسام الأدب الفهلوى إلا ما لا يتجاوز عدده أحد عشر مؤلفا هي :—

١ — كتاب قوانين المجتمع الزرادشتي في عهد الساسانيين (٢) ياتكار زريان ، أو شاهنامه گشتاسب . وهو في الفهلوية بمنزلة شاهنامه الفردوسي في الفارسية الحديثة . وسنتكلم عنه بشيء من التفصيل فيما بعد .

٣ — قصة خسرو گواتان (كسرى نوشروان بن قباد) مع خادمه .

٤ — كارنامك ارتخشير بابكان (سفر أعمال أردشير بن بابك) مؤسس الدولة الساسانية . وقد نشر هذا الكتاب بالفهلوية في بمباى بالهند سنة ١٨٩٦ ، ونشر العلامة نولدكه الألماني ترجمة ممتازة له ، مع تعليقات نقدية في كوكنجن سنة ١٨٧٨ م ، ولما لهذا الكتاب من قيمة أدبية خاصة سنتكلم عنه بشيء من التفصيل فيما بعد .

وتعد هذه الكتب الثلاثة الأخيرة ما بقي من القصص التاريخية التي ظهرت في العصر الساساني . أما ما عداها فقد ورد ذكر أسماء بعضها في مؤلفات المؤرخين من العرب الذين كانت لهم دراية يعتمد عليها بالتاريخ والآداب الفارسية ، وفي مقدمتهم الجاحظ (٨٦٩ م) والكسروي (٨٧٠ م) وابن قتيبة (٨٨٩ م) والبلاذري (٨٩٢ م) والدينوري (٨٩٥ م) واليعقوبي (٩٠٠ م) والطبري (٩٢٣ م) والمسعودي الذي ظهر أمره في منتصف القرن العاشر الميلادي . ومن أشهر

مؤلفاته مروج الذهب ، والتنيه والإشراف ، وحمزة الأصفهاني (٩٦١ م) ، ومحمد ابن أسحق المعروف بابن النديم صاحب كتاب الفهرست (في أواخر القرن العاشر الميلادي) والبيروني (في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي) . ومن المؤلفات الفارسية الحديثة التي نستقي منها معلومات قيمة عن تاريخ قدماء الفرس وآدابهم تفسير الطبري للبلعمرى (٩٦٣ م) والشاهنامة للفردوسي . وكذلك كتاب مجمل التواريخ الذي لا يعرف مؤلفه .

ومن الأقاويص التي انقضت أصولها الفهلوية قصة مغامرات بهرام چوبين التي نشر نولدكه خلاصة لها في كتابه المسمى « التاريخ الساساني » Gxesehichte des Sasaniden المطبوع في ليدن سنة ١٩٧٩ م .

أما المؤلفات السبعة الباقية من هذا القسم فهي رسائل صغيرة الحجم وهي : —
١ — رسالة في مدن إيران . (٢) رسالة في عجائب سجستان (٣) درخت آشوريك (شجرة آشور) .

٨ — چترنگك نامه (كتاب الشطرنج) .

٩ — رسالة في العبارات التي تفتج وتختم بها الرسائل .

١٠ — رسالة في عقد الزواج ثم تأليفها في ١٦ / ١١ / ١٢٧٨ م .

١١ — فرهنگك پهلويك (معجم الفهلوية) طبعه هوشنگك وهوگك في لندن و بمباي سنة ١٨٧٠ م . وبجانب هذه الكتب المؤلفة بالفهلوية توجد بعض مؤلفات بالفارسية الحديثة في الديانة الزرادشتية والإسلامية أهمها :

١ — زردشت نامه ، ألف شعرا في الري في القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ — صدر (المائة فصل) وهو مختصر في العقائد الزرادشتية ذو ثلاث

صور؛ واحدة نثرية واثنان منظومتان . أولاها أقدمها .

٣ — علماء الإسلام : ويتضمن العقائد الإسلامية .

٤ — الروايات : وهو مجموعة من التقاليد الدينية .

٥ — قصة سنجان : ويتضمن قصة هجرة الزرادشتيين من إيران إلى الهند .

بعد الفتح الإسلامي . هذا إلى بعض كتب ألقت بالفارسية الحديثة مترجمة عن نصوص فهلوبة .

والآن نتحدث — كما وعدنا — بشيء من التفصيل عن الكتابين الهامين
الآنفي الذكروهما :

أولا : ياتكارزيران ، أو شاهنامه گشتاسب :

يصف هذا الكتاب ما وقع بين أرجاسب وگشتاسب من حروب ، حين
رفض الثاني ما عرضه عليه سفير الأول من التخلي عن الديانة الزرادشتية التي كان
قد اعتنقها حديثا .

وقد كان لوزير أخى گشتاسب الفضل في تحدى أرجاسب ، ودخول الحرب
ضده والانتصار عليه . وقد أظهر وزير في هذه الحرب من صفات البطولة ، وجرى
على يديه من عجائب الأعمال ما جعله خليقا بأن يمنح لقب « بطل » — على الرغم
من أنه قتل في المعركة .

ثانياً : كارنامك ارتخشير بابكان (سفر أعمال أردشير بن بابك) :

يعد هذا الكتاب أشد مشابهة لشاهنامه الفردوس من كتاب يادتكار
وزيران . وهو يعرض قصة أردشير بن ساسان ، ويذكر أن أمه كانت ابنة أحد
المرازبة المسمى بابك .

ومع أن ساسان أبا أردشير كان من الرعاة المتواضعين فإنه كان في الواقع من نسل دارا . ولما بلغ ابنه أردشير الرشد استدعاه ملك إيران الأعظم إلى قصره . وبعد أن أقام هنالك مدة طرد لشجار حدث بينه وبين ولي العهد . ولكن أردشير لم يلبث أن قوى وحشد الجنود ، وذهب يقودهم إلى دار الملك . وشبت بين الفريقين نار حرب انتهت بأن تغلب أردشير وجلس على عرش الملك ، وتزوج من ابنة الملك المقتول (أرتبانوس = أردوان = البارثي) . وهكذا يسير الكتاب في عرض قصة أردشير ومغامراته إلى نهايتها .

ولا يعرف بالضبط متى ظهر هذان المؤلفان ، ولكن يظن أنهما ظهرا في أواخر الدولة الساسانية ؛ نتيجة لتشجيع بعض المتأخرين من الأكاسرة . ومن المؤكد أن الشاعر الدقيق الذي بدأ الشاهنامه في العهد الساماني ، والفردوسي الذي أكملها في العصر الغزنوي ، قد انتفعا بهذين المؤلفين إلى أبعد حد . غير أن أسلوب الكتابين سهل سلس ، خال من التتميق اللفظي والمحسنات البديعية ، وحوادث القصة في كل منهما تتلاحق ، ويأخذ بعضها بحجز بعض ، دون استطراد أو خروج عن الموضوع . أما أسلوب الشاهنامه فتمنق ، مثقل بالمحسنات البديعية والزخرف اللفظي ، وفيه كثير من المبالغة والحشو والاستطراد . ومن يقرأ الشاهنامه يجد أن الفردوسي يتبع هذا الأسلوب نفسه في سرد الحوادث التاريخية التي وقعت من بعد عهد أردشير إلى ما بعد الفتح الإسلامي . ومع وجود هذه الفروق فإنه لا يصعب على القارئ أن يدرك ما بين هذين الكتابين والشاهنامه من علاقة وثيقة ، ومشابهة واضحة من حيث الشكل والموضوع .

٥ — الشعر الفهلوى

لم يؤثر عن العهد الساسانى شعر ، إذا فهمنا من الشعر معناه الذى يتبادر إلى الذهن ، وهو الكلام الموزون المقفى .

ولم ينقل إلينا التاريخ أنباء عن شعراء كان لهم شأن يذكر فى هذا العهد . ومع أنه يبدو من الغريب ألا يكون لكبار الأكا سرة من الساسانيين — أمثال أنوشروان وكسرى برويز — شعراء يخلدون آثارهم ، ويمدحون فعالهم — فمن الممكن أن يقال — فى تعليل ذلك — إن الفن الإيرانى الساسانى قد اتجه إلى إقامة التماثيل الضخمة ، وبناء القصور الفخمة — أكثر مما اتجه إلى الشعر والأدب .

(٤)

العصر الإسلامي

- ١ — عصر صدر الإسلام .
- ٢ — نفوذ الفرس في الدولة العباسية .
- ٣ — استقلال الأوطان الفارسية .

العصر الإسلامي

١ — فارس في عصر صدر الإسلام

في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتح المسلمون بلاد فارس ، وانتصروا على الفرس ، ودخلوا المدائن عاصمة ملكهم سنة ١٦ هـ ، سنة ٦٣٧ م . وكانت الموقعة الفاصلة موقعة نهاوند ، التي لم يقع للعرب مثلها ؛ ولذا تسمى بفتح الفتوح ، وبها قضى على الجيش الفارسي ، وصارت فارس جزءا من الإمبراطورية الإسلامية . وكانت هذه الموقعة سنة ٢١ هـ ، سنة ٦٤٣ م . أما كسرى يزدرجرد الثالث — آخر أكاسرة الساسانيين — فقد فر هارباً ، وظل المسلمون يطاردونه حتى قتل في خلافة عثمان سنة ٣١ هـ وبقتله انقرضت الأسرة الساسانية سنة ٦٥١ م .

وكان من الطبيعي أن ينشر العرب الفاتحون في إيران المغلوبة على أمرها التعاليم الإسلامية ، واللغة العربية : لغة القرآن والدين ، وأن تحمل الحروف العربية محل الحروف الفارسية الفهلوية ، وأن يحدث في إيران انقلاب عام يشمل جميع مظاهر الحياة الفارسية .

فقد تغيرت العقلية الفارسية ، وأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والآخرة نظرة جديدة ، واضطر الفرس إلى تعلم العربية ليفهموا القرآن كتابها المقدس ، ويتفقهوا في أحكام الدين الجديد ، المستنبطة من الكتاب المقدس ، ومن الحديث النبوي . ولم يكن في استطاعتهم أن يقاوموا هذه القوة المادية الروحانية الإسلامية التي غمرتهم ، وأحدثت بهم من كل جانب ، وملأت عليهم جميع أنحاء حياتهم .

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة لم تزل عالقة بأذهانهم ، فأثرت — دون شعور منهم — في عقائدهم وتقاليدهم الجديدة . وبقيت آثار لغتهم وآدابهم كامنة في صدورهم ، أو مدونة في بعض الكتب ، أو متداولة فيما بينهم في منازلهم ، حتى ظهر أمرها حين قامت قاعمتهم ، وتآلق نجمهم في أفق التاريخ مرة أخرى ، فحاولوا إعادة مجدهم ، وإحياء علومهم وآدابهم في العصور التالية .

أما الآثار الدينية فقد تجلت في مذهب الشيعة الذي ظهر أمره بعد قتل الإمام على كرم الله وجهه ، وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها في بعض الأعياد والمواسم الفارسية التي استمرت في عهد الدولة الإسلامية . وأما الآثار اللغوية الأدبية فقد ظهرت بإدخال ألفاظ فارسية في اللغة العربية ، ثم بنهضة اللغة والآداب الفارسية ، حين أسس السامانيون ملكاً عظيم الشأن بخراسان وما وراء النهر كما سترى بعد .

ولا يعرف إلا القليل عن أحوال إيران الداخلية في أثناء المائة والخمسين سنة التي تلت الفتح الإسلامي . وكانت البلاد من الوجهة السياسية جزءاً من الخلافة الإسلامية يؤدي الزكاة أو الجزية ، ويراقب مراقبة شديدة طبقاً لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بني أمية .

فمن غير المحتمل إذاً أن يظهر في إيران في العصر الإسلامي الأول أدب فارسي قومي . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ؛ بحجة أنها زائدة على الحاجة ، ومن الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذي يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستقى جميع المعلومات .

أضف إلى ذلك أن آداب الأمة العربية الفاتحة نفسها كانت في ذلك العصر

محدودة جدا ، وكان الشعر العربي حينئذ يحاكي الشعر الجاهلي في أسلوبه وأغراضه ، وكان في الكثير الغالب شخصيا في موضوعه ؛ يعرض أعمال الشاعر ومنزلاته بين قومه ، أو أعمال الممدوح وصفاته الشخصية المبالغ فيها — أكثر مما يسجل مفاخر الإسلام ، وانتصارات المسلمين ، وذلك كما في أشعار عمر بن أبي ربيعة والأخطل وجريير والفرزدق .

وكان انقسام المسلمين إلى طوائف من دواعي ظهور الشعر السياسي ؛ إذ كان لكل طائفة شعراء يدافعون عنها ، ويسجلون مفاخرها ، وذلك كما في شعر الكميت والطرماح بن حكيم . فليس من المنتظر وهذه حال الفاتحين أن يهتم بأدبهم الفرس المغلوبون .

في ضوء هذا كله نستطيع أن نقول — على وجه العموم — إن الأدب الفارسي كان في عصر صدر الإسلام في حالة صمت رهيب ، وركود تام ، بل ظلام دامس .

٢ — نفوذ الفرس في الدولة العباسية

قد أدى تدمير العرب والعجم معا من الدولة الأموية إلى قيام ثورة عامة ضدها ، كان للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وانتهى الأمر بسقوط هذه الدولة وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ سنة ٧٥٠ م ، ثم حلت بغداد محل دمشق فصارت عاصمة الخلافة العباسية . وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين فيما بعد انتصارا للفرس أنصار الأول على العرب أنصار الثاني .

وكان من نتائج ظهور أمر الفرس واتصال العرب بالحضارة الفارسية أن اختفت خشونة العرب ، ولانت طباعهم ، ورقت أخلاقهم ، وبدأ عهد ثقافي جديد ، تسوده روح التسامح والوئام ، وحرية التفكير ، والرغبة في البحث العلمي . وحل التدوين والتأليف محل الرواية الشفوية . وتبع ذلك ما شاع في قصور الخلافة من ميل إلى المجون والاستهانة بالأخلاق ، وما نقل عن النظام الفارسي السياسي من تقديس الأئمة من أنباء على^(١) ، والقضاء على البقية الباقية من الديمقراطية الإسلامية بإطلاق الحرية للحكام ، وتسليط الخلفاء والوزراء والولاة على رقاب الناس . فكان نظام الحكم أقرب إلى النظام الاستبدادي منه إلى النظام الديمقراطي القائم على التقيد بأحكام الشريعة .

يقول صاحب كتاب الفخرى في هذا الصدد :

« واعلم أن الدولة العباسية كانت ذات خدع ودهاء وغدر ، وكان قسم التحيل

(١) وذلك بناء على عقيدتهم القديمة المسماة : عقيدة حق الملوك المقدس ، التي تقضى ألا يتولى العرش إلا الوارث الشرعي للملك السابق .

والخداعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة ، خصوصاً في أواخرها ؛ فإن المتأخرين منهم أبطلوا قوة الشدة والنجدة ، وركنوا إلى الحيل والخدع . وفي مثل ذلك يقول كشاجم ، مشيراً إلى موادعة أصحاب السيوف وعداوة أصحاب الأقلام ، ومقاتلة بعضهم لبعض :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضى بها أوقاتها في التمتع
فكم فيهم من وادع العيش لم يهج لحرب ولم ينهد لقرن مصمم
يروح ويغدو عاقداً في نجاده حساما سليم الحدد لم يتعلم
ولكن ذوو الأقلام في كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم
ويقول بعض الشعراء حين قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات :

يكاد القلب من جزع يطير إذا ما قيل قد قتل الوزير
أمير المؤمنين قتلت شخصاً عليه رحاكم كانت تدور
فمها — يا بني العباس — مهلاً لقد كُويت بغدركم الصدور
« إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن ، حجة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة ، والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة ، والحرمت مرعية ، والثغور محصنة . وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر ^(١) . »

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) — الذي يسمى أحياناً : «العصر الذهبي للخلافة الإسلامية» — من الوجهة السياسية — بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم ، وفي مقدمتهم البرامكة ، الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شئون

الخلافة زهاء خمسين سنة — ومن الناحية الثقافية التفكيرية — بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة بقصور الخلافة ، تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ، ويشترك فيها في البحث والجدل ذوو العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء — ومن الناحية الدينية — بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم : « أهل العدل والتوحيد » ، ويصفهم الفرنجة بأنهم : « أرباب التفكير الحرفي الإسلام » . ولما تولى المتوكل الخلافة (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) انقلبت الأوضاع ؛ فانتقلت السيطرة كلها تقريباً من الفرس إلى الأتراك ، الذين عرفوا بجفوة الطباع ، وعدم الميل إلى حرية التفكير ، وبشدة التمسك بمذهب أهل السنة . وضعف شأن الاعتزال ، ولم يجد له من الخليفة نصيراً ، وحل محله في النفوذ والقوة مذهب أهل السنة ، وقويت المعارضة للاشتغال بالفلسفة ، وانصرف الناس — ولو إلى حين — عن التشيع لبيت على .

ومن النظم السياسية التي اقتبست من النظم الفارسية في مستهل الدولة العباسية : إنشاء وظيفة وزير . وفي ذلك يقول صاحب كتاب الفخرى : — « الوزير وسيط بين الملك ورعيته ، فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك ، وشطر يناسب طباع العوام ؛ ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة . والأمانة والصدق رأس ماله . قيل : إذا خان الوزير بطل التدبير . وقيل : ليس لكذب رأس . والكفاءة والشهامة من مهماته ، والفطنة والتيقظ والذكاء والحزم من ضرورياته . ولا يستغنى أن يكون مفضالاً مطعماً ؛ ليستميل بذلك الأعناق ، وليكون مشكوراً بكل لسان . والرفق ، والأناة ، والتثبت في الأمور ، والحلم ، والوقار ، والتمكن ، ونفاذ القول مما لا بد منه . »

« والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بنى العباس . أما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية . فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجب والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة ، وسمى الوزير وزيراً ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً . »

« قال أهل اللغة : الوزر الملبأ والمعتصم ، والوزر الثقل . فالوزير إما مأخوذ من الوزر فيكون معناه أنه يحمل الثقل ، أو يكون مأخوذاً من الوزر ، فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتديره . وكيف تقلبت لفظة وزير كانت دالة على الملبأ والثقل » .^(١)

ومن مظاهر السيطرة الفارسية في عهد الدولة العباسية شيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدى النيروز والمهرجان^(٢) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة . وقيل إن المنصور كان أول من لبس القلنسوة . وتدل بعض قطع النقود التي ضربت في عهد المتوكل أنه كان يرتدى الملابس الفارسية .

ولم يكن سلطان الفرس مقصوراً على التدخل في شئون الحكم ، بل إنهم كانوا في طليعة المؤلفين والكتاب والشعراء . ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم المبرزين في هذا الميدان كانوا من الفرس الذين

(١) المرجع السابق ذكره ص ١١٠ — ١١١

(٢) يحتفل بعيد النيروز يوم ٢١ مارس أو أول شهر فروردین أول شهور السنة الإيرانية . وهو عيد الاعتدال الربيعي . ويحتفل بعيد المهرجان يوم ٢١ سبتمبر أو أول شهر مهر ، وهو الشهر السابع من الشهور الإيرانية ، وهذا هو عيد الاعتدال الخريفي .

أطلق عليهم اسم الموالى . وليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم والفنون اتصالاً باللغة العربية ، والقرآن ، والحديث ، والشرعية الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعى الأحاديث ، وكثير من الفقهاء .

هذا في حين أن العرب كانوا يأنفون من الاشتغال بهذه العلوم ، ويعدون من توافه الأمور ، التي لا تليق بذوى النسب والحسب من العرب ، وإنما تليق بمعلمى الصبيان ، الذين يلجئون إليها لتعويضهم مما فاتهم من كرم النسب ، وطيب الحسب . وفى هذا الموضوع يقول ابن خلدون :

« من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامى أكثرهم العجم . إلا فى القليل النادر . وإن كان منهم العربى فى نسبه فهو عجمى فى مرباه ومشيجته ، مع أن الملة عربية ، وصاحب شريعته عربى . »

« فكان صاحب صناعة النحو سيديوه ^(١) والفارسى ^(٢) من بعده ، والزجاج ^(٣) من بعدهما ، وكلهم عجم فى أنسابهم ، وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتمسبوه بالمربى ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفناً من بعدهم . وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم ، أو مستعجمون باللغة والمربى . وكان علماء

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى سنة ١٨٠ هـ .

(٢) هو أبو على الحسن بن أحمد على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وهو أستاذ

أبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) هو أبو إسحق إبراهيم الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ . ويؤخذ من هذا أن الزجاج توفى قبل الفارسى بنحو ٦٦ سنة . فالظاهر أنه كان متقدماً على الفارسى لا متأخراً عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤخذ مما ذكره السيوطى فى بغية الوعاة أن الفارسى أخذ عن الزجاج ، ومبرمان ، وابن السراج .

أصول الفقه كلهم مجماً كما يعرف ، وكذا حلة علم الكلام ، وكذا أكثر المفسرين .
ولم يَقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم . »

« وأما العرب الذين أدر كوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا إليها عن البداوة —
فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية . فإنهم كانوا أهل الدولة وحمايتها وأولى سياستها ،
مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع . والرؤساء
يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجري إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من
العجم والمولدين ^(١) . »

ومع أن الفرس قد خذقوا اللغة العربية ، وكانت لغة الدين والسياسة والعلم
لديهم فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية وأتقنوها ونبغوا فيها .
وقد تصدى العلامة الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر لهذا الموضوع ، فترجم لكثير
من شعراء العربية من الفرس الذين نشئوا في أحضان الدولة البويهية في بغداد ،
والعراق العربي ، وأواسط فارس ، وفي رعاية الدولة الزيارية بطبرستان ، وبخاصة
في عهد شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وفي حماية الأمراء السامانيين في
خراسان وخوارزم .

والحق أن هذا الكتاب ذخيرة علمية قيمة تعطينا فكرة واضحة عن حالة
الأدب العربي من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ في بلاد إيران كلها — من بغداد
إلى خوارزم . ومن دراسة هذا الكتاب نعلم علما لا يتطرق إليه الشك أن أدباء
الفرس قد مهروا في صناعة الشعر العربي ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة في
طول إيران وعرضها ؛ فقد كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربي

فصيح ، ويقدمونها لسادتهم من بنى جنسهم فيعجبون بها ، ويحيزونهم عليها .
وخلاصة القول : أن قوة النفوذ الفارسي في العصر العباسي لم تضعف من شأن
العربية وآدابها ، بل أن هذه اللغة قد بقيت — كما قلنا من قبل — لغة الدين والسياسة
والعلم ، كما كانت محببة إلى نفوس الشعراء من الفرس ، فقد اتخذها علماء الفرس
وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم وتسجيل آرائهم ، وكان الجزء الأكبر من
إنتاجهم العلمي والأدبي جزءاً لا يتجزأ من صميم الأدب العربي . بيد أن هذا
الإنتاج يجب أن يعتد به في تقدير العبقرية والمهارة الفارسية . ولا يستطيع أحد أن
ينكر ما كان لأفاضل الفرس وعلمائهم الأعلام النابيين في مختلف ميادين العلوم
والفنون من آثار قيمة في النهضة العلمية الأدبية العربية ، التي بلغت أوجها في
العصر العباسي .

ولا يتسع المقام لذكر أسماء هؤلاء القوم وسرد مؤلفاتهم ، فيكفي أن نذكر
منهم : الإمام الطبري ، والعلامة البيروني في عالم التاريخ ، والبيضاوي ، والزمخشري
والرازي — في عالم التفسير ، والإمام البخاري — في عالم الحديث ، والتفطازاني في عالم
علم الكلام ، والفارابي ، وابن سينا ، والرازي — في عالم الفلسفة والطب ، ونذكر
في مقدمة الجغرافيين ابن خردادبه صاحب كتاب المسالك والممالك .

ولسنا بحاجة إلى ذكر أسماء علماء النحو واللغة من الفرس وسرد أسماء مؤلفاتهم ،
فهى أكثر من أن يتسع المقام لذكرها .

أما اللغة الفارسية فلم يبق لها في ذلك العصر إلا نظم الشعر البديع الذى كان
يجرى في أول الأمر على نمط الشعر العربى . ولا غرو فقد بقيت خراسان
وما وراء النهر — اللتان تعتبران مهد الأدب الفارس الحديث — خاضعتين للحكم

العربي أكثر من ثلاثة قرون . على أن العبقرية الفارسية لم تلبث أن تدخلت في نظام الشعر فغيرت وبدلت في أساليبه وبحوره ، فابتكرت أساليب وبحوراً جديدة تجاوزت بها ما رسمته العبقرية العربية . شأنها في ذلك شأن مهارتها في الفن ومقدرتها على التصرف في الدين الجديد ، وصبغه صبغة فيها شيء من عقائد الفرس القديمة على نحو ما ذكرنا من قبل .

٣ — استقلال الأوطان الفارسية

أخذت القومية الفارسية تنهض من كبرتها ، وتفيق من عقدها حينما ظهرت الأوطان الفارسية المستقلة منذ عهد المأمون ، فقد رأى هذا الخليفة أن يكافئ أكبر أعوانه ، وأنصاره من القواد ، فمنحهم إقطاعات يستقلون بإدارة شؤونها . وكان طاهر بن حسين أول من حظى بهذا الشرف ، فأسس الدولة الطاهرية بخراسان سنة ٢٠٦ هـ سنة ٨٢٠ م . وظلت قائمة حتى سنة ٢٥٩ هـ سنة ٨٧٢ م : وقد أخذت الديولتان الصفارية (٢٥٤ — ٢٩٠ هـ ٨٦٨ — ٩٠٣ م) والسامانية (٢٦١ — ٣٨٩ هـ ٨٧٤ — ٩٩٩ م) تحلان محلها .
وإليك بياناً موجزاً لأمراء كل من هذه الديولات :

(أ) أمراء الدولة الطاهرية :

- ١ — طاهر بن حسين ذو اليمينين (٢٠٥ — ٢٠٧ هـ ، ٨٢٠ — ٨٢٢ م)
- ٢ — طلحة بن طاهر (٢٠٧ — ٢١٣ هـ ، ٨٢٢ — ٨٢٨ م)
- ٣ — عبد الله بن طاهر (٢١٣ — ٢٣٠ هـ ، ٨٢٨ — ٨٤٤ م)
- ٤ — طاهر الثاني ابن عبد الله (٢٣٠ — ٢٤٨ هـ ، ٨٤٤ — ٨٦٢ م)
- ٥ — محمد بن طاهر الثاني (٢٤٨ — ٢٥٩ هـ ، ٨٦٢ — ٨٧٢ م)

(ب) أمراء الدولة الصفارية :

- ١ — يعقوب بن الليث (٢٥٤ — ٢٦٥ هـ ، ٨٦٨ — ٨٧٨ م)
- ٢ — عمرو بن الليث (٢٦٥ — ٢٨٦ هـ ، ٨٧٨ — ٩٠٠ م)

٣ — طاهر بن محمد بن عمرو (٢٨٦ — ٢٩٠ هـ ، ٩٠٠ — ٩٠٣ م)

(ح) أمرأه الدويلة السامانية :

- ١ — نصر بن نوح (٢٦١ — ٢٧٩ هـ ، ٨٧٤ — ٨٩٢ م)
- ٢ — إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ — ٢٩٥ هـ ، ٨٩٢ — ٩٠٧ م)
- ٣ — أحمد بن إسماعيل (٢٩٥ — ٣٠١ هـ ، ٩٠٧ — ٩١٣ م)
- ٤ — نصر الثاني ابن أحمد (٣٠١ — ٣٣١ هـ ، ٩١٣ — ٩٤٢ م)
- ٥ — نوح الأول ابن نصر (٣٣١ — ٣٤٣ هـ ، ٩٤٢ — ٩٥٤ م)
- ٦ — عبد الملك الأول ابن نوح (٣٤٣ — ٣٥٠ هـ ، ٩٥٤ — ٩٦١ م)
- ٧ — منصور الأول ابن نوح (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ ، ٩٦١ — ٩٧٦ م)
- ٨ — نوح الثاني ابن منصور (٣٦٦ — ٣٨٧ هـ ، ٩٧٦ — ٩٩٧ م)
- ٩ — منصور الثاني ابن نوح الثاني (٣٨٧ — ٣٨٩ هـ ، ٩٩٧ — ٩٩٩ م)
- ١٠ — عبد الملك الثاني بن نوح الثاني (٣٨٩ هـ ، ٩٩٩ م)

وقد نظم الأستاذ العنصري بيتين ضمنهما عدد أمراء هذه الدويلة وأسماءهم

فقال :

ده كس بودند ز آل سامان مذکور دایم یامارت خراسان مشهور
 إسماعیل است وأحمدی ودو نصر دو نوح ودو عبد الملك ودو منصور
 = قد ذكر عشرة أشخاص من آل سامان اشتهروا دائماً بتوليهم خراسان
 وهم : إسماعيل وأحمد ، واثنان سميا بنصر ، واثنان سميا بنوح ، واثنان سميا
 بعبد الملك ، واثنان سميا بمنصور .

(هـ)

نشأة الأدب الفارسي الحديث

في عهد الطاهريين والصفاريين

١ — الأدب الفارسي الحديث في عهد الطاهريين

كانت الدولة الطاهرية عربية النسب والتقاليد ، فلم يكن من المتوقع أن تظهر في عهدها القومية والآداب والتقاليد الفارسية ؛ ولذا لم ينبغ في عهدها إلا اثنان من الشعراء هما :

١ — حنظلة البادغيسي .

٢ — محمود وراق المروى . وكانا معاصرين للدولة الصفارية أيضاً .
وتدل بعض الروايات على أن حنظلة هذا كان شاعراً مجيداً ، وأنه ترك ديوان شعر حافلاً بالقصائد . ولم يذكر أحد من مؤرخي الأدب الفارسي شيئاً عن مصير هذا الديوان . والظاهر أنه فقد ، ولم يبق منه إلا بعض أبيات يأتي بها الكتّاب على سبيل الاستشهاد .

روى ^(١) عن أحمد بن عبد الله الخجستاني ^(٢) أمير خراسان أنه سئل : كيف وصلت إلى هذا المجد الرفيع ، وبلغت تلك المكانة السامية بعد أن كنت راعى حمير ؟ فأجاب : —

(١) راجع كتاب چهار مقاله للنظامي العروضي السمرقندي ص ٢٨ — ٢٩ وحواشيه ص ١٢٣ مطبعة بريل بلايدن بهولندا سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٥ م .
(٢) خجستان ناحية من نواحي جبال هرات من أعمال بادغيس . وكان أحمد بن عبد الله الخجستاني من أمراء بني طاهر ، وبعد أن قضت الدولة الصفارية على الدولة الطاهرية انضم أحمد هذا إلى الصفاريين ، وقد كان حسن تدبيره وعظم كفايته من أسباب بلوغه المناصب الراقية في هذه الدولة واستيلائه على معظم إقليم خراسان . وقد ثار على عمرو بن الليث وحاربه وقتله في نيشابور ، وضرب النقود باسمه ، وهم بفتح العراق ، ولكن الأجل قضى عليه ؛ فقد قتله غلامانه بنيشابور سنة ٢٦٨ هـ وكانت مدة غلبته ثمانى سنوات — حواشى چهار مقاله ص ١٢٣ نقلاً عن تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ٢٠٤ ، ٢٧٤ .

« كنت يوماً أقرأ في ديوان الشاعر حنظلة البادغيسي^(١) فوقع نظري على

هذين البيتين : —

مهتری گر بسکام شیر دراست شو خطر کن زکام شیر بجوی
یا بزرگی وعز و نعمت وجاه یا چو مردانت مرگ رویاروی
= إذا كانت العظمة بين أنياب الليث فغامر و حاول (انتزاعها) من أنيابه
فإنك إما أن تحظى بالعظمة والعز والنعمة والجاه

و إما أن تواجه الموت گر بما كأبطال الرجال^(٢)

فتحرکت في نفسی نزعة الأمل ، واضطربت بين جوانحي نار الكرامة
والعزة ، حتى لم أستطع الرضا بتلك الحال التي كنت عليها ، فبعت جميع ما كان
لدي من حمير ، واشتريت جواداً ورحلت عن وطني ، والتحقت بجيش الأمير على
ابن الليث أخى يعقوب بن الليث وعمرو بن الليث ، أمراء الدولة الصفارية التي
كانت قد بلغت أوج عظمتها .

ويمضي أحمد بن عبد الله في التحدث عن مغامراته وانتقال حاله من حسن
إلى أحسن حتى خرج على الدولة الصفارية ، وشيد له ملكاً عظيماً في خراسان ،
ويعترف بأن الفضل في ذلك كله يرجع إلى هذين البيتين .

ويروى السلامي الیهقي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٣٠٠ هـ أن أحمد بن
عبد الله هذا قد علا شأنه ، وأصبح من ذوى الثراء والنعمة والسلطان حتى إنه وزع

(١) كانت وفاة حنظلة البادغيسي سنة ٢٢٠ هـ في عهد الأمير عبد الله بن طاهر ثالث

أمراء الدولة الطاهرية .

(٢) إذا رمت المعالي فانتزعها ولو من بين أنياب الأسود
فإما عيشة في ظل مجد وأما موت أبطال الجنود نظم المؤلف

في ليلة واحدة على سكان نيشابور ثلثمائة ألف دينار وخمسمائة جواد وألف حلة^(١).
يقول محمد العوفي في كتابه لباب^(٢) الألباب ما ترجمته :

كان آل طاهر أصحاب كرم ظاهر، وجود وافر، ومع أن فيض فضلهم وإنعامهم
كان عاماً شاملاً فإنهم لم يعنوا بالفارسية ولا بالدراسة اللغوية ؛ ولذا قل في عهدهم
إقبال الشعراء على قرض الشعر بالفارسية . بيد أنه قد ظهر في عهدهم الميمون شاعر
حول الحديث اسمه حنظلة من بادغيس . وكانت عباراته تحاكي في عذوبتها ماء الكوثر
الزلال، كما كان شعره يحاكي في لطفه ورقته نسيم الشمال . ويروى من شعره الجدير
بالإنشاد في الحافل الذي يشنف المسامع ويزين المجالس البيتان الآتيان :

يارم سپند اگر چه بر آتش همی فگند از بهر چشم تانرسد مرورا گزند
أورا سپند و آتش ناید همی بکار باروی همچو آتش و باخال چوسپند
= ولو أن (ومهما) صديق يطلق البخور (الخردل) على النار

حتى لا يصيبه أذى من عين الحاسد الغيور
فلن يفیده البخور ولن تنفعه النار
(مادام يستمتع) بوجه كالنار وخال كالبخور

(١) راجع : « دراسات في علم النفس الأدبي » ؛ للمؤلف ص ١٩٦ — ١٩٧ طبعة
لجنة البيان العربي سنة ١٩٤٩ .
(٢) ج ٢ ص ٢ مطبعة بريل بلايدن .

٢ — شعراء عهد الصفاريين

ظهر في عهد الصفاريين من الشعراء أبوسليك الكركاني الذي يصفه العوفي في كتابه السابق ذكره بأنه ناظم سلك الكلام ، وسالك مسالك العلم . فقد ظهر في عهد عمرو بن الليث ، ونشر بساط الشعر ، ورفع لواء الكلام .

وقد نظم البيتين الآتيين في معنى صيانة العرض من التعرض للمهانة والابتذال :
خوف خود را کر بریزی برزمین به که آب روی ریزی برکنار
بت پرستیدن به از مردم پرست پندگیر و کار بند و گوش دار
= لأن ترقيق دمك على الأرض

أفضل من أن ترقيق ماء وجهك في أحضان (غيرك)
إن عبادة الأصنام أفضل من عبادة الناس

خذ « هذه » النصيحة « غنى » واستمع إليها واعمل بها^(١)
وفي عهد عمرو بن الليث أيضاً نبه شاعر آخر يسمى « فيروز المشرق » الذي يشتق العوفي — كعاداته — من اسمه بعض صفاته فيقول عنه : إنه قد انتصر على جيش العلوم والفنون ، وأشرق قلبه ، وأضاء ضميره عند إنشاء الشعر . ثم يقول : إن شعره كان أحلى من القبلية المختلصة ، وأحب إلى النفس من نور العين ، وكان مثله في أيام عمرو بن الليث مثل الوابل الذي انهمر على اللغة الفارسية فطهرها من غشها ،

(١) أرق دمك الزكي ومث كريماً
لتعبد إن ترد صنما جماداً
وماء الوجه لا تبذل رضى
ولا تشرك بربك آدمياً
نصحتك فاستمع واعمل وبادر
إلى سنن الهدى مادمت حياً نظم المؤلف

وأبعد عنها ما كان قد أفسدها . ومن رقيق شعره قوله يصف سهماً :
 مُرغِست خَدَنكَ أَى عَجَب دِیده مُرغى كه همه شكارِ أَوْ جانا
 داده پرخویش گز گیش هديه تابچهء اش را بَرَد بِمهمانا^(۱)
 = واعجبا ! إن هذا السهم مثل طائر طائر كل صيده الكائنات الحية
 قد أهدى إليه النّسر جناحه
 كى «يطير بسرعة» ويحمل صغاره إلى الضيفان

(۱) خدنگ : سهم مركب فى قطعة من خشب الخور الأبيض . والغرض من الصغار هنا ما يصيبه السهم من حيوان أو طير . ومن هذا المعنى بجهنو = أى شيء يبتكر = أى حادثة تحدث .

(و)

النهضة الأدبية الفارسية

في عهد الدولة السامانية

• النهضة الأدبية الفارسية

في عهد الدولة السامانية

يمكن أن نقول على وجه الإجمال إن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت في عهد الدولة السامانية ؛ فإليها يرجع الفضل في تشجيع أدباء الفرس رغبة في إحياء اللغة الفارسية والنهوض بأدائها بجانب الآداب العربية كما قلنا من قبل . ويرى التاريخ أن أمراء الدولة السامانية كانوا أولى قوة وأولى بأس شديد ، وميل قوى إلى ممارسة الحروب والاشتراك في النضال ، وأنهم ظهروا في أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر — موطنهم الأصلي — واستقلوا بها ، ثم استولوا على خراسان ، ولم يلبثوا أن أخضعوا الجزء الأكبر من شمالي إيران الشرقي ، وتغلبوا على آخر أمراء الدولة الصفارية — طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، ثم قضوا على البقية الباقية من ملكهم سنة ٢٩٠ هـ .

على أن اشتغال السامانيين بالحرب والنضال لم يحل دون عنايتهم بالفن واهتمامهم بالأدب ؛ فقد التف حولهم نخبة من المؤرخين والشعراء ، يدنون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم ، ويسجلون مآثرهم ، ويسلونها في أوقات فراغهم . وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالفارسية أو بالعربية ، ومنهم من نظم الشعر باللغتين معاً .

وقد ترجم العوفي لثمانية وعشرين من هؤلاء الشعراء ، ولا يتسع المقام هنا لذكرهم جميعهم ، فنكتفي بأن نذكر أشهرهم وهم :

١ — أبو شكور البياخي

٣٤٠ هـ — ٩٥٠ م

كان هذا الشاعر معاصراً لنوح بن نصر ، ويعده مؤرخو الأدب الفارسي من مبتكري النظام الشعري المسمى بالمشنوي ، الذي درج الشعراء على اتباعه في القرون التالية في الشعر الفلسفي والتصوفي بوجه خاص .
وقد وضع أبو شكور كتاباً سماه « آفرين نامه » أى سفر الشكر ، وضمنه المختار من أشعاره ، وفرغ من تأليفه حوالى سنة ٣٣٦ هـ .

ومن شعره فى وصف الخمر :

ساقيا ! مرمرآ آن مى ده كه غم من بدو گسارده شد
ازقنینه برفت چو ن مه نو در پياله مه چهارده شد
= أيها الساقى ! أعطنى تلك الخمر فإن غمى ييارحنى بسببها
إنها إذ تصب من الزجاجة مثل الهلال وحين تستقر فى الكأس كبدر التمام
وهذه صورة بديعة تشمل تشبيهين طريفيين ، لا أعلم بنظير لهما فى الأدب العربى ؛ فإن الشاعر يشبه الخمر — وهى تصب من الزجاجة إلى الكأس — بالقمر حين يبدو فى مستهل الشهر ؛ فإنه يكون حينئذ مثل القوس . ويشبهها حين تستقر فى الكأس بالبدر حين يكتمل نموه فى الليلة الرابعة عشرة من الشهر ؛ فإنه يكون إذ ذاك مثل القرص المستدير .

ومن شعر أبي شكور في الخمر أيضاً قوله :

بیار از آنچه بکردار دیده بود نخست روان روشن بستد بقرآزو رزبان
از آنچه قطره او گر فروچگد بزمین ضریر گوید: چشم منست و مرده: روان
= هات من تلك التي كان وجودها في أول الأمر مستمداً من عمل عين الماء

والتي اعتصر منها حارس الورد بقوة « الضغط » سائلاً مشرقاً
من تلك التي لو تقاطرت منها قطرة وسقطت إلى الأرض

لقال الأعمى : هي عيني ، ولقال المليت : هي روحي
وإنك لترى أن هذين البيتين على قصرهما قد تضمننا معاني كثيرة كلها
مبتكر مستملح .

ومن حکم أبي شكور قوله :

تا بدانجا رسید دانش من که بدانم همی که ندانم
= قد وصل مبلغ علمی إلى أني أعلم أني لا أعلم

وقوله — وهو من مثنوياته :

درختی که تلخش بود گوهرها اگر چرب و شیرین دهی مرورا
هان میوه تلخ آرد پدید ازو چرب و شیرین نخواهی مزید
= إن الشجرة المرة في جوهرها لو سقيتها سمناً وعسلاً (حلوا)
لأخرجت ثمرة مرة كذلك ولن ترجو منها مزيداً من السمن والعسل
وقال يشكو الصد والهجران :

ای گشته من از غم فروان تو پست شد قامت من زدرد هجرتو شست
ای شسته من از فریب ودستان تودست
خودهیچ کسی سیرت و سان توهست

= أيها الحب : لقد صرت ذليلاً مما سببت لى من هم كثير

وانحنت قامتى من ألم هجرانك = وانحنى ظهري من ألم هجرك

لقد غسلت يدى من خداعك وحديثك الكاذب (قل لى) بحق: هل

يوجد شخص يسلك مسلكك ويعامل المحبين مثلك ؟

ومن شعره فى الغزل قوله : —

از دور بديدار تو اندر نگرستم مجروح شد آن جهره پر حسن وملاحت

وزغمزه تو خسته شد آزرده دل من وين حكم قضائست جراحت بجراحت

= نظرت من بعد من أجل رؤيتك فجرحت وجنتك المملوءة حسناً وملاحة

ومن جراء نظرتك العليلة جرح قلبي وهذا حكم عادل إذ الجروح بالجروح

وقد ترجم أبو الفتح البستي معنى هذين البيتين إلى العربية شعراً فقال :

رमितك عن حكم القضاء بنظرة وما لى عن حكم القصاص مناص

فلما جرحت أخذ منكم بمقلتي جرحت فؤادى والجروح قصاص

وأنت ترى أن فى الترجمة شيئاً من التعسف المنطوى على النقص وسوء

التصرف ، فليس فيها معنى النظر من بعد ، ولا وصف نظرة المحبوب بأنها عليلة

خفيفة ، ولا بيان السبب فى جرح قلب العاشق .

وفى البيت الأول تصرف يأباه الذوق الأدبى ، فعبارة « عن حكم القضاء »

فى الشطرة الأولى ركيكة نابية قلقلة فى موضعها ولا داعى لها . وقد كان الأولى

أن يستبدل بكلمة « القصاص » فى الشطرة الثانية كلمة « القضاء » ليستقيم المعنى

وينسجم التعبير .

وقوله « منكم » فى الشطرة الأولى من البيت الثانى سمجة نابية ، يمجها الذوق

ويأنف منها السمع . وكان الأولى أن يقول « بنظرتي » بدلا من « بمقلتي »
التي ذكرها في هذه الشطرة .

ثم إن المترجم قد أغفل بيان السبب في جرح فؤاد العاشق ، أما الشاعر فقد
اتبع في ذلك أسلوب حسن التعليل فكان موقفاً كل التوفيق ، ذلك أنه قال
إن السبب في هذا هو نظر المحبوب إليه نظرة علميلة حقيقة . وكلمة « غمزه » هنا
عذبة مختارة ، معبرة عن المراد أصدق تعبير ، فإنها تفوق كلمة « نظرة » في هذا
المقام . ووصفها بالخفة يزيد في قوة تأثيرها .

فالأصل هنا يفوق الترجمة في دقة المعاني وغزارتها ، وسلاسة الألفاظ وحسن
اختيارها ، بحيث تؤدي المعاني المراد التعبير عنها أحسن أداء .

وهنا يغريني الحديث عن هذه الظاهرة التي حظيت بكثير من اهتمام الشعراء
في هذا العصر وما تلاه من العصور ، تلك هي الوله بترجمة الشعر الفارسي إلى
شعر عربي قد يكون رصيناً مطبوعاً . وقد يكون ضعيفاً فيه تكلف وتعسف .

ويبدو لي أن هؤلاء الشعراء قد اندفعوا في هذا الطريق ليظهروا براعتهم
الأدبية ، وينبئوا عن تمكنهم من اللغتين ، ولا ريب أن هذا غرض ليس من
من اليسير أن يحققه كثير من الأدباء ؛ فإنك قلما تجد شاعراً يجيد الشعر بلغتين أو
أكثر ، إذ أن عملاً كهذا يتطلب طول المراتب ، والتوفر على نظم الشعر باللغتين ،
بالإضافة إلى حسن الإحاطة بالأساليب اللغوية والصور الشعرية في كل من اللغتين .

هذا إلى أن المترجم الأمين يجب عليه أن يحتفظ بمعاني الأصل ، وإذا كان
هذا ممكناً إلى حد ما في الترجمة النثرية فإنه من الصعوبة بمكان في الترجمة الشعرية ؛
لأن المترجم في هذه الحال يواجه صعوبتين لا يستهان بهما : صعوبة الاحتفاظ

بمعاني الأصل ، وصعوبة مراعاة ما يفرضه عليه نظام الشعر من قيود — لا من حيث الوزن والقافية فحسب — ولكن من حيث اختيار الألفاظ والأساليب أيضاً ؛ فإن هناك ألفاظاً وأساليب يسوغ استعمالها في الأسلوب النثرى ولا يتقبلها الذوق إذا استعملت في الشعر .

وعلى الرغم مما يعانیه من يمارس هذا الفن من صعوبات فقد حاوله كثير من الشعراء فكان نصيبهم النجاح ولكن بقدر .

ويجدر بي أن أضع بين يديك مثالين آخرين لهذه الترجمة لمتبين صحة ما ذكرت . كان منصور بن علي المنطقي أحد المجيدين من شعراء الدولة السامانية ، وقيل إن صاحب ابن عباد كان دائماً يقرأ أشعاره ويعجب بها . وقد حدث أن وفد عليه بديع الزمان الهمداني وكان شاباً حدثاً لم يتجاوز عمره الثانية عشرة ، فعنّ للصاحب أن يختبره ؛ ليتبين مدى صحة ما أشيع عنه من مقدرة فائقة على نظم الشعر الجيد .

قال صاحب لبديع الزمان : « انظم لنا قصيدة » . فقال بديع الزمان : تفضل فاخترني في ذلك ، فأنشد صاحب الثلاثة الأبيات الآتية (وهي من نظم المنطقي الأنف ذكره) :

يك موى بدز ديدم ازدو زلفت چون زلف زدى اى صنم بشانه
چو نانش بسختى همى کشيدم چون مور که گندم کشد بخانه
باموى بخانه شدم پدر گفت منصور کدام است ازین دو گانه ؟

= لقد سرقتم من طرتيك شـ — عرة

حين كنت تمشط طرترك بالمشط أيها الحبيب المعبود

ثم أخذت أجرها بصعوبة كأنها رغيف

كما تجر النملة حبة القمح إلى مسكنها

ودخلت دارى ومعى الشعرة فقال أبى من يكون منصور من هذين الشئيين؟

ثم قال : « ترجم هذه إلى العربية شعرا » . فقال بديع الزمان : تفضل

فعين القافية التى تريدها ، فاختار الصاحب قافية الطاء ، فقال بديع الزمان : هل

تفضل فتعين البحر كما تشاء ؟ فقال الصاحب : « أسرع يا بديع فى البحر السريع »

فأنشد بديع الزمان على البديهة :

سرت من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط

ثم تدلجت بها مثقلا تدلج النمل بحب الحنط

قال أبى : من ولدى منكما ؟ كلا كما يدخل سمّ الخياط

ومع أن بديع الزمان قد أبجاد فى الترجمة إلى حد كبير — وبخاصة إذا ذكرنا

ما قيل إن هذه الترجمة كانت على البديهة — فإننا نجد فروقا بين الأصل والترجمة ؛

ففى الأصل ما يفيد أن للمحبوب طرتين ، وفيه نداء للمحبوب بالصنم ، وهى كلمة

يكثّر شعراء الفرس استعمالها ، ويريدون منها المحبوب الذى يصل حب العاشق له

إلى درجة العبادة والتقديس ، وفيه أن النملة حملت حبة القمح إلى بيتها ، وفيه اسم

الشاعر . وليس فيه معنى التدلج أى السير ليلا الذى ذكره بديع الزمان .

وفوق هذا كله نجد فرقا جوهريا بين الأصل والترجمة فى الغرض من نظم

هذه الأبيات . ذلك أن الشاعر يريد أن يصف الشعرة المسروقة من طرتى المحبوب

بأنها غليظة وثقيلة ، ويؤيد ذلك بأمرين الأول : ما عاناه من صعوبة فى جرها ،

والثانى : التباس الأمر على أبيه حتى إنه لم يعرف من الشئيين يكون ابنه .

وما هذا الالتباس إلا لأن الشعرة كانت من الغلظ بحيث أشبهت ابنه في حجمها .
أما المترجم فقد عكس الأمر فوصف الشعرة بأنها كانت دقيقة في دقة الخيط
وسمكه حتى كان من الممكن أن تدخل سم الخياط . وفي الأصل والترجمة ما يفيد
التياس الأمر على الأب ، ولكن الأصل يرجع ذلك إلى تشابه الشاعر والشعرة
في الغلظ ، أما الترجمة فترجع الالتباس إلى تشابههما في النحافة والضآلة ؛ إذ أنه
يستفاد منها أن الشاعر كان من النحافة والنحول بحيث يمكن أن يدخل سم الخياط
— شأنه في ذلك شأن الشعرة .

وإننا على كل حال نجد في الأصل والترجمة مبالغة في الوصف تصل إلى درجة
الغلو الذي لا يصدق العقل ؛ فأى شعرة في الوجود يمكن أن يصل حجمها إلى حجم
أى فرد من أفراد الإنسان بحيث يلتبس الأمر على الرائي فلا يدرى من منهما
الشعرة ومن منهما الإنسان ؟

وأى إنسان يصل من النحافة والنحول بحيث يكون حجمه مثل حجم
الشعرة الدقيقة التي تدخل سم الخياط ؟
فسواء أرجحت جانب الأصل أم رجحت جانب الترجمة فإنك واجد في
كل منهما غلوا لا يتقبله العقل . ومع ذلك يعتد البلغاء بالغلو ، ويعدون من المحسنات
البديعية المعنوية ، حتى قالوا : « أعذب الشعر أ كذبه » .

أما أنا فلا تميل نفسي إلى تقبل هذا النوع من أنواع المبالغة ، ولا أرى فيه
إلا مسبحاً للخيال الشارد الذي يهيم في عالم الوهم ، دون أن يكون له دليل يهديه ،
أو مروّض يكبح جماحه .

أما المثال الثاني فأسوقه من شعر أبي عبد الله محمد بن صالح اللؤلؤجي من

شعراء الدولة السامانية أيضاً .

قال هذا الشاعر في الغزل ^(١) :

سيم دندانك و بس دانك و خندانك وشوخ

كه جهان آنك برما لب اوزندان كرد ؟

لب او بينى و گوئی كه كسى زير عقيق

باميان دوگل اندر شكرى پنهان كرد

= « للمحبوب » أسنان فضية اللون ، وعلم غزير ، وابتسامة حلوة ، ودلال

أى عالم ذلك « العالم الذى فيه » تحكم علينا شفتاه بالسجن ؟

ترى شفتيه فتحسب أن شخصاً أخفى سكرات تحت عقيق بين وردتين .

وإليك ترجمة هذين البيتين شعراً للأستاذ أبى القاسم (العنصرى من شعراء

الدولة الغزنوية ؟) .

فضى ثغر ، لبيب ، ضاحك ، عَرم من عشق مَبْسِمه أصبحت مسجوناً

بسكّر قد رأيت اليوم مبسمه تحت العقيق بذاك الورد مكنونا

وإنك إذا وازنت بين الترجمة الشعرية والترجمة النثرية لهذين البيتين وجدت

بينهما فروقاً لا يستهان بها .

فالشاعر المترجم مع أنه أجاد فى ترجمة الشطرة الأولى من البيت الأول قد

تصرف تصرفاً ظاهراً فى ترجمة الشطرة الثانية ، وأخطأ خطأ فاحشاً فى ترجمة البيت

الثانى . فالشاعر يقول فى البيت الثانى إنك إذا نظرت إلى شفتى المحبوب وأسنانه

من تحتها ، وخديه من حولها — خيل إليك أن شخصاً أتى بقطعتين من العقيق

وأخفى تحتها قطعاً من السكر ، وأحاطهما بوردين ؛ فهو يريد أن يشبه شفتي
المحبوب بالعقيق في الحمرة ، وأسنانه بالسكر في الخلاوة وبياض اللون ، وخديه
بالورد في الحمرة .

فما أبدع هذا التشبيه التمثيلي وما أحكمه ! وأين منه ما ذكره المترجم في ترجمته
لهذا البيت ؟ فليس بخاف عليك ما في هذه الترجمة من اضطراب وركاكة
وسوء تعبير .

وخلاصة القول أن من يترجم شعراً من لغته إلى شعر بلغة أجنبية يعرض
نفسه لصعوبات جمّة كثيراً ما تحول بينه وبين إحكام الترجمة ومطابقتها للأصل .
أما من يترجم شعراً من لغة أجنبية إلى شعر بلغته فإنه لا يجد في سبيله مثل تلك
الصعاب — إذا كان يحسن فهم تلك اللغة ، وكان ذا دراية كافية بأساليب لغته
الشعرية ، وتدريب على قرض الشعر حتى اكتسب فيه مهارة خاصة تسمح له
بممارسته بسهولة ويسر .

بعد هذا نعود إلى شعراء الدولة السامانية فننتحدث عن :

۲ — الرودکی

وهو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الرودکی
أو الرودکی أو الرودگی . وهو بحق زعيم شعراء فارس الإسلامية ، ويذهب البلعي
وزير إسماعيل بن أحمد الساماني (والد البلعي مترجم تاريخ الطبری إلى الفارسية)
أبعد من ذلك فيقول : إن الرودگی شاعر لا نظير له بين شعراء العرب والعجم .
وكان هذا الشاعر موضع تقدير وإجلال من شعراء عصره ؛ ففيه يقول
شهيد البلخی أحد شعراء الدولة السامانية :

سَخْن مَانْد شَعْر شَعْرَا	رودگی راسخنش تلوین است
شاعران را خه وأحسنْت مدیح	رودگی را خه وأحسنْت هجاست
= إن شعر الشعراء سیظل کلاما	أما بالنسبة للرودگی فإن کلامه تلوین =
= کالْنقش والتصویر بالألوان .	

قول مرحی وأحسنْت للشعراء مدح قول مرحی وأحسنْت للرودگی هجاء .
وقد سماه معروف البلخی سلطان الشعراء إذ قال :

از رودگی شنیدم سلطان شاعران	کندر جهان بکس مگرو جز بفاطمی
= سمعت من الرودگی سلطان الشعراء	أنه يقول : لا تَمِلْ لأحد فی العالم إلا فاطمی

وهذا الكلام بمثابة دعاية للمذهب الشيعي الإسماعيلي الباطني الذي كان يميل
إليه الأمير نصر بن أحمد الساماني ممدوح الرودگی وولى نعمته .

وقال الدقيق يمدح الرودگی :

کرا رودگی گفته باشد مدیح إمام فنون سخن بود ور

دقیقی مدیح آورد نزد او چو خرما بود برده سوی هجر
 = کل من ينطلق لسان الرودگی بمدحه یصبح إمام الفنون وزعیم الکلام
 وإن الدقیقی لیهدی إلیه للمدیح مثل التمر یحمل إلی هجر
 ومدحه العنصری زعیم الشعراء فی الدولة الغزنویة وفضله علیه فی فن
 الغزل فقال :

غزل رودگی وار نیکو بود غزلهای من رودگی وار نیست
 اگرچه بکوشم بباریک وهم بدین پرده اندر مرا بار نیست
 = إن فن الغزل یلیق بمقام الرودگی تماما
 ولكن غزلیاتی لا تلیق بمقام الرودگی
 وانی وإن حاولت (التعلق) بخیوط الوهم والخیال

فلن یسمح لی بالدخول إلی ما رواء هذا الستار
 ویقول دولت‌شاه السمرقندی^(۱) فی بیان وجه تلقیه بالرودگی ما ترجمته :
 « کان الأستاذ أبو الحسن الرودگی ندیم مجلس الأمير نصر بن أحمد فی عهد
 الدولة السامانیة ، ویقولون فی وجه تلقیه بالرودگی إنه کان قد مهر فی العزف علی
 الرودک الذی یشمی بالبربط^(۲) .

ویری بعض الباحثین إن هذه التسمیة نسبة إلی رودک وهو موضع من أعمال
 بخاری (قرب سمرقند) ولد به الرودکی .

ویمکن أن یقال علی وجه العموم إن الرودگی کان ذا طبع کریم وذهن

(۱) هو مؤلف کتاب تذکرة الشعراء وهو کتاب بالفارسیة فی تاریخ الشعر الفارسی
 وقد تم تألیفه سنة ۸۹۲ هـ .

(۲) البربط : آلة موسیقیة تشبه العود .

مستقيم ، وإنه من أساتذة فن الشعر . وقد ترجم كتاب كلية ودمنة إلى الفارسية شعراً ، وللاُمير نصر بن أحمد عليه أياد بيضاء ومنن غراء يتحدث عنها الأستاذ العنصرى فى شعره .

ويقول العوفى : (۱)

« ولد الرودكى بقرية رودك على مقربة من سمرقند . ومع أنه ولد أعشى فقد كان حاد الذكاء ، سريع الفهم ، أتم حفظ القرآن كله وهو فى الثامنة ، ثم تعلم القراءات ، ومارس قرض الشعر ، فكان يصوغ المعانى الدقيقة فى عبارات رقيقة ، فاشتد إقبال الناس عليه ، وزادت رغبتهم فى الاتصال به والتودد إليه ، وقد منحه الله صوتاً رخيماً خلاباً . ولحسن صوته توجهت همته إلى تعلم فن الغناء والموسيقى ، فتعلم العزف على البربط من أبى العبك بختيار الذى عرف بمهارته فى هذا الفن . »

« ونبغ الرودكى وذاع أمره فى طول البلاد وعرضها ، واستدعاه إليه الأمير نصر بن أحمد السامانى أمير خراسان ، وقر به من مجلسه الخاص ، وهناك علا شأنه ، ونمت ثروته ، وأسبغ عليه النعمة حتى قيل إنه كان فى حوزته مائتا غلام ، وكان يحمل متاعه أربعمائة جمل ، ولم يتم هذا الحول والطول ، ولم تتوفر هذه السعادة لأحد من بعده . »

« ويروى أن أشعاره ملأت مائة كراسة ، وإنك لتجد قلائد قصائده

مزدانة بفرائد الفوائد . ومصدق ذلك ما قاله الرشيدى .

رودكى را بر سر آن شاعران زيبدسرى	كرسرى يابد بعالم كس بنيكو شاعرى
هم فزون آيد اگر چون آنكه بايد بشمرى	شعراورا من شمردم سيزدهر صد هزار

= إذا كان أحد يحظى بالزعامة لشاعريته الفائقة
فإن الزعامة على هؤلاء الشعراء تليق بالرودگی
وقد عدت «أبيات» شعره مائة ألف مكررة ثلاث عشرة مرة
وقد تزيد «على ذلك» إذا كنت تعدها كما يجب .
«وقد امتدت السنة بعض الحسدة النقاد إلى تجريح الرودگی والخط من
قيمه وقيمة شعره ، فتصدى لهم النظامی العروسی السمرقندی ، ورد عليهم كيدهم
في محورهم فقال :

ای آنکه طعن کردی در شعر رودگی
این طعن کردن تو زجهل وز کودکیست
کآن کسی که شعر داند داند که درجهان
صاحب قران شاعری استاد رودگیست
= یا من تطعن فی شعر الرودگی
إن طعنك هذا دلیل علی جهلك وطفولتك
فإن من يعرف فن الشعر يعلم أن

الأستاذ الرودکی هو صاحب طالع السعد فی فن الشعر فی هذا العالم
وقد أفل نجم الرودکی فی أواخر حياته ، وذلك حين غضب علیه الأمير
لأسباب دینیة . فأمسكت الفاقة بتلابيبه ، وتبدلت سعادته شقاء ، ونعيمه بؤساً .
وفی ذلك يقول :

دردا وحسرتا که مرا دورِ روزگار بی آلت و سلاح زد راه کاروان
چون دولتی نمود مرا محنتی نمود بی کردن شگفت نبود دست کر زمان

= واألماء! وا حسرتاه! على أن قطع دور الزمان

على الطريق دون أن يكون معي آلة ولا سلاح

كلما بدا لي مجد بدت لي (بعده) محنة

« ولا غرو » فلم تكن الأيام لتمر دون أن تصنع العجائب

وقد تابعته هذه المحنة حتى توفي سنة ٣٢٩ هـ سنة ١ — ٩٤٠ م .

وقد عرف الرودكي بمقدرته على حسن اختيار الألفاظ والعبارات ، وجودة

التشبيهات والاستعارات . وله عدة مقطعات وقصائد في الغزل ووصف الخمر والحكم والأغازر . ومما يؤسف له أن الجزء الأكبر من أشعاره قد انقرض ، ولم يبق منها إلا قليل لا يكاد يذكر بجانب ذلك العدد الضخم الذي ذكره الرشيدى .

وللرودكي على الأدب الفارسى فضل عظيم فقد كان أول من ترجم كتاب

كلىة ودمنة إلى الفارسية شعراً ، متبعاً في ذلك نظام المثنوى : ولكن هذه الترجمة قد فقدت ولم يبق منها إلا بعض أبيات يأتى بها أصحاب المعاجم على سبيل الاستشهاد . وقد أحصى الدكتور هورن ما ذكر منها فى كتاب « لغة الفرس » للأسدى فوجدها ستة عشر بيتاً .

وعنى الدكتور إيثنه Etne الألمانية بجمع ما تفرق من أشعار الرودكي فوفق

إلى أن جمع منها اثنتين وخمسين مقطعة شعرية تختلف فى الطول والقصر ، عدد أبياتها ٢٤٢ بيت . ثم نشرها سنة ١٨٧٣ مصحوبة بترجمة لها إلى الألمانية ومقالة قيمة عن الرودكي^(١) .

(١) راجع كتاب براون الآنف ذكره ج ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٨

وقد أجمع مؤرخو الأدب الفارسي على أن نجم الرودگی بلغ الأوج بعد أن تجلت مقدرته الشعرية والغنائية والموسيقية في حادثة تاريخية نلخصها فيما يأتي :
يقول الأستاذ حمد الله المستوفي في كتابه : « تاريخ گزیده »^(١) :

« إنَّ الأمير نصر بن أحمد الساماني بعد أن خضعت له خراسان بأسرها ، وصل إلى دار الملك بهرات ، وهناك طاب له المقام وناسب طبعه هواء تلك المدينة التي كانت كالفرديوس في جمال منظرها وحسن جوها واعتدال هوائها . وكان الأمير يطوف بأنحاء تلك المدينة وبضواحيها ؛ ليستمتع بحريف المدينة المليء بالخيرات ، و بربيع سرخس وصيف جبال باد غيس . وكان من نتائج ذلك أن نسي الأمير دار الملك ببخارى التي هي العاصمة الأولى للدولة السامانية .

« ومملَّ أمراء الدولة وأركان السلطنة طول الإقامة بهرات ، وسئموا بعدهم عن بخارى التي بها أوطانهم ومساكنهم وضياعهم وعقاراتهم منذ القدم . »
« وأعيتهم الحيل في حمل الأمير على السفر إلى بخارى فاستعانوا في آخر الأمر بالأستاذ الرودگی ، وطلبوا إليه أن يتنزه فرصة اجتماعه بالأمير في مجلس من مجالس الأُنس فيحرضه على السفر إلى بخارى ، وحملوه على أن يتقبل في نظير ذلك قدراً من المال .

وقام الرودگی بما طلب إليه ، وابتز فرصة اجتماع الأمير بأرباب الدولة في مجلس الشراب فأنشد بين يديه على البديهة قصيدة يشيد فيها بذكر بخارى ، وعلب

(١) تاريخ گزیده = التاريخ المختار أو مختار التواريخ . وهو كتاب مختصر جامع لزبد التاريخ من مبدأ الخليفة إلى عهد المؤلف — وقد تم تأليفه سنة ٧٣٠ هـ .

هوائها ، ويرفع من شأنها حتى يجعلها مثل جنة الفردوس . وكان من هذه القصيدة
الآيات الآتية :

- (۱) بوى جوى موليان آيد همى ياد يار مهربان آيد همى
(۲) ريگك آمو بادرشتهای او زیر پا چون پرنیان آيد همى
(۳) آب جيحون و شگرفيهای او خنگ مارا تامين آيد همى
(۴) اى بخارا شاد باش ودير زى شاه نذرت ميهمان آيد همى
(۵) مير ماه است و بخارا آسمان ماه سوى آسمان آيد همى
(۶) مير سرواست و بخارا بوستان سرو سوى بوستان آيد همى .
- = (۱) إن راحة مجرى موليان لتهب علينا

- وإن ذكرى الحب المخلص لتأتى إلينا
(۲) وإن رمل سهل آمو على خشوته كالحرير الناعم تحت أقدامنا
(۳) وإن ماء نهر جيحون على بعد مداه
ليصل إلى وسط جوادنا = فمن السهل عبوره
(۴) أبشرى بخارى ! وليطل بقاؤك فإن الملك آت ضيفاً عليك
(۵) فما الأمير إلا البدر وما بخارى إلا السماء
وإن البدر لآت نحو السماء
(۶) وما الأمير إلا كشجر السرو وما بخارى إلا حديقة

وإن السرو سائر نحو الحديقة
وهى قصيدة طويلة لا يتسع المقام لذكرها . وإنما يعيننا أن نذكر أنها وقعت
موقعاً حسناً لدى الأمير ، فما إن سمعها حتى سارع إلى اعتلاء جواده ، وانطلق

لا يلوى على أحد ، ولا يآبه بشيء حتى إنه نسي أن يلبس حذاءه ، وجد في السير معتزماً العودة إلى بخارى .

فانظر كيف فعل الشعر بعقل الأمير فعل السحر ، وانظر كيف أنه لم يلتفت إلى كلام الرؤساء والزعماء من أركان دولته ، ولكنه أصغى إلى شعر الشاعر الذي أنساه نعيم هرات ، وأعماه عن خيراتها ، وأوقعه في حالة من الذهول جعلته يغفل عن لبس حذاءه ، وما ذلك على سلطان الشعر بعزير^(١) .

وقد عجب بعض العقلاء لهذا الأمر ، ولما كان لهذا الشعر من أثر على ما فيه من سذاجة ، ورغم خلوه من بديع الصنعة وإحكام السبك ، فلو أن شاعراً نطق بمثل هذا الكلام في مجلس السلطان في هذا العصر لكان موضعاً للاستنكار والسخرية .

ولكن من الممكن أن نقول في الرد على مثل هذا الاعتراض إن الأستاذ الرودكي لما أنشد هذه القصيدة ألقاها بصوته الرخيم المطرب الشجى ، وصحب إنشاده وغناؤه العزف على الآلات الموسيقية التي كان يجيد العزف عليها .

فلهذه الأسباب كلها حاز إنشاده القبول ، وكان له من التأثير السريع ما ذكرنا . على أنه ليس من الحكمة أن ننكر على الرودكي فضله ، ونغض من قدرته على قرض الشعر بمجرد الاطلاع على تلك القصيدة ، فإنه كان — بالإضافة إلى إلمامه بكثير من العلوم والفنون — يجيد فرض الشعر في شتى الأغراض ، وله في مختلف فنونه وأعراضه المثنويات والمقطعات والقصائد الجيدة السبك ، المتينة التأليف ،

(١) انظر . كتاب « دراسات في علم النفس الأدبي » للمؤلف ص ١٩٥ — ١٩٦ .

الحافلة بالمعانی السامية والإشارات الدقيقة^(۱) .

وإليك طرفاً من أشعاره :

قال يصف الخمر ويبين آثارها في النفس :

- (۱) رودگی چنگ بر گرفت و نواخت باده انداز کو سرود انداخت
(۲) و آن عقیقی می که هر که بدید از عقیق گداخته شناخت
(۳) هر دو یک جوهرند لیک بطبع این بیفسردا و آن دگر بگداخت
(۴) نابوده دودست رنگین کرد ناچشیده بتارک اندر تاخت

* * *

= (۱) أمسك الودگی بالرباب وغنی فاسكب الخمر إنه ألقى النشيد

(۲) تلك الخمر العتيقة اللون التي كل من رآها

لا يميزها من العتيق المذاب

(۳) كلا الاثنين معدن واحد ولكن

هذا بطبعه قد تجمد وذلك الآخر قد ذاب

(۴) فهذا يخضب الیدین دون أن يدعك

وتلك تسرع إلى أعلى المخ دون أن تذاق

وله في الموضوع نفسه :

ز آن می که گر سرشکی اندر چگد بنیل

صد سال مست باشد زبوی او نهنگ

(۱) راجع : تذکرة الشعراء لدولت‌شاه السمرقندی ص ۳۱ — ۳۲ ، و کتاب چهار

مقاله للنظام العروضی السمرقندی ص ۳۱ — ۳۳ .

آهو بدشت اگر بخورد قطره ازو غرنده شیر گردد ونیدشد از پلنگ
وهذه مبالغة شديدة لكنها عذبة مستمحة تتبين عذوبتها من الترجمة الآتية :

= « أعطني » من تلك الخمر التي لو تسقط قطرة منها إلى نهر النيل
لظل التمساح ثملاً من رآحتها مائة عام
ولو شرب غزال السهل قطرة منها
لأصبح ليثاً عريداً لا يكثر بالفهد
وقال متغزلاً :

زلف ترا جیم که کرد ؟ آنک او خال ترا نقطه آن جیم کرد
وآن دهن تنگ تو گوئی کسی دانگی نار بدونیم کرد
= من جعل طرتك تشبه الحرف ج ؟ إنه هو ذلك الذي

جعل خالك نقطة تلك - الجيم
«ومن خلق» ذلك الثغر الضيق (الذي تراه) فتحسب أن شخصاً

(صنعه من) حبة رمان صغيرة شقها نصفين
وهنا تجد تشبيهات جميلة مبتكرة ، وذلك حيث يشبه الشاعر طرة المحبوب
في تقوسها بالحرف ج ، ويشبه الخال بنقطة تلك الجيم ، ثم يشبه ثغر المحبوب في
ضيقة بحبة رمان انشقت نصفين .

وقال في الموضوع نفسه :

بحجاب اندرون شود خورشید گرتو برداری ازدو لاله حجیب
وآن زنخدان بسیب مانند راست اگر از مشک خال دارد سیب

= إن الشمس لتتوارى من وراء حجاب

إذا رفعت الستار عن وجنتيك الورديتين
وذلك الذقن يشبه التفاحة كل الشبه إذا كانت التفاحة تتخذ لها خالاً من المسك

* * *

وقال ينصح بالاستمتاع بميزات الحياة والتغاضى عن همومها :

- (١) شاه زى باسياء چشان شاد كه جهان نيست جز فسانه و باد
- (٢) زآمده شادمان نبايد بود وز گذشته نكرد بايد ياد
- (٣) من وآن جعد موى غاليه بوى من وآن ماه روى حور ثراد
- (٤) نيك بخت آن كسى كه داد و بخورد شور بخت آنكه نخورد و نداد
- (٥) باد وابرست اين جهان افسوس باده پيش آر هرچه بادا باد

= (١) عش سعيداً أيها الملك مع سود العيون

- فإن العالم ليس إلا ريحاً تهب وحديث خرافة
- (٢) لا ينبغي للمرء أن يكون فرحاً بما يأتى
 - (كما) لا ينبغي أن يتذكر ما فات

(٣) دعنى وذاك الشعر الجعد المسكى الرائحة

- دعنى وتهلك القمرية الطلعة التى هى من نسل الحور
- (٤) سعيد ذلك الشخص الذى أعطى وأكل

وشقى ذلك الذى لم يأكل ولم يعط

(٥) واأسفاه ! إن هذا العالم ريح وسحاب

قدّم الخمر فكل ما لا بد أن يكون لا بد أن يكون

وله فی النعی علی من یصلّون وقلوبهم عالقة بمن یعشقون :

روی بمحراب نهادن چه سود دل بیخارا و بتاب طراز

ایزدا وسوسه عاشقی از تو پذیرد پذیرد نماز

= ما الفائدة من أن تولى وجهك نحو المحراب

وقلبك متوجه نحو بخارى والأصنام المزینة

إن إلهنا يتقبل ما فى قلبك من خواطر العشق

ولا يقبل (ما تدعیه من) صلاة

وله فی وجوب الاتعاظ بحوادث الدهر وتقلبات الأيام :

زمانه پندی آزاد وار داد مرا زمانه را چونکو بنگری همه پنداست

بروزنیک^(۱) کسان گفت تاغم نخوری بسا کسا که بروز تو ارزومند است

= إن الدهر قد أهدى إلى نصيحة بالجان

والدهر — إذا كنت تفكر فيه مليا — كله نصائح

قال « لی الدهر » لكيلا تأسى على حسن حظ (غيرك من) الأشخاص

(اعلم أنه يوجد) كثير من الأشخاص الذين يرغبون فى سعادتك

وقال يصف القلم :

لنک دونده است گوش نی وسخن یاب گنگ فصیحست چشم نی وجهان بین

تیزی شمشیر دارد وروش مار کالبد عاشقان وگونه غمگین

= أعرج (ولكنه) یجری ، ليس له أذن ولكنّه يلتقط الحديث

آخرس (ولكنه) فصیح ، ليس له عين ، ولكنّه بصیر بالعالم

له قوة السيف وانسياب الأفعى وجسم العاشقين وحالة المحزونين^(۱)

* * *

وله من قصيدة يمدح بها نصر بن أحمد الساماني :

حاتم طائي توئی اندر سخا رستم دستان توئی در بُرْد
نی که حاتم نیست با جود تو راد نی که رستم نیست در جنگ تو مُرَد
= أنت حاتم الطائي في السخاء وأنت تحكي سيرة رستم في القتال
کلا ! فإن حاتمًا لم يجمع بين السخاء والشجاعة
کلا ! فإن رستم لا يعد في مقاتلتك رجلا
= ليس هو الرجل الذي يستطيع منازلتك

وله من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الطيب الطاهر المصعبي :

مراجود او تازه دارد همی مگر جودش ابرست ومن کشت زار
« مگر » یکسو افکن که خود همچنین بیندیش و دید و خرد برگار
= إن جوده لیجعلنی حیاً نضراً
« فکأن » جوده السحاب « وکأنی » حقل الزرع

(۱) يلتقط الحديث = يجري بما يريد الكاتب أن يكتب .

بصير بالعالم = يستطيع أن يصف بما يكتب ما يحدث في العالم .

له قوة السيف = يصنع بالأنفس ما يصنع السيف من شدة التأثير .

له جسم العاشقين = نازل القد نحيف القوام .

له حالة المحزونين = حالته في صمته وسكونه تشبه حال المحزون الصامت الساكن .

اطرح « كَأَن » هذه جانباً فإنه هو ذلك حقاً

فكر وحكم عقلك وعينيك

وقال في قصيدة يرثي بها أبا الحسن المرادي شاعر بخاري :

مُرد مرادى نه همانا كه مُرد مُرگ جنان خواجه نه كارِست خُرد
جان گرامى پيـدر باز داد كالبد تيره بمادر سپرد
= مات المرادى وليس كمثلُه من مات إن وفاة مثل هذا السيد ليست بالأمر الهين
إنه (بموته) قد رد روحه العزيزة إلى أبيه وأسلم الجسم الناحل إلى أمه
يقول العوفي : وإنك لترى في هذين البيتين أثر الحكمة والتفكير السديد ،
ودليلاً واضحاً على لطف الطبع وسلامة الطوية.

وإليك أحجية من أحاجيه :

آن چيست برآن طبق همی تابد چون مَلَحَمَ زیر شعر عنابی
ساقش بمثل چون ساعد حورا پایش بمثل چون پای مرغابی

ما ذلك الشيء « الذى » يضىء (أو يتوقد) فوق ذلك الطبق

مثل ثوب من الحرير وضع تحت شعر عنابی اللون

ساقه (على سبيل التمثيل) مثل ساعد الحوراء

ورجله (على سبيل التشبيه) مثل رجل طائر من طيور الماء

= لست أعلم حل هذا اللغز على وجه اليقين . ولعل الشيء المطلوب هو الجمرة ،
فإنها تحمل ناراً موقدة فوق ما يشبه الطبق ، ولهب النار يشبه الشعر العنابی في لونه ،
والجمرة قائمة ممشوقة بيضاء كأنها ساق حوراء فى حسن استدارتها وامتشاق قَدِّها ،
و بياض لونها ، وترتكز هذه الساق على أرجل صغيرة يشبه كل منها رجل الطائر .

وإنك لترى من دراسة هذه النماذج التي اخترناها من شعر الرودگی^(١)
أن أسلوبه سهل سلس ، يدل على قوة وجدان صاحبه ودقة إحساسه ، وأن ما فيه
من زخرف لفظي قليل محدود ، لم يبلغ ما بلغه أسلوب المتأخرين الذين أثقلوا شعرهم
بالمبالغة والمحسنات البديعية فحجبت نور المعنى ، وجعلته صعب المورد بعيد المنال .
وكان عدم اهتمام الرودگی بالزخرف اللفظي مما أثار عليه بعض معاصريه من
الشعراء الذين كانوا يحنحون إلى الحلية اللفظية ، وكانوا لذلك يصفون شعر الرودگی
بالضعف والابتذال .

بيد أن هذا النقد كان من دواعي الاهتمام بالمحسنات اللفظية الذي نلاحظه
آثاره في أسلوب من أتى بعد الرودگی من الشعراء .

(١) تجد معظم هذه المختارات في كتاب لباب الألباب للعوفي ج ٢ ص ٧ — ٩ ،
وتذكرة الشعراء لدولتشاه السمرقندی ص ٣٣

٣ — الدقيقى

هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى الطوسى . كان ^(١) رحمه الله من متقدمى شعراء الفرس ، وعاش فى عهد الدولة السامانية ، وهو الذى بدأ نظم الشاهنامه (سفر الملوك) ، ونظم منه نحو ألف بيت . وجاء الفردوسى فأكمله فى عهد الدولة الغزنوية . وقد وصل فى نظمه إلى عصر زرادشت . وبينما كان ينظم قصة زرادشت ويثنى عليه ، وينوه بانتشار ديانتته إذ وثب عليه غلامه التركى المحبوب لديه وقتله حوالى سنة ٣٧٠ هـ .

ويقال فى بيان سبب هذا القتل أن الدقيقى كان متهماً بالزندقة إذ كان يظهر الإسلام ويبطن المجوسية : ويستدل متهموه على زندقته بقصيدة ورد فيها :

دقيقى چار خصلت برگزیده بگيتى ازهمه خوبى وزشتى
لب ياقوت رنگ وناله چنگ مى خون رنگ ودين زردهشتى

= قد اختار الدقيقى أربعة أشياء من كل ما هو حسن أو قبيح فى العالم
ثغر ياقوتى اللون ونعمة الرباب وخمر فى لون الدم ودين زرادشت

ومع أن هذه الأبيات لا توجد فى أشهر كتب الأدب الفارسى وهو كتاب « لباب الألباب » فليس من البعيد أن تكون من نظم الدقيقى . ويرى العلامة براون ^(٢) أنها لا تدل دلالة قطعية على زندقة الدقيقى ، وإنما تدل على شدة ولعه بالخر — شأنه فى ذلك شأن كثير من مسلمى الفرس . وقد كانت شدة ولعه بها سبباً

(١) راجع كتاب بهارستان للجامى عند الكلام على الدقيقى .

(٢) راجع كتابه نفسه ج ١ ص ٤٥٩ — ٤٦٢

في أنه رضى على الديانة الزرادشتية ؛ لأنها تبيح شرب الخمر ولا تحرمه كما يفعل الإسلام . وليس هذا زندقة ولا إلحاداً وإنما هو مجون شاعر خاله ولم يستطع كبت وجداته .

ومهما يكن من أمر السبب في قتل الدقيقى فمن المؤكد أنه حال بينه وبين تكملة الشاهنامه ، ومن الثابت قطعاً أن الفردوسى نهج منهجه في تكملتها . ويقال إن ذلك كان بناء على رؤى بأراها . وقد حمل الفردوسى على سلفه حملة نقدية شعواء لم يبررها نقاد الأدب الذين درسوا ما نظم الدقيقى فعلموا أن نقد الفردوسى ليس له أساس من الصحة .

وعلى كل حال يكفى الدقيقى فخراً أنه هو الذى وضع الحجر الأساسى فى بناء الشاهنامه ، وأن الفردوسى اقتفى أثره .

ومما يدل على سمو منزلته الشعرية بين معاصريه شهادة العميد أسعد له حين قدم الشاعر الفرّخى إلى الأمير أبى المظفر الچغانى وقال له : « أيها السيد لقد أتيت إليك بشاعر لم ير الناس مثله منذ أن غرب وجه الدقيقى فى أطباق الثرى »^(١) . يقول العوفى فى وصف شعر الدقيقى^(٢) :

إن شعر الدقيقى أرق من نغمات الطبول ، وأدق من أسلاك آلات الطرب ، وقد لقبوه بالدقيقى لدقة معانيه ورقة ألفاظه ، وكان فى خدمة أمراء چغانيان^(٣) يشيد بذكرهم ، ويخلد ما أثرهم بقصائده الغراء .

(١) « چهار مقاله » ص ٣٩ .

(٢) لباب الألباب ج ٢ ص ١١ — ١٣ .

(٣) چغانيان : جزء من مقاطعة سمرقند . راجع هامش ص ٧٠ من هذا الكتاب .

نظم قصيدة في مدح الأمير أبي سعيد بن مظفر بن محتاج الجفاني ورد فيها قوله :
 أي کرده چرخ تیغ ترا پاسبان ملک وی کرده جود کف ترا پاسبان خویش
 تقدیر گوش امر تو دارد ز آسمان دینار قصد کف تو دارد ز کان خویش
 = یا من جعل الفلک (الله) سيفك حارسا للملك

ويا من جعل الجود کفك قیما علیه
 إن الاستماع إلى أوامرك يتلقاه القدر من السماء

وإن الدینار لیسعی إلى کفک من خزانتک (= من منجمه)
 وقد اتصل ببعض أمراء الدولة السامانية ومدحهم ، ومنهم الأمير أبو صالح
 منصور بن نصر بن أحمد الساماني الذي يقول في مدحه :

ملک آن یادکار آل دارا	ملک آن قطب دور آل سامان
اگر بیند بگاه کینش إبلیس	ز بیم تیغ او بپذیرد ایمان
پیای لشکرش ناهید وهرمز	به پیش لشکرش مریخ وکیوان
= ملک هو ذلك المذکر بآل دارا	ملک ذلك الذي هو قطب رحا آل سامان
لو رأى إبلیس غضبه كما هو فی الواقع	لتقبل الايمان خوفاً من بأس سيفه
یسیر من خلف جيشه الزهرة والمشتري	ومن ورائه یسير المریخ وزحل ^(١)

ومن قصيدة يمدح بها الأمير أبا القاسم نوح بن منصور بن نوح بن نصر قوله :

* * *

(١) المعروف أن الزهرة والمشتري من كواكب السعد وأن المریخ وزحل من كواكب النحس . فلعل الشاعر يريد أن يقول إن النحس يسبقه فيدمر أعداءه وإن السعد يسير على أثره في البلاد التي يفتحها .

چرخ گردان نهاده دارد گوش تا ملک مرورا چه فرماید
 زحل از هیبتش نمیداند که فلک را چه گونه پیماید
 = این فلک الدوار لیصغی لیستمع إلى ما يأمر به الملك
 و این زحل لایعرف — فرقا منه — کیف یقیس الفلک

= یسیر فی فلک

أى أن زحل يختفى ولا يظهر في السماء خوفاً من الملك ، وبذلك لا يكون في
 الكون شر ولا فساد ، لأن زحل من كواكب النحاس .
 ومن شعره في التغزل :

کاشکی آندر جهان شب نیستی تا مرا هجران آن لب نیستی !
 زخم عقرب نیستی بر جان من گر ورا زلف معقرب نیستی
 ورنمودی کوکبش در زیر لب مونسم تاروز کوکب نیستی
 ورمرب نیستی از نیکوئی جانم از عشقش مرکب نیستی
 ورمرا بی یار باید زیستن زندگانی کاش یارب نیستی

= لیت اللیل لم یکن له وجود فی العالم

حتى لا يكون (من الضروی) أن أهجر تلك الشفاء

ولو لم یکن للمحبوبة طرة مقوسة تقوس العقرب

ما تألمت روحی تألم من لدغته العقرب

ولو لم یکن کوکبها المنیر من تحت شفتیهما

ما وُجد کوکب مضیء یؤنسني حتي الصباح

ولو تكن مكونة (كلها) من جمال ما كانت روحی مكونة كلها من عشقها

هولو كان لا بد لي أن أحيأ بدون حبيب فيارب أدعوك ألا تكون (لى) حياة
ومن شعره فى الخمر قوله :

زآن تلخ مى گزين كه گردآند نبروش روان تلخ را شيرين
وز طلعت او هواچنان پر رنگ كز خون تذرو سينه شاهين

= اصطف « لى » من تلك الخمر المرة التى

تجعل قوتها النفس البائسة (المرة) سعيدة (حلو)
والتي من طلعتها (المشرقة) يمتلىء الهواء لونا

كما يكون صدر الصقر ملونا من لون دم فرسته من الطير

وقوله :

زآن مركب كه كالبد از نور ليكن اورا روان وجان از نار
رآن ستاره كه مغربش دهنست مشرق اورا هميشه پر خسار

= « أعطنى » من ذلك المزيج الذى جسمه نور

ولكن له نفس وروح من نار

(أو من) ذلك الكوكب الذى مغربه الثغر

ومشرقه دائما على الوجه

أى من الخمر التى يشربها الإنسان من فمه فتظهر آثارها فى إضاءة وجنته .

وله فى وصف قدح من البلور قد ملئ ماء مثلجا : —

نگه كن آب ويخ در آبگينه فروزان هرسه همچون شمع روشن
گدازيده دوتا يك تا فسرده يك لون اين سه گوهر بين ملون

= انظر : « ههنا » ماء وثلج في قدح من البلور

« ترى » الثلاثة جميعا مضيئة كالشمع المنير

اثنان منها ذائبان وواحد متجمد

انظر إلى هذه الجواهر الثلاثة (إنها) ملونة بلون واحد

وقال ينجى السحاب ويتألم لفراق الحبيب :

ای ابر بهمنی که بچشم من اندری

دم زن زمانگی و برآسای کم گری^(۱)

این روز و شب گریستن زار^(۲) بهر چیست

نی چون منی غریب و غم عشق بر سری

دردا جدا بماندم و در غم ز عشق یار

من زین تونگرم که مباد زین تونگری

یاری گزیدم از همه خلقان پری نژاد

ز آن شد ز پیش چشم من امروز چون پری

لشکر برفت و آن بُتِ لشکر شکن برفت

هرگز مباد کس که دهد دل بلشگری^(۳)

= أيها السحاب الممطر الذي يحتل الصميم من عيني

كف (عن المطر) بعض الوقت واسترح وخفف من بكائك

(۱) بهمن = بنابر = سحاب ممطر ، فالیاء فيه أما للنسب وأما للخطاب .

(۲) زار = نحیب ..

(۳) لعل المحبوب الذي يتألم لفراقه كان أحد الأمراء التي سافر ليحارب مع الجيش

أو قائداً له .

لَمْ هَذَا الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ الْمُسْتَمِرُّ لَيْلَ نَهَارٍ ؟
 لست غريباً مثلي ولا تحمل هموم العشق فوق رأسك كما أحمل
 واحسرنا (على أن) أبقى وحيداً وفي غم من جراء عشق الحبيب
 إني مثقل (غنى) بهذا « الهم » الذي أرجو ألا تكون مثقلاً به
 قد اخترت من جميع الخلائق صديقاً ملائكي الأصل
 من أجل ذلك صار أمام عيني اليوم كأنه ملك
 ذهب الجيش وذهب ذلك الصنم (الحبيب) قاهر الجيوش
 وإني لأرجو ألا يهب أحد قلبه لجندي مطلقاً
 وقال في ضرر الإقامة بمكان واحد : —

من اینجا دیر ماندم خوار گشتم عزیز از ماندن دایم شود خوار
 چو آب اندر شمر بسیار ماند زهومت گیرد از آرام بسیار
 = لقد أقيمت هنا طويلاً فأصبحت ذليلاً حزيناً
 والصدیق العزیز یصیر من المقام الطویل مکروهاً ذليلاً
 وحيناً یبقی الماء فی الغدير طويلاً (کثیراً) یتعفن بسبب رکوده المستمر (الکثیر)

٤ — الشيخ أبو العباس الفضل بن عباس الربنجي

كان من أفضل الشعراء في العصر الساماني ، ويصف العوفي شعره بأنه قد بلغ الغاية من الدقة ، ووصل إلى النهاية في الرقة .

ظهرت مهارته في قصيدة جمع فيها بين رثاء الأمير نصر بن أحمد الساماني وتهنئة خلفه الأمير نوح بن منصور .

وقد ذكر العوفي من هذه القصيدة الأبيات الآتية :

- | | |
|-------------------------------|--------------------------|
| (١) پادشاهی گذشت خوب نژاد | پادشاهی نشست فرخ زاد |
| (٢) زآن گذشته زمانیان غمگین | زین نشسته جهانیان دل شاد |
| (٣) بنگر اکنون بچشم عقل و بگو | هرچه برما ز ایزد آمد داد |
| (٤) گر چراغی ز پیش ما برداشت | باز شمع بجای او بنهاد |
| (٥) ورزحل نحس خویش پیدا کرد | مشتري نیز داد خویش بداد |
| = (١) ذهب ملك طيب المحتد | وجلس ملك سعيد المولد |

(٢) فأبناء الزمان في غم من رحيل من رحل

وسكان العالم في فرح من جلوس من جلس

(٣) فانظر الآن بعين عقلك وقل كل ما جاءنا من الله هو عدل

(٤) فإذا كان قدرع من أماننا مصباحا فقد وضع مرة ثانية مكانه سراجا

(٥) وإذا كان زحل قد أبدى لنا نحسه

فقد حبانى المشتري أيضا عدله (وأنسه)

٥ — أبو الحسن علي بن محمد الترمذى المعروف بمنجيك

يصف العوفى شعر هذا الشاعر بأنه جيد الألفاظ ، مبتكر المعانى ، بليغ العبارات ، نادر الاستعارات ، ويقول إنه كان من ملازمى أمراء جغان .

ومن جيد شعره فى وصف الورد :

نيكو گل دورنگ را نگه کن درست بزير عقيق سـاده
يا عاشق ومعشوق روزخلوت رخساره برخساره برنهاده

= انظر إلى الورد الجميل ذوى اللونين

إنه كالدر «الأبيض» تحت العقيق الصافى الحمرة

أو كالعاشق والمعشوق حين يخلوان ويضع كل منهما خده على خد الآخر

= انظر إلى الورد الجميل ملونا درُ بدا تحت العقيق الأحمر

أو عاشقان تعانقا فى خلوة فهناك خد فوق خد الآخر^(١)

٦ — أبو عبد الله محمد بن الحسن المعروف فى البلخى

كان هذا الشاعر معاصراً للأمير عبد الملك بن نوج بن نصر .

قال فى قصيدة يمدح بها هذا الأمير : —

أى آنكه مر عدورا صبرى وحفظلى وى آنكه مرولى راشهدى وسكرى

آنجاكه پيش بينى بايد موفقى وآنجاكه پيش دستى بايد مظفرى

یا من هو للأعداء صبر وحنظل ویا من هو للأصدقاء شهد وسکر
 حیثما تنظر إلى الأمام فأنت موفق وحيثما تمدد يدك (للطعن) فأنت مظفر
 ومن جید غزله قوله :

دوست باقامت چون سرو بمن برگذشت تازه گشتم چو گل وتازه شد آن مهر قدیم
 وآن دوزلفین بر آن عارض او گوئی راست برگل خیر است از غالیه سر تا سرسیم
 گشت برگشت سیه جعد چوعین اندر عین

گشت برتاب سیه زلف چو جیم اندر جیم
 مردمان گویند کین عشق سلیم است آری بزبان عربی مارگزیده است سلیم
 من همی خندم بجائی که حدیث تو کنند واندرون دل دردی که به الله علیم
 = مرّ بی محبوب له قوام کقوام السرو
 فانتعشت کالورد ونشط ذلك العشق القديم

« وترى » تینک الطرّین فوق عارضه فتعجب حقا
 أن فضة مزجت بالمسک نثرت علی وردأحمر من طرف (من عارضه) إلى الطرف الآخر
 والطرر السوداء قد تجعدت فصارت كأنها « حرف » عین « کتب »
 داخل « حرف » عین

« أو قل » إن تلك التجعدات السوداء قد تثنت فصارت كأنها « حرف »
 جیم « کتب » داخل « حرف » جیم

يقول الناس إن هذا العشق عشق رجل سلیم الجسم . نعم
 ففي اللغة العربية « يطلق علی من » عضه الثعبان « وصف » السلیم
 إني لأضحك حين يتحدث الناس (عني و) عنك
 وفي القلب من الألم ما الله به علیم

۷ — منصور بن علی المنطقی الرازی

یصفه العوفی بأسلوبه البراق فیقول : إنه کان بمنطقه العجیب أعجوبة عصره ،
ونادرة دهره . وبلغ صیت فضله العام والخاص . وقد حظی بشرف خاص
فی حضرة الصاحب کافی الکفاة ، وکان له طبع کالشمس ضیاء ، وخاطر
کالماء صفاء .

قال فی قصیده یمدح بها الأستاذ الجلیل أبا القاسم الصاحب اسماعیل بن عباد
ابن عباس : —

مه گردون مگر بیمار گشتست بنالید وتنش بگرفت نقصان
سپر کردار سیمین بود واکنون برآمد بر فلک چون نوک چوگان
تو گفתי خنک صاحب تاختن کرد فگند این نعل زرین در بیابان
= لیت شعری . هل مرض قمر السماء إنه یئن ویشکو وأخذ جرمه فی النقصان
قد کان ترس الخالق فضی اللون أما الآن فقد بدا فی السماء کأنه طرف الصولجان
« حتی » خیلَ إلیک أن جواد الصاحب انطلق فی الصحراء

فألقي نعله الذهبي فی کبد السماء
وقال یمدح الصاحب کافی الکفاة أيضاً :

جهان داد کافی الکفاة آنکه ملک سپارد بتدیر وسعیش زمام
نه بی امن او عدل بیند جهان نه بی رای او ملک دارد نظام
سخارا بدو کرد مولی عزیز جهان را بدو داد ایزد قوام

== « هو » عدل العالم كافي الكفاة ذاك الذي

تسلم الدولة زمامها إلى حسن تديره ومشكور سعيه
لا يرى العالم العدل بدون صدق أمانته ولا يكون للدولة نظام بدون حسن مشورته
بوساطته أسبغ المولى العزيز علينا الجود وقال يصف شخصاً بالكرم : —

درم گر جود او دانسته بودى زكانش نامدى بيرون زيمان
بدین معنی پشیمانست دینار نه بینى زرد رویش چون پشیمان
== لو كان الدرهم يعلم « مدى » جوده ما كان يخرج من مأمنه فى منجمه
ولهذا السبب « ترى » الدينار فى خجل ألا ترى وجهه أصفر كأنه خجلان
وهذا الشاعر هو الذى نظم الآيات الثلاثة التى أولها :

يك موى بدزدیدم ازدوزلفت

وهى التى ترجمها بديع الزمان إلى العربية شعرا وقد تحدثنا عنها حديثا كافيا
عند الكلام على الترجمة الشعرية فارجع إليه إن شئت .

٨ — أبو بكر محمد بن على الخسروى السرخسى الحكيم

كان من الشعراء البارزين فى عصر الدولة السامانية أيضاً ، ولكنه لم يكن
على صلة بأحد من أمراء هذه الدولة ، ولم يقصر جهوده الأدبية على أحد بعينه ،
بل كان يتقلب فى البلاد ، ويمدح الأدباء والأمراء ، وكانت له دراية بالشعر
العربى . ومما أثر من شعره بالعربية قوله :

عجبت من ربي وربى حكيم أن أحرم العاقل فضل النعيم
 ما ظلم البارى ولكنه أراد أن يظهر عجز الحكيم
 وأنت ترى أن استعمال الفعل « أحرم » بالمعنى المقصود نادر ، ولعل هذا
 خطأ مطبعى . والمشهور حرم . واستعمال « حرم » بدلا من أحرم لا يخل بوزن
 الشعر كما لا يخفى .
 وقال فى قصيدة بدأها بالغزل وختمها بمدح الأمير شمس المعالى قابوس بن
 وشمكير بن زيار^(١) :

حلقة زلفت همه قصيده عيني حلقة جعدت همه قصيده دالى
 چشم سياهت باسپرغمى ماند زر بميانه همى كراش لآلى
 نيست بخوبى ترا نظير وكسى نيز نيست بچيزى نظير شمس المعالى
 = حلقة طرتك كلها قصيدة عينية وتجاعيد خصلتك كلها قصيدة دالية^(٢)
 وعينك السوداء تشبه زهرة الريحان

ففى وسطها ذهب ومن حوله « بيض » اللآلى
 لا نظير لك فى الحسن كما أنه لا شخص يشبه شمس المعالى فى شىء
 وقال فى قصيدة يمدح بها كافى الكفاة أبا القاسم الصاحب إسماعيل
 ابن عباد :

(١) أحد أمراء الدولة الزيارية التى كانت تحكم إقليم جرجان (٣١٦ — ٤٣٤ هـ)
 وكان شمس المعالى يحميد العربية وله مجموعة رسائل قيمة . وسنتحدث عن هذا الأمير فيما يأتى .
 (٢) يريد أن يقول تجاعيد طرته تشبه فى نفوسها مجموعات من حرقى العين والبدال .

زلفین تو گوئی که شعر نغز نیست أنور شده معنیش يك بديگر
 زیر لبَت اندر مسیح پنهان زیر مژه اندر نکیر و منگر
 کس نیست در جمالت همتا چون صاحب را در کمال هم سر
 = لك أن تقول إن طرتك قصيدة جميلة من الشعر

يسكب كل من معانيها ضوءاً على الآخرة
 ومن تحت شفتيك السيد المسيح مختفياً
 ومن تحت أهداك منكر ونكير
 لا يوجد لك نظير في الجمال كما لا يوجد للصاحب ند في الكمال

وقال يمدح الأمير ناصر الدولة أبا الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور :

همتی دارد او که پنداری آسمان زیر و همتش زبردست
 او قضا گشت و دشمنانش حذر در قضا مرگ را ره حذرست
 و ر فلک بسپرد شگفت مدار قدم همتش فلک سپرست
 کوه با حلم او بیک نسبت مرگ باباس او زیک گهرست
 مکر ماتش بنوع ماندر است نوع باقی و شخص برگذرست

= له همة علت حتى إنك لتحسب

أن السماء من تحت (كالكسرة) وأن همته من فوق كالفتحة

لقد صار هو القضاء وأعداؤه الحذر وفي حكم القضاء الحذر سبيل إلى الفناء

وإذا كان الفلك قد سلم « إليه الأمر » فلا تعجب

فإن قدم همته مجن الفلك

وإن حلمه والطود متحدان في النسبة
ومكرماته بالنوع باقية حقا
وله في بيان ما يجب أن يكون عليه الاعتقاد في الله في نظر أهل السنة والجماعة :
مر خداوند را بعقل شناس
آفریننده را نیابد وهم
وهم ما یارِ جوهر و عرض است
کیف گفتن خطاست یزد را
نیست مانند او پرس که چیست
= اعرف « فکر فی » المولی بعقلک
فإذا كان إنكار الباری بالوهم خطأ
إن وهما مرتبط بالجوهر والعرض
السؤال بکیف خطأ بالنسبة لله
لیس له شبهه فلا تسأل : « ما هو ؟ »
وفي هذه القطعة والتي قبلها ترى آثار الفلسفة فی شعر هذا الشاعر ،
ولذا وصف بأنه حکیم .

۹ - الشيخ أبو زراعة المعمرى الجرجانى

كان هذا الشاعر معاصراً للرودى . سألہ أمير خراسان يوماً : « أنتظم شعراً
مثل شعر الرودى ؟ » فأجاب : « إن حُسن نظمى يفوق حسن شعره ، ولكن
من الواجب أن تصل الشاعر بإحسانك ، وتمده بعطائك حتى يصبح مرضياً عنه
من جميع أبناء عصره ؛ فإن الشاعر لا يظهر أمره إلا حين بصله بمدوحه ببره ، وينظر
إليه بعين رضاه . » ثم أنشد فى هذه المعنى هذه الأبيات الثلاثة :

اگر بدولت بارودگی نمنی مانم عجب ممکن سخن را از رودگی نه کم دانم
اگر بکوری چشم او بیافت گیتی را ز بهر گیتی من کور بود نتوانم
هزار بک زان کویافت از عطاء ملوک بمن دهی سخن آید هزار چندانم
= إذا كنت لا أشبه الرودى فى عزته

فلا تعجب فليست درايتى بالشعر أقل من درايتہ
وإذا كان قد حظى بسعادة الدنيا على حساب بصره

فلن أستطيع أن أكون أعمى من أجل الدنيا
أعطينى واحداً من ألف مما نال من عطاء الملوك

يأتينى شعر مثل « شعره » ألف مرة
ويبدو من البيتين الآيتين أنه كان يعتقد بمقدرته الخيرية اعتداده بمقدرته
الشعرية على السواء . وذلك حيث يقول :

آنجا که درم باید دینار براندازم و آنجا که سخن باید چون موم کنم آهـن
چون باد همی گردد بآباد همی کردم که با قدح و بربط ، که بارزه و جوشن

= إني — حين يجب أن ينفق الناس الدارهم — أرمي بالدنانير
 وحين يجب أن يتحدث الناس حديثاً في لين الشمع أصوغ الكلام في قوة الحديد^(١)
 وحينما تدور الريح أدور معها أيضاً
 « تجدني » حيناً قرين الكأس والبربط وآخر في صحبة الدرع والترس

١٠ — أبو القاسم زياد بن محمد القمري الجرجاني

كان ممن اتصلوا بالأمير شمس المعالي قابوس الزيارى .
 ومن شعره في قصيدة يمدح بها هذا الأمير :

بتي كه سجده برديش روى او بت چين	خيال او بود اندر بهشت حور العين
ألف بقامت وميمش دهان ونونش زلف	بنفسه جعد و برخ لاله وزنخ نسرين
بزلفش اندر مُشك و بمشكش اندر خم	بچينش اندر تاب و بتابش اندر چين
میان حلقهء زلفش معلق است دلم	مثال آنكه میان فلك هوا وزمین
ز بادء لب او تلخی است عهدء من	روا بود كه بود تلخ مى به از شیرین
خردسند زمن او چون شه از معاند جان	دلم كشد زمن او چون شه از تف مى كین

* * *

= هو صنم يسجد أمام وجهه صنم الصين
 ومثاله في الخيال مثال ما في الجنة من الحور العين
 قامته ألف وثغره ميم وطرته نون
 طرته بنفسج ووجهه سوسن ودقنه نسرين

(١) أو : أتخذ من الحديد كلاماً في لين الشمع .

في طرته المسك وفي مسكه طرة في ليات شعره ضياء وفي شعره المضي ليات
 قلبي معلق بين حلقات طرته مثما أن الهواء بين السماء والأرض
 وفي تعلق به مرارة وعذاب من جراء خمر شفتيه
 وقد يكون من المقبول أن يكون مر الخمر أفضل من حلوها
 إنه ليستلب منى رشدى كما يستلب الملك روح الثائر العنيد
 ويستحب قلبي كما يستحب الملك البغضاء من عقوبة «شرب» الخمر^(١)

١١ — أبو طاهر الطيب بن محمد الخسروانى

كان من أمثال شعراء الساميين ، وقد عاش في رعايتهم عيشة هادئة راضية .
 اشتد عليه المرض في أواخر حياته واستعصى علاجه فقال :
 چهار گونه از من بعجز بنشستند كزان چهار بمن ذره شفا نرسيد
 طبيب وزاهد واخترشناس وافسون گر بدارو وبدعا وبطالع وتعويذ
 = قعد أربعة أصناف من الناس عاجزين «عن علاجى»
 فلم يصل إلى من هؤلاء الأربعة ذرة من شفاء
 الطبيب والزاهد والمنجم والمشعوذ
 عجز «الأول» بدوائه ، «والثانى» بدعائه ، «والثالث» بطالعه «والرابع» بتعاويذه
 وقال يدعو إلى القناعة ويستنكر الجشع .

(١) تف حرارة النار ولهيها وبخار الماء والأرض والعقوبة . والمراد ألا يعاقب الملك
 على شرب الخمر عقوبة مصحوبة بالكراهية والبغضاء ، وقد يكون المعنى : كما يستمد الملك
 القوة من حرارة الخمر .

تا باز کردم از دل زنگار آرزو طمع زی هر دری که روی نه در فراز نیست
جاهست و قدر و منفعه آنرا که طمع نیست

غزست و صدر و مرتبه آن را که آرزو نیست

= إلى أن أحو (أمنع) من قلبي صدأ الجشع والطمع

فلن يعلو قدر حياتي (رزق) لدى كل باب أقصده

فمن ليس لديه طمع يحظى بالجاه والقدر والمنفعة

ومن ليس لديه جشع يحظى بالعزة والصدارة وعلو المنزلة

۱۲ — أبو المظفر نصر بن محمد الاستغنائی النیسابوری

كان من أفاضل نيسابور المعروفين بالعلم والفضل . ومن شعره الغزلي قوله :

بماه ما ندی اگر نیستیش زلف سـیاه

بزُهره ما ندی اگر نیستیش مشکین خال

رخانش را بیقین گفتمی که خورشید است

اگر نبودی خورشید را کسوف وزوال

إنها تشبه القمر لو لم يكن لها طرة سوداء وإنها تشبه الزهرة لو لم يكن لها خال مسكى

قد كنت أقول بيقين إن طاعتها كالشمس لو لم يعتر الشمس كسوف وزوال

١٣ — أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنيدى

اشتهر هذا الشاعر بالبراعة فى النظم والنثر معا ، وبالتقدرة على قرض الشعر بالعربية والفارسية . ويروى العوفى فى الباب أنه كان من شعراء العربية المقر بين لدى صاحب بن عباد . ومن شعره بالعربية البيتان الآتيان :

يا دار سعد قد علت شرفاتها نُبِئْتُ أَنْ سُمِّيتِ قَبْلَةَ النَّاسِ
لورود وفد أو لدفع ملامة أو بذل مال أو إدارة كأس
ولولا العبارة الأخيرة ولولا أن الناظم معوفوف لظن القارى أن هذين البيتين فى وصف بيت الأمة منزل المرحوم سعد زغلول باشا .
ومن شعره بالفارسية :

شب گیر صبح را ز سر گیر بر بانگ خروس وناله زیر
خورشید که برزند سراز کوه آن به که خوری ز جام تشویر
از جام بجامه در شبانگاه وز جامه بجام روز بشبگیر
شیرست غذای کودک خورد شیره است غذای مردم پیر

= امسك بزجاجة الصبوح من عنقها واشرب
وأنت ساهر على صياح الديك ونعمة العود

وحين تطل الشمس برأسها من وراء الجبل
يكون خيراً « لك » أن تشرت من كأس الطرب
« انتقل » من الكأس إلى لباس الفراش ليلاً

ومن لباس الفراش إلى كأس التهانى فى الصباح
إن اللبن غذاء الطفل الصغير والخمر غذاء المسن الكبير

١٤ — أبو منصور عمارة بن محمد المروزي

عاش هذا الشاعر في أواخر الدولة السامانية وأوائل الدولة الغزنوية ، وكان موضع تقدير وإجلال ممن عاصروهم من أمراء الدولتين . وقد بدت براعته الشعرية في الوصف وبخاصه وصف الشراب والمناظر الطبيعية .
ومن جيد شعره قوله يرثي أميراً يسمى ابراهيم المنقص .

ازخون او چون روی زمین لعل فام شد روی وفاسیه شد وچهرامید زرد
تیغش بخواست خـورد همی خونِ مُرگ را

مُرگ از نهیب خویش مرآن شاه را بخورد
= لما احمر وجه الأرض من دمه اسود وجه الوفاء واصفرت وجنة الأمل
كان سيف الأمير قد أراد أن يشرب دم الموت

ولكن الموت هب مسرعا فالتهم ذلك الأمير
وقال يمدح السلطان محمود بن سبكتگين الغزنوی :

از کف شاه بور بود برجین خور جودش مراسهیل نمودست برجین
گر بر کران دجله کسی نام او برد آب انگین ناب شود گل گل انگین
= إن النور « البادی » على جبین الشمس کان (انبعث) من کف الملك

وإن کرمه أظهر لی کوکب (السعد) سهیلا علی جبینی
ولو ذکر (حمل) أحد اسمه علی شواطئ دجلة

لصار مأوه عسلا مصفی واستحال طينه عسل ورد
وقال فی وصف سطح الأرض فی فصل الربیع : —

جهان ز برف اگر چند گاه سیمین بود ز مرد آمد و بگرفت جای توده سیم
بهار خانه کشمیریان بوقت بهار بیاع کرد همه نقش خویشان تسلیم
بدور باد همه روی آبگیر نگر پیشزه ساخته بر شکل پشت ماهی شیم

= بینما یكون العالم بسبب الجلید مغطى بطبقة من الفضة

إذا بالزمرد (النبات الأخضر) يظهر ويحل محل أكوام الفضة
ودار «التحف» والأصنام بكشمير قد أهدت في فصل الربيع

إلى الحدائق جميع صورها (الجميلة)
تأمل التفاف الريح على سطح البحيرة

(إنه) جعل من سطحها أمواجاً كثيرة صغيرة كقشور السمك فكان كظهر الحوت

وقال يصف الخمر في القدح :

آتش بیدی ای عجب و آن متمزج اینک! نگاه کن تویدان جام و آن شراب
جام سپید و لعل می صاف اندرو گوئی که آتشی است برآمیخته بآب

= و اعجب! اهل رأیت النار قد مزجت بماء ألا فانظر إلى تلك الكأس و ذاك الشراب

فالكأس بيضاء قد ملئت صهباء صافية كأنما امتزجت بالماء نيران

وقال يصف حسناء تقدم الشراب :

آن می بدست آن بت سیمین من نگر گوئی که آفتاب پیوست باقمر
و آن ساغری که سایه ییگفندی برو برگ گل سپیدست گوئی بلاله بر

= انظر إلى تلك الخمر بيد محبوبتي الحسناء الفضية اللون

يخیل إليك أن الشمس والقمر قد اجتماعا

(و إلى) تلك الكأس التي تلقى ظلها على المحبوبة
يخيل إليك أن ورقة ورد بيضاء من فوقها شقيقة النعمان
وقال يصف منظرا طبيعيا :

شاخ بيد سبز گشته روز باد چون یکی مستِ نوانِ سرنگون
لا له برگ لعل بنگر بامداد چون سرِ شمشیر آلوده بخون
= يوم تهب الريح يصير فرع الصفصاف الأخضر
کأنه رجل ثمل يترنح وينكب على وجهه
أنظر إلى ورق الزنبق الأحمر في الصباح (إنه) كأطراف السيوف مخضبة بالدماء
ومن نصائحه في التحذير من تقلبات الدهر :

غمره مشو بدانك جهانت عزیز کرد ای بس عزیزا که جهان کرد زود خوار
ماراست این جهان وجهانجوی مارگیر وز مارگیرِ مار برآرد شبی دمار
= لا تغتر بما حباك به الدهر فكم عزیز أسرع الدهز إلى إذلاله
فهذه الدنيا كحبة وطالبها كالحاوی
ولا بد يوما (ليلا) أن ينشأ الدمار عن اللعب بالحيات

مختارات من أشعار من بقى من شعراء هذا العصر

الآن نعرض عليك طرفاً من شعر شعراء هذا العصر الذين لم يسجل التاريخ لهم صلة خاصة بأحد من الأمراء :

١ — قال التركي الإيلاقي فى معنى الصبر والإباء :

امروز اگر مراد تو برناید فردا رسی بدولت آبی بر
چندین هزار امید بنی آدم طوقی شده بگردن فردا بر
= إذا لم يتحقق اليوم مرادك فستصل غداً إلى السعادة فكن أيباً
« اجعل قول آبی دیدنك »

فهنالك عدة آلاف من آمال الناس (أمانات) طوق بها جيد الغد
٢ — وقال فى الشجاعة والحكمة :

راد مردى و مرد دانی چیست ؟ با هنر تر ز خلق گویم کیست
آنکه بادوستان بداند ساخت و آنکه باد شمنان بداند زیست
= أى شئ هی الشجاعة والحكمة

أقول من من الناس أفضل « من الشجاع والعالم »

فهذا يعرف ماذا يصنع مع الأصدقاء وذاك يعرف كيف يعيش مع الأعداء
٣ — وقال أبو المثل البخارى فى الشيخوخة :

برافگند پیری ضیا بر سرت بچشم بتان ظلمتست آن ضیا
ته بینی که باز سپیدی کنون اگر گبگ بگریزد از تو سزا^(١)

(١) کبگ = طير يصاد وهو من فصيلة الدراج .

= قد سكبت الشيخوخة على رأسك ضياء

وذاك النور في عين الحسان ظلام
ألا ترى أنك الآن كالصقر الأبيض فمن المعقول أن يفر منك الصيد
٤ — وقال أبو المؤيد البلخي في وصف أصابع حسناء :

انگشت رازخون دل من زندخضاب کفی کزو بلاء تن وجان هر کس است
عنا بوسیم اگر نبود مان روا بود عنا ب بر سیمکه سیمین او بس است
= أصاب الإصبع من دم قلبي الخضباب

کفی ! فبسببه حل البلاء بجسم کل إنسان وروحه
ولو لم یکن لدينا عنا ب وفضة لکان « ذلك » محتملا = فلا حرج

فإن ما على سیمکته الفضیة من عنا ب کاف
٥ — وقال أبو المؤيد الرونقي البخاري في مدح أمير خراسان .

جانست تیغ شاه که دید این چنین شکفت ؟
جانی کزو بود تن وجان همه خراب
ارزان بجای گوهر در جرم او پدید جانهای دشمنانش چو ذره در آفتاب
= إن سيف الملك روح ! من رأى مثل هذا (الأمر) العجب ؟

فإنها روح بها هلاك الأجسام والأرواح جميعاً
بدا جرمه قیما کجوهر الدر « الکریم »
وأرواح أعدائه كالذرات في « شعاع » الشمس
٦ — وقال في وصف النبيذ :

نپیزی که نشناسی از آفتاب چو با آفتابش کنی مقترن

چنان تابد از جام گوئی که هست
عقیق یمَن در سهیل یمَن
= هو نبیذ لو قرنته بالشمس
ما میزت هذه من ذلك
إنه یضیء فی الکأس فیخیل إلیک
أن عقیق الیمَن «قد وضع» فی سهیل الیمَن؟
۷ — وقال المعنوی البخاری فی التوکل :

بر خدای جهان توکل کن
دار خرسمند دل ، روان خوشنود
که از اینچیت خدای قسمت کرد
نی تغافل زیان نه کوشش سود
= توکل علی رب العالمین
وأشعر قلبک السرور وروحک الرضا
فإن ما قسمه الله لك
لا ینقصه التغافل ولا یزیده السعی

* * *

۸ — وقال فی حسن المعاملة :

هر چه آن برتن تو زهر بُود
برتنِ مردمان مدار تو نوش
بدهی^(۱) داد دادِ کس نستاز
انگین خر مباش وزهر فروش
= لاتعد ما هو سم «قتال» لنفسک
عسلا شهیا لنفوس الناس
ینبغی أن تعطی الحق (صاحبه) ولا تمسک (تأکل) حق أحد
لا تکن مشتریاً للشهد وبائعاً للسم
۹ — وللبخازی النیشابوری فی وصف طرقي معشوق :

می بینی آن دوزلف که بادش همی برد
کوئی که عاشق است هیچش قرار نیست

(۱) ویصح أن تقرأ « ندهی ». ویكون المعنی : إذا كنت لا تؤدی الواجب فلا تسلب أحداً حقه .

یانی که دست حاجبِ سالارِ لشکر ست
از دور می نماید کامروز بار نیست

= تری تینک الطرتین اللتین نفشهما (حملهما) الهواء

فتحسب أن (کلا منهما) عاشق قلق لا يستقر له قرار

لا بل «تظن» أنهما یدا حاجب امیر الجیش

ت شیران من بُعد «بما یفید» أن لا مقابلة اليوم

۱۰ — وللسپهری — من أدباء ما وراء النهر — فی وصف السوسن :

شاخهای مورد بر رفته به بین و برگهاش بر شکسته جعد اندر جعد چون زلفین یار

بوستان افرز تابان از میان بوستان همچو خون آلوده در هیجاسنان شهر یار

= انظر إلى أغصان السوسن وقد امتدت إلى أعلى ، وإلى أوراقه

وقد تثنت فصارت تجاعید متداخلة كأنها طرة شعر الحبيب

« وهذه أزهار » السوسن تضيء في وسط البستان فتملؤه نوراً

کأنها أسنة رماح الملئک فی الهیجاء وقد خضبت بالدماء

أميران من أمراء هذا العصر

نريد الآن أن نتحدث عن أميرين من أمراء هذا العصر شاع ذكرهما بالثناء ، وذاع صيتهما بين الأدباء والعلماء ، لا باعتبارهما أميرين كريمين محبوبين محبين للعلم والأدب ، ومكرمين للعلماء والأدباء فحسب ، ولكن أيضاً باعتبارهما أديبين كانت لهم مقدرة ممتازة في قرض الشعر . فأما أولهما فهو :

(١) الأمير منصور بن نوح ^(١)

كان هذا الأمير — كما يقول العوفي — آخر أمراء الدولة السامانية ، ولكن المعروف أن أخاه عبد الملك الثاني قد جلس على العرش من بعده ، وإن لم يكن حكمه قد امتد طويلاً .

وكان الأمير منصور في ريعان شبابه حين تولى الحكم ، ولكن الدولة أدركت في عصره مرحلة الشيخوخة ، فوهنت قواها ، واختل أمرها ، وأخذ نجمها في الأفول . وكانت حياة هذا الأمير في أوائل عهد السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وكثيراً ما كان يقع أسيراً في يد أعدائه ، ثم يطلق سراحه . وقد حاول صراً أن يسترد الملك الذي ورثه عن أبيه ، ولكن قضاء الله وقدره لا يردّها سعي ، ولا يغيرهما تدبير ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

وكانت نهاية الدولة السامانية على أيدي الغزنويين الذين سنحدثك عنهم فيما بعد . وكان الأمير منصور يجلس على عرش الملك ببخارى ، وكثرت في أيامه

الفتن والاضطرابات ، وثار عليه أعداؤه في جميع أنحاء المملكة ، وتوجس أركان الدولة خيفة من هذه الفتن والاضطرابات ، وأدركهم الفزع ، واستولى عليهم الجزع . أما الأمير فكان هادئاً متيقظاً ، متأهباً للحرب والنزال ، ممطياً جواده . يكتفي من الملابس بقباء زبد جاني متين الحبك ، جيد السبك ، يتلقى به طعنات الأعداء . وقد قضى معظم أوقاته في الكر والفر ، والإقدام والإدبار . وكان يجيد نظم الشعر ، ولم يرو الرواة شعراً لأحد من أمراء السامانيين غيره . وشعره مطبوع يبدو عليه وقار الأمراء وسمو الملوك .

قال له بعض ندمائه ذات يوم : أيها الأمير ! لماذا لا تتخذ من الملابس أجملها ؟ ولا تسلي نفسك بأنواع الملاهي التي هي من أمارات الملك ولوازم أبهة الرياسة ؟ « فرد عليهم بنظم هذه القطعة التي تفيض شجاعة وحكمة .

* * *

كویند مرا چون سَلَبِ خوب نسازی

ماوی گِه آراسـتِه وفرش ملون ؟

با نعره گردان چکنم لحن مغنی ؟ با پویه اسپان چکنم مجلس گاشن ؟

جوش می ونوش لب ساقی بچه کارست ؟ جوشیدن خون باید برعبیه جوشن

اسپیست وسلاحست مرا بزمگه وباغ تیرست وکما نست مرا لاله وسوسن

= یسألونی : لماذا لا تصنع لك ملابس فاخره ؟

ولا تبني لك قصرأ مزنيا ، « ولا تتخذ » فراشاً مزخرفاً ؟

وماذا أصنع بلحن المغنی ؟ وكيف يتفق هذا مع شجاعة الأبطال ؟

وماذا أصنع بالجالس المزدانة بالأزهار ؟ وكيف يتفق هذا مع كراخيل ؟

وماذا تجدى حرارة الخمر وحلاوة شفة الساق ؟
حين يجب أن يكون سكب الدماء على عيبة الترس ؟
الجواد والسلاح عندى بمنزلة الوليمة والبوسستان
والسهم والقوس عندى بمنزلة السوسن وشقائق النعمان
ومن شعره الرباعي الآتي . وهو في شكوى الفلك الغدار :
أى بديدن كبود خود نكبود آتش از طبع و در نمايش دود
واى دو گوش تو كر مادرزاد با توام گرمى و عتاب چه سود ؟
= يا هذا الذى هو فى رأى العين أزرق وما هو فى الحقيقة بأزرق
ما أنت إلا نارى فى طبعك وإن كنت دخاناً فى منظرک
ويا هذا الذى فى أذنيه وقر منذ أن ولد أى فائدة لى فى معاتبتك والحنق عليك ؟

* * *

وأما ثانى الأميرين فهو :

ب — شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى

قامت الدولة الزيارية فى جورجيا وطبرستان على الساحل الجنوبى لبحر
قزوين . ويذكر المؤرخون أن هذين الإقليمين لم يخضعا خضوعاً تاماً للحكومة^(١)
المركزية ببغداد ؛ ففى طبرستان أقام العلويون دولة مستقلة (٢٥٠ — ٣١٦ هـ)
استعصى أمرها على العباسيين والسامانيين . وقد انتهز مرداويج بن زيار فرصة

(١) راجع ص ٢٧ من كتاب The Mohammedan Dynasties, by Stanley Lane — Poole .

اضطراب الأمر في هذين الإقليمين فاستولى عليهما . ثم احتل أصفهان
وهمدان ، واستمر في غزوه حتى وصل إلى حلوان على حدود العراق فيما بين سنتي
٣١٦ ، ٣١٩ هـ .

كان مرداويج أميراً من نسل أمراء ، وكان سيداً لعلی بن بويه . وإليه يرجع
الفضل في تعيين علیّ هذا حاكماً لإقليم الكرج ، فكان هذا أول منصب تولاه
هذا البويهی :

وكان مرداويج يحكم بلاده خاضعاً خضوعاً اسمياً للخليفة العباسي^(١) ، كما كان
أخوه وخليفته علی العرش وشمگیر يخضع خضوعاً اسمياً للعباسين والسامانيين معاً .
ولما قامت الدولة البويهية سنة ٣٢٠ هـ كانت سلطة الزياريين مقصورة على
جورجان وطبرستان وقلما تجاوزتهما . وكان البويهيون ينازعون الزياريين حتى
إن مؤيد الدولة البويهی (٣٦٦ — ٣٧٣ هـ) أسر شمس المعالی قابوس بن وشمگیر ،
وظل في الأسر ثمانی عشرة سنة من سنة ٣٧١ إلى سنة ٣٨٩ هـ . ولما أطلق سراحه
استرد ملكه السابق ، وأضاف إليه إقليم جیلان . وخلفه ابنه منوچهر ثم ابنه
أنوشیروان الذي سقطت البلاد في عهده في يد الغزنويين سنة ٤٣٢ هـ سنة ١٠٤٢ م
وإليك بياناً مجملًا لأمراء الدولة الزيارية ومدة حكم كل منهم .

١ — مرداويج بن زیار (٣١٦ هـ ، ٩٢٨ م)

٢ — ظهير الدولة أبو منصور وشمگیر (٣٢٣ هـ ، ٩٣٥ م)

٣ — بیستون بن وشمگیر (٣٥٦ هـ ، ٩٦٧ م)

(١) كان مراد ويح معاصر الثلاثة من الخلفاء العباسيين هم المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠)
والقاهر (٣٢٠ — ٣٢٢) والرازي (٣٢٢ — ٣٢٩) .

٤ — شمس المعالى قابوس بن وشمگیر (٣٦٦ هـ ، ٩٧٦ م)

٥ — فلك المعالى منوچهر (٤٠٣ هـ ، ١٠١٢ م)

٦ — أنوشیروان بن شمس المعالى (٤٢٠ — ٤٣٢ هـ ، ١٠٢٩ — ١٠٤٢ م)^(١)

وكان شمس المعالى قابوس بن وشمگیر أشهر الأمراء الزياريين وأعلامهم قدراً .
أفاض العوفى^(٢) فى الثناء عليه . والحق أنه كان وحيد عصره ، وفريد دهره فى محبة العلم والعلماء ، والإقبال على الأدب والأدباء . وكان فى الوقت نفسه شاعراً ماهراً ، وكاتباً بارعاً ، له رسائل بالعربية تنبى عن فضله ، وحسن إحاطته بهذه اللغة . وله أشعار بالعربية والفارسية أيضاً ، ومما يذكر له ويشكر عليه حمايته للفيلسوف ابن سینا حين فر هارباً من حضرة السلطان یمن الدولة محمود بن سبکتگین .

وممن خلدوا ذكره واعددوا مآثره المؤرخ الشهير أبوریحان البيرونى . استمع إليه يقول فى مقدمة كتابه القيم : « الآثار الباقية من القرون الخالية » :

« فالشكر لله على ما أفاض من سنته على عباده بإقامة مولانا الأمير السيد الأجل المنصور ولى النعم شمس العالى أطال الله بقاءه ، وأدام قدرته وعلاءه ، إماماً عادلاً خلّقه ، ناصراً لدينه وحقه ، ذاباً عن حرم المسلمين ، وحامياً حوزتهم عن بوائق المفسدين ، وأمدّه بخلق قد امتن بمثلّه على نبيه ومؤدى وحيه فقال سبحانه وإنك لعلى خلق عظيم ، تبارك وتعالى كيف جمع إلى مآثر عرقه الصميم محاسن خلقه الكريم ، وإلى نفسه الأبية جوامع الخصال الرضية ؛ من التقى والهدى ، والصيانة والديانة ، والعدل والإنصاف ، والتواضع والإلطف ، والعزم والحزم ،

(١) راجع كتاب س لين پول الآنف الذكر ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) راجع كتابه لباب الألباب ج ١ ص ٢٩ — ٣١ .

والسماحة والسجاجة ، والسياسة والرئاسة ، والتدبير والتقدير ، وغير ذلك مما لا تحصره الأوهام ، ولا يطيق ذكره الأنام . وكيف يتعجب من ذلك ؟ و ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد فأدام الله إمتاع المسلمين بحسن عنايته بهم ، وجميل رأيه فيهم ، وظاهر شففته ورأفته عليهم ، وزادهم يوماً فيوماً ما تعودوه من كرم ظله الظليل ، ووفق الخاصة والعامة للمفترض عليهم من طاعته بمنه وجوده ^(١) »

* * *

قيل إن أميرين من أمراء دولته شقاً عصا الطاعة عليه ، فاستدعى كاتباً وأمره أن يكتب إليهما رسالة يعظهما ، ويدعوها إلى الطاعة ، فأخذ الكاتب يكتب ويطنب في التهديد ، ويبالغ في الوعد والوعيد . وعرض الكاتب على الأمير شمس المعالي ما كتب ، فلم يرق في نظره هذا الإطناب والتطويل . فطلب دواة وقلماً وكتب في بياض كان في صدر الرسالة هذا البيت بالعربية :

لا تعصين شمس العلا قابوساً فمن عصى قابوس يلقى بوساً
فجاء كلامه جامعاً موفياً بالغرض ، سلساً عذباً بما تضمنه من جناس لفظي بديع . وقد ختم الثعالبي القسم الثالث من كتابه « يتيمة الدهر ^(٢) » بالحديث عن هذا الأمير فأفاض هو أيضاً في الإشادة بذكره ، ووصفه بأنه « خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى غرة الملك بسطة العلم ،

(١) ص ٣ من الكتاب المذكور طبعة لايسج سنة ١٨٧٦ م

(٢) ج ٤ ص ٥٦ — ٥٩ مطبعة الصاوى سنة ١٩٣٤ .

وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم ، فأوصافه لا تدرك بالعبارات ، ولا تدخل تحت العرف والعادات .

ويمضى الثعالبي فيثبت فصولاً من نثر هذا الأمير وشعره .
وما اختاره من شعره بالعربية قوله :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الرمان بنا ونالنا من تمادى بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم مالها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر
قال الثعالبي : وينسب له هذان البيتان وقد يغنى بهما :

خطرات ذكرك تستثير مودتي فأحس منها في الفؤاد ديبها
لا عضولى إلا وفيه صباية فكان أعضاء خلقن قلوبا
ويصف العوفي^(١) شعره بالفارسية فيقول : إن له شعراً بالفارسية قد بلغ الغاية من اللطف والرقّة ، يتبين كمال قدره من القطعة الآتية :

كار جهان سراسر آزست يانياز من پیش دل بیارم آ ز و نیازا
من بیست چیزا از جهان برگزیده ام تا هم بدان گذارم عمر دراز را
شعر و سرود و رود و می خوشگوار را شطرنج و نرد و صیدگه و یوز و بازرا
میدان و گوی و بارگه و رزم و بزم را آسپ و سلاح و جود و دعا و نماز را
= إن أمر العالم من أوله إلى آخره (مبنى على) الطمع والحاجة
وسأضع أمام قلبي الطمع والحاجة .

اخترت من العالم عشرين شيئاً لأقضى العمر الطويل في الاشتغال بها
الشعر والغناء والطنبور والخمر الشهية
والشطرنج والنرد وحقل الصيد والفهد والصقر
والميدان والكرة وحجرة الاستقبال الملكي والحرب والوليمة
والجواد والسلاح والجود والدعاء والصلاة^(١)
والحق أن من ينظر في هذه القطعة بعين الإنصاف يقف على سمو أدب هذا
الأمير، ووفرة فضله، وحسن اعتقاده، ويمن همته .
ومن شعره الفارسي في الغزل قوله :

شش چیز دران زلف تو دارد معدن پیچ وگره و بند و خم و تاب و شکن
شش چیز دگر نگر و طنشان دل من عشق و غم و درد و گرم و تیار و حزن
= انخذاست ستة أشياء من طرتك موطنا

القتل، والعقد، والربط، والتجعيد، واللى، والثنى
(و) ستة أشياء أخرى (انخذت) قلبي موطناً لها فانظر، هي :

العشق، والغم، والألم، والأسف، والشوق، والحزن
وله الرباعي الآتي في الغزل أيضاً :

گل شاه نشاط آمد و می میر طرب زان روی بدین دو میکنم عیش طلب
خواهی که درین بدانی ای ماه سبب گل رنگ رخت دارد و می طعم دو لب
= من الورد ينشأ نشاط الملك، ومن الخمر ينبعث طرب الأمير

من أجل ذلك أطلب لذة العيش بهذين الشئین

أتريد (ين) أيها البدر أن تعرفي السبب في هذا

إن للورد لون خديك وللخمر طعم شفتيك
وقد نهج الأمير كيكاس بن شمس المعالي منهج أبيه في محبة الأدب والأدباء،
والولع بقرض الشعر. ومن جيد شعره الرباعي الآتي. وهو في الغزل أيضاً:
تادور شدى شدستم أى روى چوماه اندیشه فزون وصبركم حال تياه
تن چونی ورجونیل ورخساره چوكاه انگشت بلب گوش بدر دیده براه
== قدصرت — لما بعدت عنى يا من لها وجه البدر

كثير التفكير قليل الصبر سيء الحال
فالجسم (ناحل) كاليراع، والصدر (أزرق) كالنيلج، والوجه «أصفر» مثل التبن
والأصبع في الفم «من الندم» والأذن في الداخل
(لتسمع وطء القدم) والعين في الطريق (تترقب حضورك)

تعليق وتعقيب

الآن وقد عرضنا على القارىء عرضاً سريعاً نماذج مختلفة من الشعر فى أوائل النهضة الأدبية الفارسية ، وتحدثنا حديثاً موجزاً عن أشهر الشعراء الذين كانوا فى طليعة أدباء هذه النهضة — يجدر بنا أن ننظر فى تلك النماذج الشعرية ؛ لنتعرف خصائصها وأغراضها وما تضمنته من معان .

أول ما يبدو لنا أنها كلها ^(١) تقريباً مقطعات ، أو قطع شعرية قصيرة لم يتبع فى نظمها نظام القصيدة .

والقطعة الشعرية صورة من الصور الشعرية تمتاز بأنها تتكون من بيتين على الأقل ، وبأن مطلعها لا يشترط فيه أن يكون مصرعاً . أما مطلع القصيدة فيشترط فيه ذلك ، وألا يقل عدد أبياتها عن خمسة عشر . ويغلب ألا يتجاوز عدد أبيات القطعة أو القصيدة سبعين ومائة بيت .

ومن ذلك ترى أن كل قصيدة يمكن أن يطلق عليها « فى عرف علماء الفرس » اسم قطعة ، وأن القطعة تنفرد حين يكون عدد الأبيات أقل من خمسة عشر ، وحين لا يكون المطلع مصرعاً ، أى حين لا يكون مصرعاه من روى واحد . ولذا صح أن نقول إن المأثور من الشعر الفارسى فى عصر النهضة الأولى هو من نوع القطع . وإنما قلنا المأثور لأنه من الجائز أن يكون أحد شعراء النهضة قد نظم قصيدة أو أكثر ، ولم يصل إلينا إلا جزء منها ، كما يؤخذ مما ذكره دولتشاه عن قطعة الروكى التى أولها : بوى جوى موليان آيد همى . فإنه يقرر أنها قصيدة

(١) قد رويناه بعض المثنويات والرابعيات ولكنها قليلة جداً كما رأيت .

طويلة^(١) اكتفى بذكر بعض أبياتها . وكما يؤخذ من كلام العوفي في كثير من المواضع حيث يقول : وله (للشاعر) من قصيدة يمدح بها فلاناً .
ويمتاز أسلوب هذه القطع بسهولة ألفاظه وعباراته ، وعدم تحميله ما لا يستساغ من المحسنات اللفظية والمعنوية .

ويدل استخدام شعراء هذه الفترة لبعض الكلمات والعبارات العربية ، ومحاكاتهم بحور الشعر العربي — على علمهم بلغة العرب ، وإلمامهم ببحور شعرهم .
أما أبواب الشعر التي طرقها هؤلاء الشعراء فمتعددة ، وفي مقدمتها الوصف والمدح . وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها في النفس موضوعاً محبباً لديهم ، أجادوه أيما إجادة ؛ وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة ، وأتوا بأنواع من المعاني المبتكرة ، فكان وصفاً خلاباً جذاباً ، وإن لم يخل من الغلو والإغريق في المبالغة .
فمن هذه المعاني : قول أبي شكور : إن الخمر حين يعصرها البستاني سائل مشرق ، أو روح مشرقة ، وإن الأعمى لو رأى قطرة منها لقال : هذه عيني ، ولو رآها الميت لقال : هذه روحي ، وإنها حين تصب من القنينة إلى الكأس تشبه الهلال ، وحين تستقر في الكأس تشبه بدر التمام .

ومنها قول الرودكي : إن تأثيرها يصل إلى أعلى المنخ قبل أن تذاق ، وإنها لو تسقط قطرة منها إلى نهر النيل لظل التمساح ثملاً من رأتحتها مائة عام ، وإن غزال السهل لو شرب قطرة منها لصار أسداً عريداً لا يكثر بالفهد .

والحديث عن الخمر حديث محبب لدى شعراء الفارسية في جميع عصورها ، ومنهم من كان يقصد بها الخمر الحقيقية ، ومن كانوا يرمزون بها إلى الحبة الإلهية .

(١) راجع : ص ١٣٦ من كتابنا هذا .

ويبدو أن ولعهم بذكر الخمر يرجع إلى بيئتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء ، المليئة بأنواع الزهور والفواكه التي تستخرج منها الخمر .
وقد أكثر هؤلاء الشعراء في غزلياتهم من وصف طرة المحبوبة وتجاويد شعرها ، وافتنوا في ذلك فشبها بالعقارب وبحروف الهجاء المقوسة وهي : الجيم والعين والنون .

وقد روينا بعض غزليات قليلة ، والغزل كما لا يخفى نوع من الوصف ، وشاع في هذه الغزليات العتاب ، ووصف حال الحب ، وما يعانيه من أسى وحزن حين يهجره المحبوب .

وهنا أقف هنيهة لأنبه القارئ إلى خطأ من يقولون إن شعراء العرب أخذوا عن شعراء الفرس التغزل بالمدكر ؛ ذلك لأن اللغة الفارسية لا تفرق بين المذكر والمؤنث في الضمائر وأسماء الإشارة والصفات ؛ فالضمير (أو) معناه : هو أو هي ، و « تو » معناه أنت أو أنت ، واسم الإشارة (اين) معناه : هذا أو هذه : و (آن) معناه ذلك أو تلك . وليس في الفارسية إلا اسم موصول واحد هو : (كه) ويستعمل لجميع الحالات . وإنما السياق هو الذي يعين المراد . ولعلك توافقني إذا قلت إنه ليس في سياق الشعر الغزلي الذي رويته لك ما يرجح أن الشاعر يريد بغزله المذكر .

فليت شعري — والحال كما ترى — إلى أي شيء استند من قالوا إن شعراء الفرس مولعون بالتغزل بالمدكر !

نعود إلى موضوعنا فنقول : إن إقبال شعراء تلك الفترة — بل ما يليها — على تناول المدح ، والإكثار منه ، والمبالغة فيه يرجع إلى شدة اتصالهم بأمراء

الدويلات المختلفة وولاتها ، وإلى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة فى اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم ، وتقريبهم إليهم بإغداق العطايا والهبات عليهم ، ليشيدوا بذكركم ، ويسجلوا مآثرهم . وها هو ذا أبو زراعة يقرر أن تلك العطايا والهبات هى التى تحفز الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح . وذلك حيث يقول :

« أعطنى جزءاً من ألف مما نال الرودكى من عطاء الملوك يأتينى شعر مثل شعره ألف مرة . » ^(١)

وقد سلك الشعراء فى المدح مسلك الغلو والمبالغة على نحو ما رأيت ، وتكاد مدائحهم تنحصر فى وصف الممدوحين بالسخاء ، والشجاعة ، وحسن السياسة ، وإحكام التدبير .

وبجانب الوصف والمدح نجد بعض شعراء هذه الفترة يطرقون أبواباً كثيرة أخرى من أبواب الشعر ؛ كالثناء ، والحث على طلب المعالى ، وعلى الإباء والشمم وعلو النفس ، وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه ، وإلى القناعة والصبر ، والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره . ولا شك أنهم تأثروا فى كثير من هذا بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويؤخذ من بعض هذه الأشياء أن هؤلاء الشعراء كانوا يعتقدون فى تأثير الأفلاك والكواكب فى أقدار الناس ومصائرهم ؛ فقد أكثروا من ذكر الفلك الدوار ، ومن ذكر زحل والمريخ على أنهما من كواكب النحاس وزهرة ، والمشتري على أنهما من كواكب السعد .

(١) ص ١٦٠ من كتابنا هذا .

مظاهر أخرى لهذه النهضة

كان نظم الشعر بداية طيبة للنهضة الأدبية الفارسية التي ظهر أمرها بصورة أوضح وأجلى في العصور التالية كما سترى .

ومن الواجب أن ننبه القارىء إلى أن قرض الشعر وابتكار المعانى الشعرية لم يكن المظهر الوحيد لهذه النهضة ، فقد كانت لها مظاهر أخرى أشرفنا إليها فيما مضى .

وكان من هذه المظاهر : ترجمة الشعر أو النثر العربى إلى الفارسية نثراً أو شعراً ، وقد أتينا فيما سبق بأمثلة لترجمة الشعر الفارسى إلى العربية شعراً ، وأشرنا إلى ترجمة الرودكى لكتاب كليلة ودمنة إلى الفارسية شعراً ، وإلى ترجمة تاريخ الطبرى إلى الفارسية نثراً ، وقد تمت هذه الترجمة سنة ٣٥٢ هـ على يد الوزير أبى على محمد البلعمى . ومن المرجح أن ترجمة موجزة لتفسير الطبرى للقرآن الكريم إلى الفارسية ظهرت فى ذلك العصر ، وقد تمت على أيدي فريق من علماء خراسان . كما ظهر فى الوقت نفسه كتابان آخران الأول فى فن الصيدلة يسمى : كتاب « الأبنية عن حقائق الأدوية » ألفه حوالى سنة ٣٦٢ هـ أبو منصور الموفق الهروى . والثانى تفسير للقرآن بالفارسية .

والظاهر أن هذه الكتب الأربعة قد ظهرت فى عهد الأمير منصور الأول ابن نوح الثانى (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ) . ويقرر العلامة براون^(١) أن لغتها عتيقة ، وأن أسلوبها سهل خال من الإطناب والزخارف اللفظية .

(١) راجع كتابه نفسه ص ١/٤٧٧

ويوجد بباريس وغيرها نسخ خطية كثيرة من ترجمة تاريخ الطبرى ،
وقد نشر هيرمان زوتنبرج ترجمة له بالفرنسية سنة ١٨٦٧ — ١٨٧٤ م . ويوجد
بدار التحف البريطانية بلندن نسخة خطية لترجمة تفسير الطبرى تاريخها سنة ١٨٨٣ هـ
أما كتاب الأبنية فتوجد نسخة خطية منه بقينا ، تاريخها شوال سنة ٤٤٧ هـ .
وتعد هذه النسخة أقدم ما يوجد من المخطوطات الفارسية : وهى بقلم الأسدى
الشاعر الفارسى المعروف . وقد طبع الدكتور سيليجمان هذا الكتاب بأجمعه طبعة
أنيقة مصحوبة بتعليقات وحواش بقينا سنة ١٨٥٩ م . ونشر عبد الخالق آخند
ترجمة ألمانية له مصحوبة بحواش وتعليقات .
أما تفسير القرآن بالفارسية فلا يوجد إلا الجزء الثانى منه وهو مخطوط بمكتبة
جامعة كيمبروج .

الصراع بين الفارسية والعربية

١ — تأثير الشعر العربي باللغة الفارسية

كان من الطبيعي ، وقد امتزج الشعبان العربي والفارسي ، أن يحدث صراع بين العربية والفارسية ، وكان صراعا تغلبت فيه العربية بسهولة وسرعة غير عاديين ؛ ذلك لأنها كانت لغة الشعب المتغلب ، ولغة الدين الذي أسرع الشعب المغلوب إلى اعتناقه . وكان الفرس — ولا يزالون — ينظرون إلى اللغة العربية نظرة تقديس واحترام ؛ لأنها لغة القرآن الكتاب المقدس لديهم .

وكانت نتيجة تغلب العربية على الفارسية أن حلت الأولى محل الثانية لدى الفرس ، وأصبحت لغة الدين والعلم والأدب والسياسة ، بل لغة التخاطب الرسمية فيما بينهم ، إلى أن جاء عصر النهضة الذي شرحناه فيما مضى ، فأخذت الفارسية تستيقظ من سباتها .

غير أن يقظتها لم تكن تامة فقد اضطرت إلى أن تقتبس من العربية كثيراً من الألفاظ والعبارات ، وأطلق الشعراء والكتاب لأنفسهم الحرية في ذلك الاقتباس ، فسوغوا لأنفسهم استعمال أى كلمة عربية فصيحة دون قيد ولا شرط ، واقتباس كل ما أرادوا اقتباسه من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والحكم والأمثال العربية دون أن تترجم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنهم استخدموا في أشعارهم بحور الشعر العربية وزادوا عليها ، وغيروا فيها بعض التغيير ، واستحدثوا صوراً شعرية جديدة

في مقدمتها المثنوى (المزدوجة) والرباعى (الدوبيت) .

وكما تأثر كتاب الفرس وشعراؤهم بالعربية فيما كتبوا بالفارسية فكذلك تأثروا بالفارسية في أشعارهم العربية .

ولا يتسع المجال هنا للتحدث بالتفصيل عن مدى تأثر العربية بالفارسية وعن مظاهر هذا التأثير ، فالكلام في هذا الموضوع قد يطول حتى يشغل كتاباً قائماً بذاته .

لذا أرانى مضطراً لأن أكتفى بذكر بعض مظاهر وجدت سبيلها من الفارسية إلى أسلوب الشعر العربى ، وبخاصة فيما نظمه شعراء الفرس الذين نأت بهم الديار ، وبعثوا عن مقر الخلافة الإسلامية ، واتصلوا بقصور أمراء الفرس بخراسان وما وراء النهر ؛ فقد تأثر هؤلاء بالفارسية أكثر مما تأثر بها من اتصلوا بالبويهيين وكانوا على مقربة من بغداد ، وفي مقدمتهم صاحب اسماعيل بن عباد .

ونذكر في مقدمة هذه المظاهر وجود بعض إشارات لا يفهمها إلا من يعرف الفارسية ، وذلك كما في قول أبى على الساجى يمدح مدينة مرو .

بلد طيب وماء معين وثرى طيبه يفوق العبيرا
وإذا المرء قدّر السير عنه فهو ينهاه باسمه أن يسيرا^(١)

فالشاعر يشير بالبيت الثانى إلى اسم مدينة مرو ؛ فإنه إذا قرئ (مرو) كان معناه بالفارسية : «لا تذهب» فهذه إشارة لا يدرك مغزاها إلا من يعرف الفارسية .

وكما في قول أبى القاسم العلوى الأطروش ، فى بعض رؤساء جرجان :

خليلى فِرّاً من الدهمُخدا خدا حدراً من وداده خدا^(٢)

(١) يتيمة الدهر للثعالى ٤/٧٦ . (٢) اليتيمة : ٤/٤٧ .

يكنى بسعد ونحسا هذا وكل الخلائق منه كذا
 فهذا تلاعب بالألفاظ موضوعة اسم ذلك الرئيس وهو دِهْخدا (= الدهقان
 = عميد القرية)، وبينه وبين (وداده خذا) جناس تام. ويشير الشاعر في البيت
 الثاني إلى المعنى الأصلي للاسم (ده خدا) وهو (عطية الله)؛ فهذا الاسم ينبئ
 بالاستقامة وحسن المعاملة، ولكن معاملة ذلك الرئيس لرعيته لم تكن مطابقة لاسمه.
 ومن قبيل التلاعب بالألفاظ قول أبي الطيب الطاهري يهجو مدينة بخارى،
 ويهجو معها أحد أمراء السامانيين:

بخارى من خرا لا شك فيه يعزّ بربعها الشيء النظيف
 فإن قلت: الأمير بها مقيم فذا من فخر مفتخر ضعيف
 إذا كان الأمير خرا فقل لي أليس الخراء موضعه الكنيف؟
 وقول أبي على الساجي في الموضوع نفسه:

باء بخارا فاعلمن زائده والألف الأولى بلا فائده
 فهي خرا محض وسكانها كالطير في أقفاصها آبد^(١)
 غير أن التلاعب هنا بمعاني الألفاظ في العربية، لا في الفارسية كما في المثالين
 الأول والثاني.

والمعروف أن شعراء الفرس قد برعوا في التلاعب بالألفاظ سواء في شعرهم
 العربي وشعرهم الفارسي.
 ومما تأثر به الشعر العربي في هذه الفترة وما بعدها ذكر عيدي الفرس العظميين:

(١) راجع اليتيمة: ٦٧/٤ تجد أمثلة كثيرة من هذا النوع.

النوروز والمهرجان ، وهما عيدا الاعتدالين الربيعي والخريفي^(١) .

والفرس يسمون يوم عيد المهرجان « رام روز » = يوم الرام^(٢) .

يقول الثعالبي^(٣) : ومن عجيب ما يروى عن أبي الطيب الطاهري أنه كتب

إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بُكرة يوم الرام بهذين البيتين :

وإني والمؤذن يوم رام لختلفان في هذى الغداة

أنادى بالصُّبوح كه كيادا إذا نادى بحى على الصلاة

وإذا برسول من أبي طاهر جاء برقعة فيها :

وإني والمؤذن يوم رام لختلفان في هذا الصباح

أنادى بالصُّبوح كه كيادا إذا نادى بحى على الفلاح

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق .

وإنك لتجد في كل من الرسالتين — بالإضافة إلى ذكر يوم الرام — كلمتين

فارسيتين هما : كه (= أن) وكيادا = كياده (= الخمول والفشل) ، فمعناه ضد

معنى صلاح أو فلاح . وقد يكون معنى هذه الشطرة : أنادى بالصُّبوح قائلاً :

خمولا ، أوحى على الخمول .

ومن هذا ونحوه يتبين مدى استهتار بعض الشعراء ومجونهم .

ومن شعر أبي سعد رجا بن الوليد الأصبهاني في سفرجل وتفتح ورماني

أهداها بعض الرؤساء في يوم مهرجان :

(١) راجع ص ١٠٦ من كتابنا هذا .

(٢) رام = اسم لليوم الحادى وعشرين من كل شهر وبخاصة الحادى والعشرين من سبتمبر ، وهو أيضاً اسم للملك الموكل بالإشراف على هذا اليوم .

(٣) اليتيمة : ٤/٦٩ .

بعثت إليك ضحى المهرجا ن بمعشوقة العرف والمنظر
معطرة صانها في الحجا ل مطارف من سندس أخضر
فكن ذا قبول لها إنها هدايا مقل إلى مكث
وعش ما تشاء كما تشتهي بعز يدوم إلى المحشر^(١)

أما عيد النيروز^(٢) فقد ورد ذكره في كثير من القصائد المسماة «بالنيروزيات»
فمن ذلك قول أبي محمد الحسن بن علي بن مطران من نيروزيه :

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرّ من قبله قريباً رسيل
سل سبيلاً فيه إلى راحة النفس كأنها سلسبيل
وهدايا النيروز ما يفعل النا س ولكن هديتي ما أقول^(٣)

ولا ريب أن من يدرس شعر هؤلاء الشعراء بمزيد من العناية يجد فيها
كثيراً من الألفاظ الفارسية ، كما يجد فيه أحاديث مطولة عن عيدي النيروز والمهرجان
والمظهر الثالث من مظاهر تأثر الشعر العربي بالشعر الفارسي هو اتباع بعض
الصور الشعرية التي تعد أصيلة في الشعر الفارسي ، وذلك كالمثنوى المسمى في
العربية (بالمزدوجة) وهو بيت واحد مصرّع .

ويعد أبو الفضل السكري المروزي في مقدمة من نسجوا على هذا المنوال ،
فقد اشتهر بترجمة الأمثال الفارسية إلى مثنويات عربية .

(١) اليتيمة : ١١٠/٤ ،

(٢) النيروز = النوروز = اليوم الجديد . وهو أول السنة الفارسية ، ويقع في

٢١ مارس .

(٣) اليتيمة ١٢٩/٤

وقد أثبت الثعالبي له مزدوجة ترجم فيها أمثالا فارسية ورد فيها ^(١) :

من رام طمس الشمس جهلا أخطا الشمس بالتطمين لا تغطي
نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
أحسن ما في صفة الليل وُجد الليل حبلى ليس يُدرى ما يلد

وهذا المثنوى ترجمة لمثل بالفارسية نصه :

شب آبستن است — فردا چه زايد ؟

= الليلة حبلى فماذا تلد غداً ؟

إذا الماء فوق غريق طما فقابُ قناة وألف سوا

وهو ترجمة لمثل فارسي نصه :

چو آب آزر در گذشت چه بك نيزه وجه صد نيزه ؟

= إذا تجاوز الماء رأس (الغريق) فما (الفرق بين) رمح ومائة رمح ؟ .

والرباعي (الدوبيت) من الصور الشعرية الفارسية الأصلية التي اقتبسها

شعراء العربية .

و يتكون الرباعي من أربع شطرات لا بد أن تتحد الأولى والثانية والرابعة

منها في الروى ، أما الثانية فليس من الضروري أن تكون كذلك .

والبحر المختار للرباعي في الفارسية هو بحر الهزج .

وقد ذكر الثعالبي ^(٢) رباعيين من شعر أبي العلاء السَّروى أحدهما في وصف

النرجس وهو :

(١) البيتية : ٤/٨٣

(٢) الكتاب نفسه ٤/٤٨

حى الربيع فقد حيا ببا كور من نرجس بهاء الحسن مشهور
 كأنما جفنه بالغنج منفتحاً كأس من التبر فى منديل كافور
 والآخر فى وصف تفاحة وهو :
 وتفاحة قد همت وجداً بظرفها فما شعر ذى حذق يحيط بوصفها
 أشبه بالمعشوق حمرة نصفها وبالعاشق المبهور صفرة نصفها
 وسترى حين ندرس الأدب الفارسى فى عهد الدولة الغزنوية أن شعراء
 الفارسية قد أولعوا بوصف الفواكه والزهور وغيرها مما تخرج الأرض .

٢ — الألفاظ الفارسية الدخيلة فى العربية

يغرينا التحدث عن تأثر الشعر العربى بالشعر الفارسى بالتحدث — على
 سبيل الاستطراد — عن تأثر العربية بالفارسية من حيث متن اللغة . وهذا
 البحث وإن كان متصلاً بصفة أساسية ببحوث فقه اللغة العربية فإنه يعيننا كثيراً
 جداً فى هذا المقام ، إذ قد بحثنا بحثاً إجمالياً فى تأثر الشعر العربى بالشعر الفارسى ؛
 فكلاهما من نتائج امتزاج الشعبين : العربى والفارسى ، واتصال العربية بالفارسية ،
 وتأثر كل منهما بالأخرى . فالفارسية قد أخذت عن العربية كثيراً من الألفاظ
 والعبارات كما قلنا من قبل ، أما العربية فمع تأثرها بالفارسية فى أساليبها فإنها لم
 تأخذ منها إلا ألفاظاً ، ولم تأخذ عنها عبارات أو جملاً ؟ اللهم إلا ما يرد فى بعض
 كتب فقه الحنفية .

والكلمات الفارسية الدخيلة فى العربية بوجه عام خصائص بارزة هى :

أولاً : أنها قليلة نسبياً ، لا تكاد تذكر بجانب الكلمات الأصيلة ؛ وذلك

لأنها دخلت العربية بعد أن نمت تلك اللغة ، واستكملت كيائها ، وأثبتت صلاحيتها للتعبير عن جميع المعاني المتصلة بشئون الحياة ومطالبها ، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها إلا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان أو أشياء مستحدثة لم يكن لها نظائر في العربية الأولى .

والألفاظ الفارسية الدخيلة في اللغة العربية قليلة جدا إذا قيست بالكلمات العربية التي وجدت سبيلها إلى اللغة الفارسية إبان نهضتها التي تحدثنا عنها فيما سبق .

ثانياً : أنها أسماء ؛ إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفاً ولا أفعالا ، وإنما أخذوا عنهم أسماء . وإنك إذا استقرأت جميع الكلمات الدخيلة في اللغة العربية وجدت كلها أسماء . ومصدق ذلك ما ذكره الشهاب الجفاجي في كتاب : « شفاء الغليل » .

غير أن العرب — بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالا ، فاشتقوا من زرکش : زرگش ، ومن کهربا : کهرب . ومن مغناطیس : مغطس . ومن قسطاس : قسط وأقسط ، ومن لجام : ألجم . ومن مهر : مهر الكتاب بمعنى ختمه بخاتمته أو ذيله بإمضائه . ومن دیوان : دوّن . وهكذا . واشتقوا من هذه الأفعال أفعالا ومشتقات أخرى كما لا يخفى .

ثالثاً : أنها أسماء من أنواع خاصة ، كأسماء نباتات ، أو حيوانات ، أو معادن أو آلات ، أو مأكولات ، أو مشروبات ، أو ملابس ، أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو أشياء لم يعهدها العرب من قبل .

على أن العرب قد استعاروا بعض ألفاظها نظائر في لغتهم ، إما لخفتها على

اللسان ، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم واتصالهم بالفرس . فمن النوع الأول
الكلمات : ورد — ومسك — وتوت — وهون — وورصاص — وميزاب ،
فقد استعملها العرب بدلا من : حوجم — ومشموم — وفرصاد — ومهراس —
وصرفان — ومشعب .

ومن النوع الثانى : بوصى (معرب بورى) وجردقة ، وسجنجل ، وموزج
فقد استعملت بدلا من : سفينة — ورغيف — ومراة — وخف .

رابعاً : أنها تنقل عن لغات شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص فى استعمال
مدلولاتها ؛ فقد أخذ العرب عن اليونان كلمات تدل على معان فلسفية ، وعن
الفرس كلمات يدل معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب أو الملابس أو الزهور
وما إليها .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوربية عن العربية بعض المصطلحات الرياضية
مثل : الجبر ، والصفى ، وبعض المصطلحات الكيماوية مثل : الكحول ،
والقلويات ، وبعض كلمات أخرى كتعريفه وقالب . كما أخذت عن الإيطالية
بعض المصطلحات الموسيقية والتجارية^(١) .

خامساً : أنها كثيراً ما تخضع فى أصواتها وموازينها الصرفية لما هو متبع
فى العربية .

ومن يستقرى الكلمات المنقولة من الفارسية إلى العربية يجد أن العرب قد
اتبعوا فى تعريبها قواعد معينة أهمها :

(١) راجع كتاب Language, by etto Jespersen P. 209-210

١ — قلب هاء السكت المتطرفة جيا ، وبخاصة إذا سبقها سين أو شين وذلك كما فيما يأتي :

المعنى	في الفارسية في العربية	
كوسه	كوسج = كوسج الأورد	الأمرد أو القليل شعر العارضين
جوسه	جوسق	القصر
بُنْفَشَه	بنفسج	الزهرة المعروفة
مُوزَه	موزج	أُخْف — الخذاء الصغير
كُرْبَه	كربج	الخانوت
شيره	شيرج	زيت السمسم المعروف بالسيرج

٢ — قد تقلب هذه الهاء قافا كما في :

گَرْدَه	جَرْدَقَة	نوع رقيق مستدير من الكعك = أى شىء مستدير
كُرْبَه	كُرْبَق	الكربج = الخانوت
بَرَه	بَرَاق	الحمل
باشه	باشق	صقر الصيد
بوتَه	بوطه بُودَقَة	أداة الاختبار المعروفة — ويلاحظ أن التاء أو الطاء التى قبل الهاء قلبت دالا .

٣ — قلب الدال والهاء المتطرفتين ذالا فجما كما في .

ساده	ساذج	البسيط
تازه	طازج	غَضٌّ
نموده	نمودج	مِثَال

في الفارسية في العربية المعنى
بالوزه فالوزج نوع من الحلوى يسميه العامة باللوطة . وهنا قلبت الياء فاء

٤ — قلب الكاف جيما مثل :

لُكَّام	لُجَام	مَعْرُوف
بَنَك	بَنَج	الْمُخَدَّرُ الْمَعْرُوف
كُرْبُز	جُرْبُز	مَكَار — مَخَادَع — خَبْ
كُورَب	جَوْرَب	غَطَاءُ الرَّجُلِ الْمَعْرُوف
كِرْدَه	جَرْدَقَه	نوع من الكعك كما قلنا من قبل .
كُلْنَار = گل	جُلْنَار	زهر الرمان
كُل = زهرة + نار = الرمان		

٥ — وقد تقلب هذه الكاف كافا مثل :

كُوش	كُوش	الأذن
كِرْدُن	كِرْدُن	العنق
كِنَج	كِنَز	الكنز — وهنا قلبت الجيم زايا
پِرْكَار	بِرْكَار	المعروف في العامية بالبرجل

٦ — قليلا ما تقلب الكاف قافا أو غينا كما في :

كُرْبُز	قُرْبُز	الْجُرْبُز = الخب المخادع .
كِنْدَه پِير	قِنْد فِير	العجوز الشمطاء المحطمة
كِرْبَال	غِرْبَال	مَعْرُوف

في الفارسية في العربية المعنى

٧ — قلب الپاء الثقيلة ماء أو باء خفيفة كما في :

پرند	فرند —	برند	فرند	السيف	=	جوهرة
پالوده	فالودج	سبق	ذکره			
پیاده	بَیْدَق	الجندي	الماشي			
پستی	فستق	الفاكهة	المعروفة			
پیروزه	فیروز	الجوهر	الکَرِیم	المعروف		
پُرکار	فرکار =	برکار	سبق	ذکره		
پِنْدُق	بُندُق =	فندُق	المأکول	المعروف (١)		
پنگان	فنجان	معروف				

٨ — قلب الشين سینا في بعض الحالات كما في :

بنفشه	بنفسج	معروف			
دشت	دست	السهل			
شگر	سکر	معروف			
لشکر	عسکر	الجنند			
شُلوار	سروال	معروف			
شاه پور =	سابور	ولی العهد	—	اسم علم	
=	ابن الملك				

(١) أما فندق بمعنى النزل أو مأوى المسافر فأخوذ من كلمة يونانية هي Pandochaion ومعناها يقبل الجميع وهي مركبة من Pas = كل و Dochonai = يقبل .

في الفارسية في العربية المعنى

شلغم سلجم اللفت — وفيه قلبت الغين جيا

وقد تؤخذ الكلمة كما هي مثل باغ وهو البستان . قال أبو الفتح البستي :

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من علومك الغرّ أو آدابك النُتفا

فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه برسم خدمته من باغه التحفا ^(١)

وقد دخل العربية كثير من كلمات الفارسية المركبة ، نذكر منها على سبيل

التمثيل ما يأتي :

١ — الزركشة ؛ وهي مركبة من كلمتين الأولى : زر ، ومعناها : الذهب ،

الأخرى : كش ، ومعناها الرسم أو التصوير . فمعنى الكلمة في الأصل : الرسم بالذهب ، ثم استعملت في تطريز الثوب بخيوط من ذهب أو ذهبية اللون .

٢ — گلنار ؛ فهي مركبة من : گل = الزهرة ، ونار = الرمان ، فمعناها

زهرة الرمان .

٣ — سرداب ؛ فهي مركبة من : سَرْد = بارد ، وآب = ماء ، وفي

الفارسية السَرْدَاب أو السردآبه = الماء المثلج ، ثم استعمل السرداب في الممر يشق تحت الأرض لبرودة مائه أو هوائه .

٤ — ميزاب ؛ فهي مركبة من ميز = مسيل ، وآب = ماء .

٥ — سراب ؛ فاصلها : سير = مملوء ، وآب = ماء ، أي المكان المملوء

ماءً ، ثم استعمل فيما يظنه الرائي من بعد أنه كذلك .

٦ — جلاب ؛ فأصلها . گل = ورد أو زهر ، وآب = ماء أي ماء الورد .

٧ — خشاف ؛ فأصلها : خوش = طيب أو حلو ، وآب = ماء ، أى الماء الحلو .

٨ — سربوش = الطربوش ؛ فهى مركبة من : سر = رأس ، وپوش = لباس أو غطاء .

٩ — بابوج : فأصلها پا = قدم ، پوش = غطاء .

١٠ — جاموس ؛ فهى فى رأى بعض الباحثين مأخوذة من گاوميش أى گاو = بقرة ، وميش = كبش . وأطلق على الجاموس هذا الاسم لأن لها قروناً تشبه قرون الكبش .

ويرجح أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة سنسكرىتية هى گاوميشا أى البقرة الكاذبة .

١١ — المهردار ؛ فهى مركبة من مهر = خاتم ، ودار = صاحب أو مالك ، أى صاحب الخاتم ، أو حامل اختام الملك .

١٢ — مهما ندار ؛ فهى مركبة من : مهمان = ضيف ، ودار = صاحب ، أى القائم بشئون الضيفان .

١٣ — كتبخانه = دار الكتب .

١٤ — أجزاخانة = الصيدلية — وقد دخلت هاتان الكلمتان التركىة ، ثم انتقلتا بوساطتها إلى العربية العامية .

ومن يرجع إلى معاجم اللغة العربية المطولة يجد كلمات كثيرة من هذا النوع . وما ذكرناه كافٍ للتمثيل . والله الموفق .

(ز)

الدولة الغزنوية

الدولة الغزنوية

١ — تمهيد تاريخي :

أسس هذه الدولة الأمير ناصر الدين أبو المظفر سبكتگين ، وكان تركياً من موالى آل سامان وقواد جيوشهم . وقد جاهد حتى تمكن من الاستقلال بمملكة صغيرة جعل عاصمتها غزنة . وورث أبو القاسم محمود بن سبكتگين هذه المملكة عن أبيه ، واتخذها قاعدة حرية بدأ منها غزواته للأقاليم المجاورة لها ، ولم يلبث أن أصبح بسرعة غير عادية سلطاناً عظيماً ، يملك إمبراطورية عظيمة فسيحة الأرجاء ، امتدت من لا هور إلى أصفهان . وكانت فتوحه من أسباب انتشار الإسلام بالهند والسند . وكانت له كلمة مسموعة ، ورأى نافذ لدى خلفاء بغداد إيان الدولة البويهية . وهو أول من لقب بسلطان ، وخلع عليه الخليفة القادر لقب يمين الدولة . ووالى أمير المؤمنين . وظل ينازع الدولة البويهية ويصارعها فيصرعها ، ويضعف من سلطانها ، حتى ظهرت الدولة السلجوقية ، وكان من أمرها أن قضت على الدولتين معاً . ويعد السلطان محمود فى مقدمة أبطال الإسلام ، الحاملين للوائه ، المذيعين لتعاليمه فى ربوع السند وغربى الهند .

وله مع ذلك على الأدب الفارسى فضل لا ينكر ، وما أثر لا تزال تذكر فتشكر ؛ فقد بذل جهده فى أن يجمع حوله فى أيام عزه وسلطانها أكبر عدد ممكن من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين ، ويقر بهم إليه بجمع الوسائل الممكنة لديه .

وكان ممن ازدان بهم مجلس هذا السلطان أبو ريحان البيرونى المؤرخ المعروف

صاحب كتابي « الآثار الباقية » و « تاريخ الهند » المتوفى سنة ٤٣٠ هـ والإمام أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ — ٤٢٩ هـ) صاحب كتابي « يتيمة الدهر » و « فقه اللغة » . وقد حاول السلطان أن يقرب إليه الرئيس أبا علي بن سينا الفيلسوف القدير ، والطبيب الفذ ، ولكنه لم يفلح .

ومما يدل على عناية السلطان محمود بأمر الشعر والشعراء ما رواه المؤرخون أنه كان يسير في ركابه أربعمائة شاعر ، في مقدمتهم أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى ، ومنهم عبد العزيز بن منصور العسجدى ، وأبو الحسن على الفرّخى ، ولكل من هؤلاء تاريخ حافل بالمفاخر ، وأشعار جيدة في مدح هذا السلطان ، وغير ذلك من الموضوعات كما سترى فيما بعد .

وقد حذا حذوه من أتى بعده من كبار سلاطين الدولة الغزنوية الذين تعرف أسماءهم ومدد حكمهم من القائمة الآتية : —

- | | | |
|--|--------|--------|
| (١) سبكتكين | ٣٦٦ هـ | ٩٧٦ م |
| (٢) إسماعيل | ٣٨٧ هـ | ٩٩٧ م |
| (٣) محمود يمين الدولة | ٣٨٨ هـ | ٩٩٨ م |
| (٤) محمود جلال الدين ابن محمود | ٤٢١ هـ | ١٠٣٠ م |
| (٥) مسعود الأول الناصر لدين الله ابن محمود | ٤٢١ هـ | ١٠٣٠ م |
| (٦) شهاب الدولة مودود بن مسعود | ٤٣٢ هـ | ١٠٤٠ م |

ولم يكن لمن أتى بعد هؤلاء شأن يذكر ، فقد أخذت الإمبراطورية التي أسسها محمود تتناقص من أطرافها الغربية على أيدي السلاجقة ، وظلت الدولة

الغزنوية^(۱) مع ذلك قائمة حتى سنة ۵۸۲ هـ سنة ۱۱۸۶ م حيث قامت على انقاضها الدولة الغورية .

يقول العوفی فی نشأة الدولة الغزنوية وظهور أمرها وسقوطها^(۲) .

« ذکر شعراء آل ناصر از اول عهد یمین الدولة تا آخر عهد مسعود شهید ایراد خواهم کرد . و ایشان سه پادشاه بودند در مدت چهل و هفت سال (۳۸۵—۴۳۲؟) مطلع این دولت و مفتاح این اقبال بأمیر عادل ناصر الدین أبو المظفر سبکتگین افتاد ، و او پنج سال صاحب الجیش أمیر رضی أبو القاسم نوح بن منصور بود ، و والی بلخ و طبرستان بود ، و کمال کفایت و شہامت او رونق ملک آل سامان را که زایل شده بود بدان دولت باز آورد ، و طراوتی که سبب هجوم ترکان و خروج بندگان دولت زایل شده بود بقرار اول باز رسانید ، و کارهای بانام کرد ، و وفات رضی و او هر دو در سنه سبع و ثمانین و ثلثمائة بود . »

« پس سلطان ماضی یمین الدولة و أمين الملة أبو القاسم محمود أنار الله برهانه ، و شکر فی الإسلام سعیہ سی و دو سال بر سریر اقبال استقرار یافت ، دو سال نایب أمیر خراسان أبو الحارث منصور بن نوح ، و سی سال باستقلال ملک راند ، و وفات او در ربیع الآخر سنة إحدى و عشرين و أربع مائة اتفاق افتاد . »

« و بعد از او أمیر شهید ظہیر الدولة و مجیر الملة أبو سعد مسعود بن محمود رحمه الله —

که در عهد پدر والی عراق بود ، و ولی عهد ملک — بتخت بنشست ، و ده سال سلطان آن زمان بود . و او را حکمی نافذ و فرمانی جزم ، و عین الکمال جمال اقبال او را

(۱) راجع القائمة الكاملة لأمرها هذه الدولة في كتاب محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية

(۲) الباب ۳۸ / ۲

(الدولة العباسية) للخضري ص ۴۵۷ .

در یافت (رعت). و چشم بد در صحراء دندانقان مرو را دندان نمود در سنهٔ إحدى وثلاثين وأربعمائة، و بعد از و اغلب بلاد خراسان و ما وراء النهر بآل سلجوق افتاده بود.»

و يقول دولتشاه^(۱) :

«أما سلطان مسعود پسر مهتر سلطان محمود ست، و سلطان محمد بن محمود برادر کهنتر سلطان مسعود ست. و بعد از سلطان محمود میان این دو برادر منازعت افتاد، و سلطان محمود وصیت کرده بود که خراسان و عراق و جرجان و مضافات آن سلطان مسعود را باشد، و غزنین و کابل و هند محمد را. و سلطان مسعود از برادر التماس کرد تا او را در خطبه شریک سازد. محمد ایا کرد. و سلطان مسعود بخصومت برادر لشکر بزابل کشید، و محمد مسعود را اسیر کرد و بقتل رسانید.»

«و در ثانی الحال مودود بن مسعود برعمّ خروج کرد. و بقصاص پدر عم و فرزندان او را بکشت، و صبح اقبال آل سبکتگین بشام اید بار مبدل شد، و در آن خصومت آل سلجوق خروج کردند، و خراسان و عراق را مسخر ساختند. و سلطان مسعود پادشاهی مردانه و بارای و تدبیر بوده. اما.

تا بخت کرا خواهد و میلش بکه باشد؟

الترجمة :

يقول العوفي :

« سوف تذکر شعراء آل ناصر (الغزنویین) من أول عهد یمین الدولة إلى

آخر عهد مسعود الشهيد ، وكانوا ثلاثة ملوك حكموا مدة سبع وأربعين سنة .
« وكان مستهل هذه الدولة ، وابتداء هذه السعادة على يد الأمير العادل ناصر الدين أبي المظفر سبكتكين ، وكان أميراً لجيش الأمير الرضى أبي القاسم نوح ابن منصور مدة خمس سنوات ، كما كان والياً على بلخ وطيرستان . وقد أعاد — بكمال كفايته وشهامته — رونق ملك السامانيين إلى ما كان عليه بعد أن كان قد أخذ في التدهور ، ورد إلى هذه الدولة إلى وضعها الأول بعد أن أزال عنها ما حاق بها من ضعف كان سبباً في هجوم الأتراك عليها ، وخروج أتباعها عن طاعتها ، وقام بأعمال نافعة نابهة . وكانت وفاته هو والأمير الرضى نوح بن منصور معا في سنة سبع وثمانين وثلثمائة . »

« ثم استقر السلطان الماضى يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود — أنار الله برهانه ، وشكر في الإسلام سعيه — على سرير الملك والسعادة اثنتين وثلثين سنة ، قضى اثنتين منها نائباً لأmir خراسان أبي الحارث منصور بن نوح ، وأدار شئون المملكة مستقلاً ثلاثين سنة . وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . »

« وجلس على سرير الملك من بعده الأمير الشهيد ظهير الدولة ومجير الملة أبو سعد مسعود بن محمود رحمه الله ، الذى كان فى عهد أبيه ولى عهده ووالياً على العراق . وكان سلطان ذلك الزمان مدى عشر سنين ، كان له فيها « حكم نافذ ، وأمر جازم . ورعت عين السكال (الإلهى) جمال سعادته وإقباله ، ولكن عين الشر (أصابته) وكشر (سوء الطالع) له عن أنبيائه (فقتل) بصحراء دندانقان ، سنة إحدى وثلثين وأربعمائة . وسقطت من بعده أغلب بلاد خراسان وما وراء

النهر في أيدي آل سلجوق .

ويقول دولتشاه (في بيان النزاع الذي وقع بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمد) : —

« أما السلطان مسعود فهو الابن الأكبر للسلطان محمود ، وأما السلطان محمد بن محمود فهو الأخ الأصغر للسلطان مسعود . وبعد (وفاة) السلطان محمود وقع نزاع بين هذين الأخوين . وكان السلطان محمود قد أوصى أن تكون خراسان والعراق وجرجان وتوابعها للسلطان مسعود ، وأن تكون غزنين وكابل والهند للسلطان محمد . »

« وقد التمس السلطان مسعود من أخيه أن يجعله شريكاً له في الخطبة (في المساجد) فأبى السلطان محمد . فحشد السلطان مسعود الجيش لمقاتلة أخيه بزابل ، ولكن محمداً أسر مسعوداً وقتله . »

« ثم إن مودود بن مسعود خرج على عمه محمد ، وقتله هو وأبناءه قصاصاً لأبيه . و « حينئذ » تبدل صبح سعادة آل سبكتگين مساء ، وفي أثناء تلك الخصومة خرج السلاجقة وسخروا لحكمهم خراسان والعراق . »

« وكان السلطان مسعود ملكاً شجاعاً سديد الرأي محكم التدبير . ولكن انظر : كي (ترى) من يكون الحظ حبيبه وإلى من يكون ميله . »

ويقول دولتشاه^(١) في بيان مآثر السلطان محمود ما ترجمته :

« أما مآثر السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود — أنار الله برهانه —

(١) راجع كتابه الآف ذكره ص ٣٤ .

ومناقبه فهي أوضح من الشمس في رابعة النهار ؛ فقد كان ملكاً موقفاً صحبه التوفيق الإلهي ، وعادلاً شمل عدله البلاد ، وفاضلاً شاع فضله بين العباد . كان يوقر العلماء ، ويعرف لهم فضلهم ، ويشفق على الفقراء والأتقياء والزهاد ويكرم وفادتهم ، فلا غرو أن كانت عاقبة أمره محمودة ، كما كان اسمه الشريف بين الناس موضع احترامهم .

« روى في كتاب . « تاج الشيوخ » أن السلطان محمود بن سبكتكين لما استولى على خراسان تأقت نفسه إلى أن يحظى من دار الخلافة ببغداد بلقب معين من ألقاب الشرف ، فأرسل الإمام أبا منصور الثعالبي إلى دار الخلافة ومعه رسالة إلى الخليفة (القادر بالله) يطلب فيها تعيين ذلك اللقب الذي ينتغيه .

« وبقى الإمام أبو منصور ببغداد زهاء عام يتردد فيه على دار الخلافة بغية تحقيق هذا الغرض ، ولكن لم يتيسر له ذلك . وفي آخر الأمر تقدم إلى الخليفة وقال له : إن السلطان محمود هو الآن ملك جليل القدر ، قوى الشكيمة ، يسعى جاهداً في رفع أعلام الدين ، وقد أصبحت بهيمته عدة آلاف من بيوت الأصنام مساجيداً وفيها اسم الله ، وبصدق مساعيه دخل في زمرة المسلمين عدة آلاف كانوا كفاراً مارقين ، فليس مما ينبغي حرمان مثل هذا الملك المجاهد الغازي المتدين من لقب شرف .

« وفكر الخليفة في كلام الإمام ، ووقع في حيرة من طلبه ، وقال في نفسه : إن أبا هذا الشخص كان عبداً رقيقاً ، فكيف أنعم عليه بلقب من ألقاب السلاطين ؟ وإذا سلكت معه سبيل العناد والمضايقة وحرمة اللقب فإنه رجل عظيم البطش قوى الشوكة ، وقد تحدته نفسه بالتمرد وشق ، عصا الطاعة .

« وجمع الخليفة رجال الدولة وشاورهم في الأمر ، فاتفقوا على أن يكتب بمنحه

لقبا يحتمل المدح والذم . واستقر الرأي على أن يلقب : « السلطان يمين الدولة ولى أمير المؤمنين . » فإن كلمة « ولى » تستعمل فى اللغة بمعنى « صديق » وبمعنى عبد أو مملوك ؛ ولذا كانت تحتمل الأمرين : المدح والذم . « ولما صدر المنشور من دار الخلافة بهذا اللقب عرض على السلطان محمود ، ففطن بذكائه وكياسته إلى احتمال هذا اللقب للمعنيين ، فأرسل فوراً إلى دار الخلافة مائة ألف درهم ، وكتب إلى الخليفة يقول : « لقد قضيت ثلاثين سنة فى محاربة الكفار لتعظيم شريعة أسرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والآن ألتبس أن أشتري ألفاً واحداً^(١) بمائة ألف درهم . فإذا أبى الخليفة ثمرة شجرة المروءة والفتوة أن يبيع ألفاً بمائة ألف درهم وُصف كماله بعدم المروءة . »

« ولما وصل رسول السلطان بالهدية والرسالة إلى دار الخلافة تقدم عظماء الدولة وفضلاؤها إلى الخليفة وأفهموه أن محموداً يريد بشراء ألف : إلحاق الحرف ألف فى لقبه ، كي يصير « والى أمير المؤمنين » ، بدلا من : ولى أمير المؤمنين ، فيذهب احتمال المعنى الثانى . فعجب الخليفة من ذكاء السلطان محمود ، وأعجب بكياسته وحسن سياسته . ومن ذلك الوقت كانت النشرات والمراسيم الخاصة بالسلطان محمود تصدر بلقب : « والى أمير المؤمنين » .

يقول دولتشاه : « وكانت وفاة السلطان محمود فى شهر سنة ٤٢١ هـ وعمره تسع وستون سنة^(٢) ، وكان فى حوزته معظم بلاد إيران أربعا^(٣) وثلاثين سنة . »

(١) راجع تاريخ التمدن الإسلامى ١٩٧/٢ ، ٦٢ — ٣/٦٣ تجد أمثلة أخرى لمثل هذا الرمز فى الكتابة .

(٢) يقول ابن خلكان إنه ولد سنة ٣٦١ وتوفى سنة ٤٢١ أو سنة ٤٢٢ وعلى هذا تكون سنه عند وفاته اثنتين وتسعين سنة على الأكثر .

(٣) هذا يخالف ما ذكر العوفى حيث قال إن مدة حكم ٣٢ سنة .

٢ — السلطان محمود والفردوسى^(١)

نشأ أبو القاسم حسن بن علي بن شرفشاه الطوسى بقرية تسمى باز من أعمال طوس بإقليم خراسان ، وكانت ولادته سنة ٣٢٣ هـ ووفاته سنة ٤١٦ هـ . وكان والده يعمل ناطورا فى حديقة تسمى الفردوس يملكها أحد أغنياء خراسان ، ولذا لقب ابنه بالفردوسى .

وقد عرف الفردوسى منذ حداثة بالذكاء . ومهر فى قرض الشعر وهو شاب . ولما كان معاصرا للسلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٣٦١ — ٤٢١ هـ) ولما بلغه عن هذا السلطان ما عرف عنه من محبته للعلماء والأدباء فقد كان من الطبيعى أن يفد على حضرته ليحرب حظه هنالك .

رحل الفردوسى إلى غزنة ليتصل بحضرة السلطان محمود فاستعصى عليه ذلك فى أول الأمر ، فأقام هناك ردحا من الزمن يكسب قوته من قرض الشعر . وكان من ملازمى السلطان فى ذلك العهد العنصرى ، والعسجدى ، والفرخى الذين أشرنا إليهم آنفا ، فاحتال الفردوسى حتى دخل عليهم وهم جالسون يتجادبون أطراف الأحاديث الأدبية . وإذا كانوا لا يحبون أن يندس بينهم ريفى لم يبلغ — فى نظرهم — ما بلغوا من إجادة صناعة الشعر تقدم إليه زعيمهم العنصرى وقال له : أيها الأخ ! نحن شعراء السلطان ، وليس لأحد أن يجالسنا إلا إذا كان شاعرا مجيدا ، فسينظم كل منا مصراعا من روى واحد وقافية واحدة ، فإذا استطعت أن تقفى على آثارنا وتأتى بالمصراع الرابع المكمل للرباعى فسنسمح لك بمصاحبتنا ، فأجابه الفردوسى إلى ذلك . وتعهد

(١) قدمنا الفردوسى على غيره لأنه كان أشهر شعراء عصره .

العنصرى اختيار روى من السهل نظم ثلاث شطرات منه ومن الصعب نظم
الشطة الرابعة وفقاً له ، فقال :

چون عارض توماه نباشد روشن ثم قال العسجدى :
مانند رخت گل نبود در گلشن ثم قال الفرخى :
مزگانى گذرهمى کند از جوشن فقال الفردوسى على البديهة :
مانند سنان گيو در جنگ پُشن

وإليك ترجمة حرفية لهذين البيتين على الترتيب :

- ۱ — لن يكون القمر منيراً مثل عارضك
- ۲ — ولن يكون الورد فى حديقة الورد مثل وجهك
- ۳ — أهدابك تنفذ من خلال الدرع (لحدتها)
- ۴ — مثل أسنة گيو فى محاربة پشن

= لا يشرق البدر ليلاً مثل طلعتة ووردة الروض لا تزهر كوجنته
والدرع قد خرقت أهداب مقلته كرمح گيو پيوشن عند طعنته^(۱)
وأعجب الشعراء بإجابة الفردوسى ، وسألوه عن شرح ما أشار إليه فى مصراعه
من الحوادث التاريخية فأجابهم بما بهرهم ، وبرهن لهم على غزارة مادته ، ومعرفته
بتاريخ الفرس وأساطيرهم القديمة .

فما كان من العنصرى إلا أن تقدم إلى السلطان وقص عليه القصص . ثم قال له :
إننا قد عثرنا على شاعر قدير يستطيع أن يكمل ما بدأه الدقيقى . ووقع الخبر موقعاً
حسناً لدى السلطان ، ولكنه آثر أن يختبر الشاعر بنفسه ، فقال للعنصرى : دعه ينظم

بعض أبيات في مدحى ، فنظم الفردوسى — على البديهة — عدة أبيات في مدح السلطان كان منها قوله :

چو كودك لب از شیر مادر بشست بگهواره محمود گوید نخست
 أى حينما يغسل الرضيع شفتيه من لبن أمه يلهج بعظمة محمود أولا وقبل كل شىء .
 = لا يذكر الطفل فينا بعد ما يقضى عهد الرضاعة إلا عزَّ محمود^(١)

وسر السلطان بهذا البيت أيما سرور فأمر الفردوسى أن يعكف على نظم الشاهنامه . ويقال إنه أعد له بقصره الخاص حجرة يسكنها ، وأجرى عليه الرزق أربع سنوات ، استأذنه الفردوسى بعدها فى العودة إلى وطنه ليتمكن من إتمام الشاهنامه .
 وذهب الفردوسى إلى وطنه وجدفى نظم الشاهنامه فأكمله ونقحه سنة ٤٠٠ هـ^(٢)

ثم أمر الكاتب على بن ديلم بنسخه فى سبعة مجلدات ، ثم رحل إلى غزنة ومعه راويه أبودلف ، وقد ساعده حظه هذه المرة فخطى بعطف الأستاذ أبى القاسم أحمد بن الحسن الميمندى كبير وزراء السلطان ، فقدر الكتاب حسن قدره ، وتوصل بماله من منزلة لدى السلطان إلى أن يلفت نظره إلى مقدرة الفردوسى ، ويرغبه فى كتابه الجليل الشأن ، وسر السلطان بالشاعر وأعجب بما صنعت يداه .

ولكن لسوء حظ الفردوسى كان للوزير الأكبر أعداء يحاربونه ويحاولون أن يلقوا بينه وبين السلطان العداوة والبغضاء ، واتفق أن شاورهم السلطان فى مقدار المنحة التى يقدمها للفردوسى مكافأة له على عمله ، فأشاروا عليه أن يمنحه خمسين ألف درهم (حوالى ١٠٠٠ جنيه) ، ثم عادوا فاستكثروا ذلك وأفهموا

(١) نظم المؤلف .

(٢) وفى ذلك يقول الفردوسى : زهجرت شد بنج هشتاد دبار كه كفتم من اين نامه شاهوار

= مر بعد الهجرة ٥ × ٨٠ سنة حينما نظمت هذا الكتاب الملكى

السلطان أن الفردوسی لا يستحق ذلك كله ؛ لأنه معتزلی ، شیعی من الرافضة .

وقد برهنوا على اعتزاله بقوله في استحالة رؤية الله تعالى :

به بینندگان آفریننده را نه بینی مرئحان دو بیننده را
= لن ترى الباری بعینیک (فاسترح) وأرح ناظریک
و برهنوا على تشييعه بقوله :

(۱) خرد مند گیتی چودریا نهاد برا نگیخته موج ازو تندباد

(۲) چوهفتاد کشتی درو ساخته همه بادبانها برافراحتہ

(۳) میانه یکی خوب کشتی عروس برآراسته همچو چشم خروس

(۴) پیمبر بدو اندرون باعلیٰ همه اهل بیت نبی ووصی

(۵) اگر خلد خواهی بدیگر سرای بنزد نبی ووصی گیر جای

(۶) گرت زین بدآید گناه منست چنین دان واین راه راه منست

(۷) برین زادم وهم برین بگذرم یقین دان که خاک پی حیدرم

= (۱) إن الحکیم بعد العالم بحرا خضما هبت علیه ریح عاتية فأنارت أمواجه

(۲) وفي ذلك البحر نحو سبعین سفينة کلها جوارٍ قد نشرت أشرعتها

(۳) ومن بينها سفينة تتبختر كالعروس وهي بجمال ألوانها وحسن منظرها كعین الديك

(۴) وفي هذه السفينة النبي و بصحبته على وجميع أهل بیت النبي والوصی

(۵) فإذا كنت تريد جنة الخلد في الآخرة فتبوا مكاناً قريباً من النبي ووصیه

(۶) فإن أصابك من هذا سوء فعلى التبعة اعلم ذلك فهذه السبيل سبیل

(۷) على هذه حیيت وعلى هذه أيضاً أموت

وكن على یقین أنى خادم تراب قدم على

فلما سمع السلطان ذلك — وكان متمسكاً بمذهب أهل السنة تمام التمسك ، متعصباً له تمام التعصب — أصغى إلى حديث هؤلاء الوشاة ، واشتد به الغيظ فاستمع إلى نصيحهم ، وقر قراره على ألا يكافئ الفردوسى إلا بعشرين ألف درهم (حوالى ٤٠٠ جنيه) . وعلم الفردوسى بهذه المؤامرة فشعر بخيبة الرجاء وسوء المنقلب ، واشتد به الأسى . ولما أرسلت إليه المكافأة دخل الحمام ليستحم ، وينفخ عن نفسه كربتاً ، ثم خرج وأمر صاحب الشراب أن يأتى له بقليل من الجعة ، ولما شرب وزع العشرين ألف درهم على صاحب الشراب وصاحب الحمام .

أيقن الفردوسى أن هذه الفعلة ستزيد فى حق السلطان عليه ، ففر هارباً من غزنة فى غلس الليل ، وذهب إلى هراة واختفى بها ستة أشهر . ولما أمن عيون السلطان ذهب إلى طوس ومعه كتابه ، ثم إلى طبرستان حيث أقام فى حماية أميرها شهر يار الذى يرجع نسبه إلى يزدجرو الثالث آخر أكاسرة الدولة الساسانية . وهنا نظم الفردوسى قصيدة من مائة مثنوى يهجو بها السلطان يمين الدولة ، وقرأها على الأمير شهر يار ، وقال له إنى سأجعل الشاهنامه باسمك ؛ لأن هذا الكتاب يقص قصص أسلافك ، ويخلد مآثر آبائك وأجدادك . فلم يكن من شهر يار إلا أن أكرم وفادة الفردوسى ، وبالع فى العطف عليه . ثم قال له : « أيها الأستاذ ! إن دعاة سوء قد غرروا بالسلطان ، وأوغروا صدره عليك ، ولم يقدموا كتابك إليه مشمولاً بروح العطف عليك ، ثم دسوا عليك الدسائس . هذا إلى أنك من شيعة أهل بيت الرسول ، ومن يحب الرسول وآل بيته لا ينتظر أن يصيبه من عرض الدنيا ما لم يصيبهم . والسلطان محمود كما تعلم سيدى ومولاي ، فأبق الشاهنامه باسمه ، وهب لى ما نظمته من هجائه حتى أدمره وأهبطك فى نظيره شيئاً من المال .

ولا ريب أن السلطان سيدعوك ويستعطفك ، ولن يصنع سدى ما لا قيت من مصاعب في تأليف مثل هذا الكتاب .

ولما كان الغد أرسل شهر يار إلى الفردوسي مائة ألف درهم ، وقال له : « إني أشتري منك كل بيت بألف درهم (نحو عشرين جنيها) ، فأعطني هذه القصيدة وارض عن محمود ، وكن مطمئنا من ناحيته . » فبعث إليه بتلك القصيدة ليحوها ، وقضى على المسودة التي كانت لديه ، وبذلك احت آثار القصيدة ، ولم يبق منها إلا الستة الأبيات الآتية :

- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) مراغمز کردند کان پرسخن | بمهر نبی وعلی شد کهن |
| (٢) اگر مهر شان من حکایت کنم | چو محمود را صد حمایت کنم |
| (٣) پرستارزاده نیاید بکار | وگر چند باشد پدر شهریار |
| (٤) ازین در سخن چند رانم همی | چو دریا کرانه ندانم همی |
| (٥) به نیکی نبند شاهرا دستگاه | وگر نه مرا برنشاندی بگاه |
| (٦) چواندر تبارش بزرگی نبود | ندانست نام بزرگان شنود |
| = (١) یلومونی ویتولون این هذا الثرارة | قد شابت قرونه فی حب النبی وعلی |
| (٢) وانی إذا تحدث بحب هذین | فانی أحی مائة رجل مثل محمود |
| (٣) إن من أبوه عبد لا یرتجی منه خیر | حتى لو كان أبوه ملكا من الملوك |
| (٤) إلى متى أطلق لنفسی العنان للكلام فی هذا | |

- (إنه) كالبحر لا أعرف له ســـــــــاحلا
- (٥) إن السلطان لا طاقة له على فعل الخير وإلا كان قد رفعني مكاناً عليا
- (٦) وإذا لم يكن في أسرته نبـــــــــل ولا عظمة
- (تراه) لم يعرف (كيف) يسمع أسماء العظماء والنبلاء

يقول النظامى العروضى السمرقندى فى كتابه « جهار مقاله ^(١) » : فى سنة ٥١٤ سمعت إذ كنت بنيسابور الأمير المعزى الشاعر الفارسى يقول : سمعت من يقول إن السلطان محمودا كان فى بعض أيام غزوه ببلاد الهند ، ثم قفل راجعا إلى غزنة فعلم فى طريقه أن أحد العصاة المتمردين عليه قد تحصن بحصن منيع ، ففى اليوم التالى رابط السلطان على باب الحصن ، وأرسل إلى ذلك المتمرّد رسولا يأمره بالحضور إليه ، والمثول بين يديه ، وتقديم فروض الطاعة له ، وتأدية التحية اللازمة لعرشه ؛ كى ينعم عليه بحلة الشرف ويعود .

« ولما كان الغد ركب السلطان ، وسار على يمينه وزيره الأستاذ الأكبر شمس الكفاة أحمد بن حسن الميمندى . وبينما كان الرسول مقبلا قال السلطان : ليت شعرى أى رد يحمل هذا الرسول ! فحينئذ تمثل الوزير — على مسمع من السلطان — بقول الفردوسى :

أگر جز بکام من آید جواب من وگرز و میدان و آفراسیاب ^(٢)
 أى : إن لم يكن الرد كما أشتهى

فليس لى إلا الصولجان وميدان القتال وجولة آفراسیاب
 فسمع السلطان ذلك وقال : « لمن هذا البيت الذى يبعث الشجاعة فى قلب الجبان ؟ » فقال الوزير : « هو لذلك الشاعر المسكين الفردوسى ، الذى قاسى من الشدائد ما قاسى خمسا وعشرين سنة حتى أكمل ذلك السفر النفيس الشاهنامه ، ولم يكن من كده ثمرة تذکر . » فقال السلطان : « لقد أحسنت إذ ذكرتى بهذا الأمر الذى طالما خجلت منه ؛ لأن ذلك الرجل النبيل قد خابت آماله فىنا ، فذكرنى بالأمر

(١) ص : ٥٠ — ٥١ . (٢) الجزز : عمود من الحديد — قاموس .

حينما نعود إلى غزنة ؛ كي أرسل إليه بشيء من المال . »

وعاد السلطان إلى غزنة فذكره الوزير بالفردوسى فقال : مر له بما قيمته ستون ألف درهم من النيلج (نحو ١٢٠٠ جنيه) ويحمل هذا النيلج على جمال السلطان ، وليسلم إليه بطوس ، وليقدم إليه الاعتذار عما حدث . »

« وكان هذا هو ما عمل له الوزير منذ سنين ، وكانت النتيجة كما يشتهى ، ثم إنه جهز الجمل بجهازها ، وبعث بها إلى طوس تحمل النيل^(١) . »

ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ؛ فبينما كانت الجمل الحملة فى طريقها إلى باب رودبار (أحد أبواب مدينة طوس) إذا بجثمان الفردوسى محمولا ، وجنازته خارجة من باب آخر « رزان » . »

« ومن سوء المصادفات أن كان بطوس فى تلك الأيام أحد الفقهاء الذى بلغ به التعصب أن منع جثمان الفردوسى أن يدفن بمقابر المسلمين ، بحجة أنه كان شيعيا رافضا ، ولم يرحضه عن رأيه رجاء ولا استعطاف ، فاضطر المشيعون إلى أن يواروا الجثة فى بستان كان للفردوسى داخل باب رزان المذكور . »

يروى السمرقندى أن الفردوسى لم يكن له ذرية إلا بنت واحدة بلغت من الإباء أقصاه ، ومن عزة النفس غايتها ؛ فقد حاول رسل السلطان أن يعطوها هذه المنحة السلطانية فأبت وقالت : إني لست محتاجة إلى شيء من ذلك .

وعلم السلطان بما حدث فأمر أن يعاقب ذلك الفقيه بالطرد من وطنه ، والإبعاد عن أسرته ؛ جزاء له على ما ارتكب ، وأمر أن ينفق ثمن المنحة فى بعض وجوه البر . وبذلك أسدل الستار على مأساة تاريخية أدبية تبين ما آل إليه أمر ذلك الشاعر

(١) النيل هندی مغرب ، وهو مادة تستخدم للصباغة — قاموس .

العالمى ، الذى عاش عيشة كفاف . وحين هم قومه بتقديره وافته منيته ، وخذ اسمه فى سجل الشرف الأبدى . وترك من ورائه « سفر الملوك » ذلك السفر الخالد الذى لا يزال أهم مرجع لأساطير ملوك الفرس الأولين ، وقصص أبطالهم السابقين .

وصف موجز للشاهنامه :

فى سنة ٤٠٠ هـ أى منذ ما يقرب من ألف عام هجرى أخرج الفردوسى إلى عالم الأدب سفره الجليل الخالد المسمى « الشاهنامه » أى سفر الملوك ، بعد أن بذل فى سبيل إخراجه جهوداً مضنية متوالية استمرت سنين طوالاً .

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد المدة التى قضاها الفردوسى فى نظم هذا الكتاب ؛ ف قيل إنها خمس وثلاثون سنة ، وقيل إنها أربع وعشرون ، وقيل إنها خمس وعشرون — وهذا هو أرجح الآراء .

وأربع وعشرون أو خمس وعشرون أو خمس وثلاثون سنة لا تعد زمناً طويلاً يقضى فى نظم مثل هذا السفر الضخم الحافل بالمفاخر ، الذى جمع إلى دقة الوصف وحسن الترتيب والتنسيق جزالة اللفظ وسلامة التعبير ومتانة التأليف .

وقد تعمد الفردوسى أن ينظم كتابه بالفارسية الخالصة من شوائب العربية ، فكان له ما أراد ، ونجح فى الوصول إلى غرضه إلى أقصى حد — وبرهن على كفاية اللغة الفارسية وغزارة مادتها ، فكان ذلك بمثابة تحد لشعراء عصره وكتابته الذين لم يستطيعوا أو لم يحاولوا تجنب استعمال الألفاظ بل العبارات العربية فى أشعارهم ومقالاتهم .

ويتألف الكتاب من ٦٠ ألف بيت ، نظمت من أولها إلى آخرها على نظام

المثنوى من مشمن المتقارب ، وذلك مثل قول الشاعر في المقدمة .

پرستیده باش وجوینده راه بفرمانها « ژرف کردن » نگاه
توانا بود هرکه دانا بود زدانش دل پیر برنا بود
= کن عابد (تقیا) و با حثا عن طریق الخیر وانظر فی أوامر (الدين) نظرة تدبر عمیق
کل من کان عالماً کان قویاً بالعلم یصیر القلب المسن شأباً
و یتضمن هذا الكتاب معظم أساطیر البطولة التي تروی عن القدامی من
ملوك فارس فی العصور الأولى ، ومن المرجح أن هذه الأساطیر قد دونت نثراً
أو شعراً من قبل عصر الفردوسی ولكنها لم تصل إلینا . و یكاد یكون من المؤكد
أن الفردوس استقى كثيراً من معلوماته الأسطورية التي أودعها الشاهنامه من بعض
المؤلفات البهلوية التي أمكنه العثور علیها ، مثل شاهنامه گشتاسب ، و كارنامك
أردشیر اللذين أشرنا إليهما فیما سبق . ولكن الشاهنامه یمتاز بكبر حجمه ، و غزارة
مادته ، و بتلك الروح الحماسية التي تشع من جوانبه و تجعله بحق سفراً جامعاً لقصة
البطولة الإيرانية ، سواء ما كان منها خیالیا أسطورياً و ما كان تاريخياً واقعياً ،
ولذا یعد من الأشعار القصصية الخالدة ، و یحشر فی زمرة الإلیاذة و الأودسی من
نظم هوميروس أشهر شعراء قدامی الإغریق .

وقد نوه الفردوس فی كتابه بذكر الزرادشتية ، و رفع من شأنها فنقم منه ذلك
فقهاء عصره المتحمسون للإسلام ، و غلا فی مدح علی كرم الله وجهه و فی الثناء علی
آل بیت الرسول فأحبه الشيعة لذلك حباً لا یعدله إلا كراهية أهل السنة له .
و یبدأ الشاهنامه بالتحدث عن ملوك الأسرة الپیشدادية التي یقال إنها أول أسرة
ملكّت ایران فی العصور الخالية ، و فی مقدمة ملوكها گیومرث و هو شنك و طهمورث
الذين یعزى إليهم أنهم كانوا فی مقدمة من نشروا العلم و المعرفة فی أنحاء العالم .

و بعد أن يقص الكتاب قصص الأسرة الكيانية (الأخمينية) وسيرة ملوك الطوائف ينتهى بالتحدث بإيجاز عن الأسرة الساسانية ، وفتح فارس على أيدى العرب ، وقتل كسرى يزدجرد الثالث آخر أ كاسرة الساسانيين .

وقد سرد الكتاب توارىخ خمسين من ملوك إيران ، وشرح مغامراتهم الحربية ، وخلد بطولتهم ومهارتهم فى إدارة شئون الحرب وقيادة الجيوش ، ومبارزة الأعداء . ومن بين هذه المغامرات الحربية تلك الحروب المتعددة الطويلة التى قامت بين الإيرانيين والطورانيين ، أى بين الفرس والترک من جهة وبين الإيرانيين والإغريق من جهة أخرى .

ومن أغرب الأساطير التى سجلها الشاهنامه الأسطورة التى يعتز بها الفردوسى ويفخر بها أبناء جنسه ، ويعدونها من أهم مآثر إيران ؛ تلك هى : أسطورة مولد الإسكندر ؛ لأنها تؤكد أن الإسكندر الأكبر بن فيليب المقدونى هو فى الواقع إیرانى النسب ، وأنه ابن دارا الأول الذى تزوج من إحدى بنات فيليب المقدونى ^(١) . ومع أن الشاهنامه يعد سفر البطولة الإیرانية ومرجع أساطير السابقين الأولين من ملوك إيران فإنه لا يخلو من عيوب خطيرة ؛ فقد أخذ عليه : —

١ — طوله الطويل وضخامته الضخمة غير العادية ؛ فإنه يحوى ستين ألف بيت ، وهذا عدد لم يتضمنه أى كتاب من قبل ولا من بعد ، وهذا العدد الهائل من شأنه أن يجعل الكتاب متعباً ينفر منه القراء ، ويحول بينهم وبين استيعابه والإحاطة به .

٢ — التزام بحر واحد فى نظم الكتاب من أوله إلى آخره وهو مثنى التقارب ، وهذا من شأنه أن يجعله مملاً إلى حد كبير جداً .

٣ — تكرار الألفاظ والعبارات في الوصف والشرح ، والتقييد في ذلك بأسلوب يكاد يكون واحداً مملاً أيضاً .

٤ — السير على نمط واحد في تصوير الشخصيات ووصف الحوادث حتى إنك لا تكاد تجد فروقاً واضحة بين شخصية وأخرى ، ولا بين حادثة وغيرها .

٥ — عدم الدقة التاريخية ، وعدم تحرى الصدق في تصوير الشخصيات ، ووصف المعارك ، وسرد الحوادث . وهذا من شأنه أن يقلل من أهمية الكتاب من الوجهة التاريخية ، ويجعله إلى القصص الأسطوري أقرب منه إلى القصص التاريخي . ولكن الإيرانيين لا ينظرون إلى هذه العيوب نظرة جدية ، بل إنهم يعجبون بمادة الكتاب أكثر مما يعجبون بأسلوبه ، ويرون فيه ما يشبع خيالهم ويوقظ عاطفتهم الوطنية ، ويرفعون من قيمة الكتاب الأدبية ، ويعدونّه تحفة وطنية خالدة ؛ لأنه يسجل بطولتهم ، ويخلد ما أثرهم .

ولقد فتن به شعراؤهم واشتد إعجابهم به ؛ حتى حاول كثير منهم أن ينسجوا على منواله في العصور التالية . وفي مقدمة من حاكوه النظامي الكنجي صاحب كتاب پنج گنج آي الكنوز الخمسة وهي : —

(١) مخزن الأسرار ، (٢) خسرو وشيرين ، و (٣) ليلى ومجنون ، (٤) بهرام گور وهفت بيكر ، و (٥) شرف نامه واسكندر نامه .

و بعد فإن قصة الفردوسي ومحمود والشاهنامه طويلة ، والحديث عنها — مهما يطل — قصير . وقد عرض حضرة صاحب العزة زميلنا الفاضل الدكتور عبد الوهاب غرام بك هذه القصة ، وبحثها من جميع نواحيها ، بما هو معهود فيه من تحقيق ، وتعمق في الدرس ؛ فعلى من يريد مزيد بيان لهذا الموضوع أن يرجع إلى المقالة

التي دمجها يراع هذا البجاجة القدير في تقديمه لترجمة البندارى للشاهنامة ، فليس بعد ما ذكر زيادة لمستزيد .

والآن يجدر بي أن أعرض عليك صوراً من شعر الفردوسى ؛ لتكون على بينة من مقدرته الشعرية ، ومنزلته السامية ، التي اتفق العلماء والأدباء على أنه كان أحق بها وأهلها :
يقول العوفى ^(١) :

« كان الفردوسى رضوان فردوس الفصاحة ، وبرهاناً على صحة دعوى البلاغة ، وقدوة أرباب الصناعة ، ومقدم أولى الفطنة والبراعة ، ومصدق هذا الكلام تكملة الشاهنامة الذى بدأه الدقيقى ونظم منه عشرين ألف ^(٢) بيت ، ونظم الفردوسى منه ستين ألف ^(٣) بيت أخرى ، فأعطى صناعة الكلام حقها ، وأقام البرهان على براعته ، وأخجل السابقين ، وبز اللاحقين فى ميدان التدبير ، وأنزلهم إلى الدرك

(١) الباب : ٢/٣٣ .

(٢) المشهور أن الدقيقى لم ينظم إلا ألف بيت وفى ذلك يقول الفردوسى .

زگشتاشب وأرجاسب بيتى هزار
= نظم ألف بيت عن گشتاشب وارجاسب ثم قضى وعفى عليه الزمان

(٣) وفى ذلك يقول الفردوسى فى مستهل قصة خسر وپرويز وشيرين .

بود بيت شش بار بیور هزار
= كان (الشاهنامة) ستاً من عشرات الألوف

(من) الكلام المناسب الجميل الذى يزيل الهموم

ويقول فى قصيدة هجائه للسلطان محمود :

بسی سال آندر سرای سپنج جنین رنج بردم بأمید کنج

زایات غرا دورہ هزار صراں جمله را شیوہ کارزار

= قضیت کثیراً من السنین فى القصر المعار وقاسیت کثیراً من المتاعب على أمل الثراء

من (نظم) آیات غراء عددها ثلاثون ألف مرتین « جعلتها » كلها فى فن القتال .

الأسفل من التفكير . ويظهر كمال صناعته في أنه — من أول كتابه إلى آخره — قد جرى على نسق واحد جيد لا يتعداه ، واتباع أسلوباً واحداً نادراً لا يتجاوز ، فكان هذا دليلاً على كمال قدرته ، وبلوغه الغاية في أستاذيته . وإن من يقرأ ما اختاره العلامة مسعود بن سعد رحمه الله من الشاهنامه ليعرف إلى أي حد وصلت مقدرة الفردوسی الشعرية .

« وإذا استثنينا الشاهنامه (وقصة يوسف وزليخا) وجدنا أنه لم يرو عنه إلا قليل من الشعر . فمن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها السلطان محمود بن سبكتگین — قدس الله روحه .

دوچیز برتوبی خطر بینم	کآنرا خطرست نزد هر مهتر
دینار چو برنهی بسر بر تاج	در معرکه جان چو برنهی مغفر
= اری شیئین لا قيمة لهما عندك	مع أن لهما قيمة عظيمة لدى كل عظیم
الدینار حين تضع التاج على رأسك	والروح حين تضع المغفر في القتال

ومن ذلك قوله (فی شکوی الزمان) :

بسی رنج دیدم بسی گفته خواندم	زگفتار تازی واز پهلوانی ^(۱)
بچندین هنر شست و دوسال بودم	چه توشه برم ز آشکار و نهانی ؟
بجز حسرت و جز وبال گناهان	ندارم کنون از جوانی نشانی
بیاد جوانی کنون مویه دارم	بران بیت بوطا هر خسروانی
جوانی من از کودکی یاد دارم	دریغا جوانی دریغا جوانی

(۱) يدل ذلك ونحوه على أن الفردوسی كان يعرف الفهلوية .

= شاهدت كثيراً من المتاعب وقرأت كثيراً

من كلام العرب والكلام الفهلوى

وكنيت « معروفا » بكثير من الفضل اثنتين وستين سنة

(ولكن) اى زاد ادخر من ظاهر النعمة وباطنها

وفيا عدا الحسرة ووبال الذنوب

ليس لدى الآن اى اثر من آثار الشباب

واندم الآن لذكرى الشباب

طبقاً لذلك البيت الذى نظمه أبو طاهر الخسروانى

(حيث قال) :

سأذكر من عهد الطفولة عهد شبابى فيا أسفا ! وواحسرتا فأت عهد الشباب

ويطلق دولتشاه السمرقندى^(١) على الفردوسى لقب « سحبان العجم » ويقول :

« اتفق الأكاير والأفاضل على أنه — فى العصر الإسلامى — لم يخرج صناعة

الشعر من حيز العدم إلى حيز الوجود أحد مثل الفردوسى . ولحق أنه قد أعطى

صناعة البلاغة حقها ، ووفى فنون الفصاحة قدرها . وكتاب الشاهنامة شاهد عدل

على صحة هذه الدعوى ؛ إذ لم تكن لدى أحد من الشعراء والفصحاء فى نصف

القرن الماضى قدرة على معارضة الشاهنامة ، ولم يُعترف لأحد من الشعراء بهذه

المنزلة ، وهذا توفيق إلهى خص الله به الفردوسى . »

« وفيه يقول بعض الفضلاء :

سكهٔ كاندرسخن فردوسى طوسى نشاند

کافر مگر هیچ کس از مردم فرسی نشاند
اول از بالای کرسی بر زمین آمد سخن
او سخن را باز بالا برد و بر کرسی نشاند

= إن الطريقة التي رسمها الفردوسی الطوسی لفن الكلام
أكون كافراً لو ثبت أن أي أحد من الشعب الفارسی رسمها (مثله)
فقد كان فن الكلام قد سقط إلى الأرض من عرشه الرفيع
(أما) هو فقد أعاد فن القول إلى مكانه العلی وأجلسه على عرشه .
وفيه أيضاً يقول آخر :

در شعر سه تن پیمبران هر چند که « لا نبی بعدی »
أوصاف وقصیده وغزل را فردوسی وأنوری وسعدی
= يوجد للشعر ثلاثة أشخاص هم أنبياء
(هم) شعراء الوصف والقصيدة والغزل

فالفردوسی نبی الوصف والأتوری نبی القصيدة والسعدی نبی الغزل
ویمضی دولت شاه فیذکر قصة الفردوسی والسلطان محمود علی نحو ما ذکرنا .
ويقول إن الفردوسی توفي سنة ۴۱۱ هـ . ثم یختتم مقالته عن هذا الشاعر بقوله :
« یروی أن الشیخ أبا القاسم الجرجانی رحمة الله علیه أبی أن بصلی علی
جثمان الفردوسی ؛ بحجة أنه مدح الجوس فی الشاهنامه ، فرأى فی تلك الليلة أن
الفردوسی قد أسکن الدرجات العلیا من جنة عدن ، فسأله : « بأی شیء حظیت
بهذه الدرجة ؟ » فقال : بذلك البيت الواحد الذی نظمته فی توحید الباری وهو :

جهان را بکندی و پستی توئی نداتم چه « هرچه هستی توئی »

= « منك » مافی العالم من رفعة وضعة

لست أدري من أنت — أنت كل مافی الكون أنت^(۱)

وإليك بعض مختارات من الشاهنامه :

يقول في مدح السلطان محمود :

جهاندار محمود شاه بزرگ بآبی خور آرد همی میش و گورگ

زکشمیر تاپیش دریای چین برو شهریاران کنند آفرین

جو کودک لب از شیر مادر بشت بگهواره محمود گوید نخست

= (هو) محمود الملك العظيم مالك العالم

الذي يورد إلى ماء الشرب الحمل والذئب

من أطراف کشمیر إلى ما وراء بحر الصين

يقدم الأمراء إليه التحية والتعظيم

(و) حينما يغسل الطفل فيه من لبن أمه

يتحدث أولا عن عظمة محمود

ويقول في تقلبات الدهر :

(۱) جهاننا که بدمهر و بد گوهری که خود پروانی و خود بشکری

(۲) نگه کن کجا افریدون گرد که از پیر ضحاک شاهی بُرد

(۳) برفت و جهان دیگر را سپرد بجز حسرت از دهر چیزی نبرد

(۱) المعنى المحرف لهذا البيت هو: أنت للعالم رفعة وضعة — لست أدري ما أنت ، كل ما هو كائن أنت . أو كل ما أنت عليه (في الواقع) أنت .

(۴) چنينيم يكسر كه ومه همه تو خواهی شبان باش و خواهی رَمه

= (۱) آيها العالم ! ما أشد غدرک وما أسوأ معدنک

فأنت متعهد الزرع وأنت نفسك الزارع

(۲) أنظر ! أين فريدون البطل ؟

الذي استلب الملك من الضحاک الكبير

۳ — إنه قد قضى نحبه وسلم العالم إلى آخر .

ولم يحمل شيئاً من الدهر سوى الحسرة .

۴ — وكذلك نحن کلنا — الحقير منا والعظيم .

فکن راعياً إن شئت ، أو کن کقطيع الماشية .

وإنک لتسمع الفردوسی يردد هذه النعمة : نعمة الحزن والحسرة . وذلك —

كما يظهر — يرجع إلى إخفاقه في حياته وعدم نجاحه في مسعاه لدى السلطان

محمود .

فها هو ذا يقول في قصيدته الذي يهجو بها هذا السلطان :

بناهای آباد گردد خراب ز باران وازتاب آفتاب

پی آفسگندم آرنظم کاخ بلند که از باد و باران نیابد گزند

= إن مصير المبانی العامة أن تكون خراباً يباباً .

من هطول الأمطار ولفحة حر الشمس .

ولکنی وضعت أساساً من النظم لقصر شامخ .

لا يصيبه أذى من هبوب الريح وهطول المطر .

وهذا القصر الشامخ الذي وضع أساسه وأكمل بناءه هو کتاب الشاهنامه

الذى كان يرجو أن يقدره السلطان حق قدره ، ويكافئه عليه مكافأة كريمة .
ولكن واأسفاه ! فقد خاب أمله .

ومع ذلك فلم الأسف ؟ وعلام الأسى والحزن ؟ فالشيء من معدنه ، وكل
قرع يرد إلى أصله .

وفى هذا المعنى يقول فى القصيدة نفسها :

(١) درختى تلخ ست ويرا سرشت گرش درنشانی بباغ بهشت

(٢) وراز جوى خلدش بهنگام آب به بیخ انگبین ریزی وشهد ناب

(٣) سرانجام گوهر بکار آورد همان میوه تلخ بار آورد

(٤) بعنبر فروشان اگر بگذری شود جامه تو همه عنبری

(٥) وگرتوشوى نزد انگشت گر ازوجز سیاهی نیابی دگر

= (١) إن الشجرة التى لها طبيعة مرة إذا غرستها فى جنة النعيم

(٢) وإذا صميت على جذورها وقت الإرواء

العسل والشهد المصفى من نهر الخلد

(٣) فى النهاية يتحقق جوهرها فتحمل ذلك الثمر المر نفسه

(٤) وإذا مررت ببائعى العنبر فان ثيابك تصير عنبرية الرائحة

(٦) أما إذا اقتربت من بائع الفحم

فلن تصيب منه شيئاً آخر سوى سواد ثيابك

ومن حيد شعره فى الشاهنامه ما ورد فى الخطاب الذى كتبه على لسان زال إلى

سام بن نریمان بمازندران ، حينما أراد أن يقتل برودابة بنت ملك كابل ، وذلك

حيث يقول :

- (۱) یکی نامه فرمود نزدیک سام سراسر درود توید و خرام—اوسلام
 (۲) نخست از جهان آفرین یاد کرد که هم داد فرمود و هم داد کرد
 (۳) وزو باد برسام نیرم درود خداوند شمشیر و گویال و خود
 (۴) چمانده چرمه هنگام گرد چراننده گرکس اندر نبرد
 (۵) فزاینده باد آوردگاه فشاننده خون زابرسایه
 (۶) بمردی هنر درهنر ساخته هنرش ازهنر گردن افراخته

= (۱) أرسل (زال) إلى سام خطابا

- کله (من أوله إلى آخره) مدح و دعاء و أخبار طيبة
 (۲) فتحدث أولا عن الخالق

الذي أمر بالعدل وحكم « بين الناس » بالعدل أيضا

- (۳) الذي منه السلام على سام بن نيرم رب السيف والصولجان والمغفر
 (۴) حاشد الفرسان في يوم الطعان ومطعم النصور (لحم العدو) يوم النزال
 (۵) مثير «هوج» الرياح في ساحة القتال وساكب الدم من سود السحاب^(۱)
 (۶) (الذي) أضاف برجولته فضلا إلى فضل

(بل) إن فضله شمع بعنقه على الفضل (نفسه)

(۱) لعل المراد من الدم هنا : الدمع ، ومن سود السحاب : العيون .

٣ — العنصرى

علمت مما سبق كيف نجح الفردوسى فى الاتصال بالسلطان محمود الغزنوى ، كما علمت أن هذا السلطان كان يقرب إليه رجال العلم والفلسفة والأدب ، ويكرم وفادتهم ، ويجزل العطاء لهم ، وأنه قد التف حوله عدد عظيم من الشعراء يسجلون مآثره فى قصائد طوال ومقطعات قصار ، وأن فارس حلبة هؤلاء الشعراء ورئيس ندوتهم كان الأستاذ الرئيس حسن بن أحمد المشهور « بالعنصرى » .

ولد هذا الشاعر بمدينة بلخ حوالى سنة ٣٥٠هـ وتوفى بغزنین حوالى سنة ٤٣١هـ فى عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوى . وكان يشتغل بالتجارة كأبيه ، ولكنه اتجه إلى طلب العلم بعد أن سلبه قطاع الطريق ماله ، وما زال نجمه يصعد حتى اتصل بالسلطان محمود على يد أخيه الأكبر الأمير نصر ، وصار له من الجاه والسلطان فى الدولة الغزنوية ما كان للزودكى فى الدولة السامانية ، بيد أن العنصرى يعترف بفضل الزودكى ويقر بأسبقية عليه فى ميدان الشعر .

يقول دولتشاه السمرقندى إن العنصرى ترك ديواناً من الشعر ، به ما يقرب من ثلاثين ألف بيت ، معظمها مدائح تشيد بعظمة السلطان محمود وتخلد ذكره ، وتنوه بغزواته وانتصاراته ، وتذكر بالخير أياديه البيضاء على الشاعر ، ونعمه الفياضة التى أسبغها على أهل العلم والأدب .

وكان العنصرى ينهج منهج أهل عصره فى نظم القصيدة فيبدوها بوصف

الطبيعة ثم ينتقل إلى النسيب والتشبيب ، وينتهى بمدح الممدوح الذى هو الغرض الأساسى من نظم القصيدة .

وله بجانب قصائده الطوال مقطعات وغزليات ، ولكنه لم يبلغ فى فن الغزل ما بلغه الرودكى من قبله .

يصف العوفى شعر العنصرى فيقول « إن شعره كان شعاراً للفصاحة والقوة ودقة المعنى ورقة المغزى » . ويقول إن له مثنويات قصصية أهداها إلى خزانة يمين الدولة منها^(١) : (١) شاد بهر ، و (٢) عين الحياة ، و (٣) وامق وعذراء ، و (٤) وخنگ بت (الصنم الأبيض) ، و (٥) سرخ بت (الصنم الأحمر) . وبعد كل من هذه خزانة لبدائع الحكم ، ومستودعاً لدقيق المعانى ، ومجمعاً لرقيق الأمثال ؛ ولذا كان العنصرى علم عصره ، أمه العلماء وأهل الفضل من كل صوب ليغترفوا من بحر علمه ، وينهلوا من فيض أدبه ، ويتقربوا إلى السلطان بوساطته . ويقول دولتشاه فى عظمة هذا الشاعر : إن مناقبه أظهر من الشمس ، فقد كان زعيم الشعراء فى عهد السلطان محمود ، وقد مهر فى عدة نواح من نواحي العلم والأدب ، بالإضافة إلى مهارته فى قرض الشعر ، وقيل إنه كان فيلسوفاً .

ويحكى أن ما يقرب من أربعائة شاعر كانوا يلازمون السلطان ويمشون فى ركابه ، وكان العنصرى زعيمهم الذى اعترفوا بفضله ونظروا إليه نظر التلامذة إلى أستاذهم ، وكان نديم السلطان كما كان شاعره الخالص المقرب إليه ، وكان دائماً يسجل فى ديوان شعره مواقف السلطان^(٢) الحمودة وغزواته المشهورة ، وله قصيدة

(١) انظر دولتشاه س ٣٠ ، وبراون ٢٧٥ — ٢ .

(٢) نظم العنصرى مناظرة شعرية فى مدح الأمير نصر بن سبكتكين أخى السلطان

محمود الأكبر — راجع ص : ٢٣٤ — ٢٣٨ من كتابنا هذا

حوت ما يقرب من ثمانين ومائة بيت نظم فيها جميع غزوات السلطان وفتوحاته .
وقد كافأه السلطان في آخر الأمر أحسن مكافأة فمنحه لقب « ملك شعراء
الدولة » ، وأذاع في جميع أطراف المملكة أن كل من ينطلق لسانه بالشعر وعذب
الكلام في أى ناحية من نواحي الدولة فعليه أن يعرض شعره على الأستاذ
العنصرى ؛ لينقحه ويميز غثه من سمينه ، ثم يرفعه إلى مسامع الحضرة العلية .
ولذا كان مجلس العنصرى مقصد الشعراء ، وكعبة أنظار العلماء ، وكان له من
جراء ذلك حظ وافر من الجاه والمال .

ذكر العوفى كثيراً من مقطعاته الشعرية نكتفى منها بما يأتى ، وهى فى مدح
السلطان محمود :

(١) خدایگانِ خراسان و آفتابِ کمال که وقف کرد برو ذوالجلال عز وجلال
یمین دولت ، و دولت بدو نمود هنر آمین ملت ، و ملت بدو گرفته جمال

(٢) درآهن و سیمست قضا و قدر ایرا از آهن و سیمست ترا جنجر و خاتم

(١) خدا بکان = سید . هنر = فضل — علم — شرف — فن

ومعنى البيتین : هو سید خراسان ، وشمس الکمال الذى جعل ذو الجلال العز والجلال
وقفا عليه . هو یمین الدولة وبه الدولة حازت الشرف ، وهو آمین الملة وبه الملة اكتسبت الجمال .

(٢) ایرا = زیرا = لأن . فرمان بر = خادم = مطیع = خاضع — دیو =
الشیطان . پری = الملك . دام = الشبكة = الزواحف = ذوات الأجنحة = ذوات
الأربع الألیفة . دد = الحيوانات المفترسة . دما دم = دائماً . انمگشت = إصبع .
انگشتی = خاتم .

ومعنى هذه الأیات : من الحديد والفضة يؤخذ القضاء والقدر ، لأنك قد اتخذت من
الحديد جنجرک ومن الفضة خاتمک ، يقولون إن العالم كله كان مطيعاً لجمشید : الشياطين والملائكة
والحيوانات المفترسة والناس على الدوام . فإذا كان هذا صحيحاً فإما أن يكون جمشید قد
اكتسب جاهه منك ، وإما أن اسمک كان منقوشاً على خاتم جمشید .

گویند فرمان بر جم جهان پاك
گر بود چنین یا جم راجه تو بودست
دیو و پری و دام و دد و خلق دمام
یا نام تو بودست برانگشتري جم

(۳) دهان کِشاد ، و میان بست ، و ایستاد فلک

بمدح و خدمت شاه سپهکش صفدر
دهانش را اثر مشتری بجای زبان
میانش را اثر جوزهر بجای کمر
سَخاوت و سخن و طبع و رای او گوئی
زخاک و آب ، و ز باد آمدند و از آزر
ز آب خیزد در وزخاک زاید زر
(۴) تو آن شاهی که اندر شرق و در غرب
جهود و کافر و گبر و مسلمان
همی گویند در تسبیح و در تهلیل
که یارب عاقبت محمود گردان
(۵) هر که نا شاعر بود چون قصد مدح او کند

شاعری گردد که شعرش روضهء رضوان بود
ز آنکه جودش جمع گردانید معنیهای نیک
چون معانی جمع گردد شاعری آسان بود

(۳) وقف الفلك وفتح فاه وشد حزامه لمدح القائد البطل ویتها لخدمته . سپهکش
= القائد ، صفدر = البطل . أن لقمه أثر المشتري بدلا من اللسان ، وبوسطه أثر =
= مدار القمر بدلا من الحزام : جوزهر = مدار القمر = أحد الكواكب .
لك أن تقول إن كرمه وكلامه وطبعه ورأيه من التراب والماء والهواء والنار جاءت .
فمن النار يأتي النور ، ومن الهواء تأتي الروح (أو تولد) ، ومن الماء يستخرج الدر ،
ومن التراب يستخرج الذهب .

(۴) أنت ذلك الذي اليهود والكفرة والجوس والمسلمون .

يقولون عنه في تسبيحهم وتهليلهم يارب اجعل محموداً خير خلف .

(۵) كل من ليس بشاعر حين يقصد مدحه بصير شاعراً شعره كجنة رضوان ، ذلك لأن
جوده يتضمن معاني جميلة ، وحينما تتجمع المعاني (الجميلة في شخص) يكون قرض الشعر (في
مدحه) سهلاً ميسراً .

وله فی الصبر :

دردِ مرا یگیتی داروپدید نیست دردی که از فراق بود دردی دواست
گنجیست عاشقانرا صبر ارنگه کنی

کو روی زرد سُرخ کند و پشتِ کوز راست (۱)

وله فی عتاب محبوب علی قسوته :

بگرفت زلفِ تو رنگ از دل تو و نزد ود وفا و مهر زنگ از دل تو
تا گم نشود کیرِ پلنگ از دل تو موم از دل من برندوسنگ از دل تو (ب)

و بعد العنصری من مبتکری أسلوب شعری فی اللغة الفارسی یسمى الشعر
التحاوری أو المناظرة الشعرية ، وهو أول من اتبع هذا الأسلوب الشعری فی المدح .
وإليك طرفاً من قصيدة نحا فيها هذا النحو فی مدح الأمير نصر بن سُبُکْتِگین
حاکم خراسان وأخی السلطان محمود الغزنوی :

(۱) هر سؤالی کز آن لب سیراب دوش کردم مرا بداد جواب
(۲) گفتمش : جز بشب نشاید دید ؟ گفت : پیدا بشب بود مهتاب

(۱) أجابت عن كل سؤال وجهته إلى تلك الشفة الغضة الليلة الماضية .

(۲) قلت لها : ألا يمكن أن يراك أحد إلا بالليل ؟ فقالت : إن القمر المضيء
يظهر ليلاً . (مهتاب = نور القمر) .

(۱) لم يظهر لألى دواء فی العالم فإن الألم الذى ينشأ من الفراق ألم بدون دواء ، وإن
الصبر للعاشقين كنزاً « لا يفنى » لأنه يجعل الوجه الأصفر أحمر والظهر المنحني مستقيماً معتدلاً .
(ب) إن خصل شعرك قد اكتسبت لونها من قلبك (الأسود) ولم تذهب الحمية والوفاء
بالصدأ الذى ران على قلبك . فكأنما اقد حملوا الشمع من قلبى (المحترق) والحجر من قلبك (القاسى)
(وصنعوا منهما حجبا) حتى لا يزول جلد النمر (كيرپلنگك) أو كبرياء النمر (كيرپلنگك)
من قلبك .

- (۳) گفتم : از تو که پرده دارد مهر گفت : از تو که پرده دارد خواب
- (۴) گفتم : از شب خضاب روز مکن گفت بر روز خون مکن تو خضاب
- (۵) گفتم : آن زلف سخت خوشبو است
- گفت : زیرا که هست عنبر ناب
- (۶) گفتم : آتش بر آن رخت که فروخت ؟
- گفت : آن کو دل تو کرد کباب
- (۷) گفتم : از روی تو نتابم روی گفت : کس روی تابد از محراب ؟
- (۸) گفتم : اندر عذاب عشق توام گفت : عاشق نکو بود بعذاب
- (۹) گفتم : از چیست روی راحت من گفت : هر دم ز روی خسرو شاب

- (۳) قلت . أنت التي يحتجب البدر « خجلاً » منك . فقالت . وأنت الذي بسببك (منك) يذهب النوم .
- (۴) قلت : لا تسودی ضوء النهار (أى وجهك) بسواد الليل (بالكحل وما إليه) فقالت . لا تضع على وجهك خضاباً من الدم = لا تحجل أو لا تبك دما
- (۵) قلت : إن تلك الطرة (الحصل الشعرية) طيبة الرائحة جداً . فقالت : لأنها عنبر صاف .
- (۶) قلت : من أوقدتلك النار على وجهك ؟ فقالت : إنه هو الذى شوى قلبك .
- (۷) قلت : لا أستطيع أن أدير وجهى عن وجهك . فقالت . وهل يدير أحد وجهه عن المحراب .
- (۸) قلت : إني فى شقاء وعذاب من عشقك . فقالت : إن العاشق المخلص « لا بد أن يكون فى شقاء .
- (۹) قلت . من أى شىء (تأتى) راحتى (وجه راحتى) ؟ : فقالت : (تأتى) دائماً من « النظر إلى » وجه الملك الشاب .

- (۱۰) گفتم : آن میر نصر ناصر دین ؟ گفت : آن مالک ملوک رقاب
 (۱۱) گفتم : اورا کفایت ادبست ؟ گفت : کافی ازو شدست آداب
 (۱۲) گفتم : آگاهی از فضایل او ؟ گفت : بیرون شد از حدود حساب
 (۱۳) گفتم : ازوی بحرب کیست رسول ؟
 گفت : نزدیک نیزه دور شهاب
 (۱۴) گفتم : او در زمانه بایستست گفت : بایسته تر ز عمر و شهاب
 (۱۵) گفتم : اندر جهان چو او دیدی ؟ گفت : نی و نخواهنده ام ز کتاب
 (۱۶) گفتم : اندر کفش چه گوئی تو ؟ گفت : دریا بجای او چو سراب

- (۱۰) قلت : أتريدن ، ذلك الأمير نصر ناصر الدين ؟ فقالت : (نعم أريد) ذلك المالك للملوك القابضين على رقاب الرعية .
 (۱۱) قلت هل لديه قسط كاف من الأدب والفضل ؟ فقالت : إن الآداب والفضائل تستمد كفايتها منه .
 (۱۲) قلت : هل لديك علم بفضائله ؟ فقالت : (إنها) تجاوزت حد الحصر .
 (۱۳) قلت : من رسوله لإعلان الحرب ؟ فقالت : إنه هو الرمح (كما يرى من قرب ، والشهاب المحرق كما يرى من بعد .
 (۱۴) قلت : هل وجوده ضروري في هذا العصر ؟ فقالت : إنه ألزم للرعية من الحياة والشباب .
 (۱۵) قلت : هل رأيت في العالم مثله ؟ فقالت : لا ، ولم أقرأ عن مثله في أي كتاب .
 (۱۶) قلت : ماذا تقولين عن كفه ؟ فقالت : إن البحر بالنسبة لها كالسراب .

(۱۷) گفتم : او لفظ سائلان شنود ؟ گفت : پاسخ دهد بزر و ثياب

(۱۸) گفتم : آزاده را بنزدش چيست ؟ گفت : جاه و جلالت و ايجاب

(۱۹) گفتم : از تيراو چه داني باز ؟ گفت : همتاي صاعقه است و شهاب

(۲۰) گفتم : آن تبغ چيست ؟ و دشمن چيست ؟

گفت : آن آتش است و اين سياب

(۲۱) گفتم : از حكم او برون چيزيست ؟

گفت : اگر هست ضايع است و خراب

(۲۲) گفتم : اعداي او دروغ زنند گفت : همچون مسيلم الكذاب

(۲۳) گفتم : آفاق را بدو ندهم گفت : خود كس خطا دهد بصواب ؟

(۱۷) قلت : هل يسمع لقول السائلين : فقالت إنه يستجيب إلى دعائهم بمنحهم الذهب والثيراب (الفاخرة) .

(۱۸) قلت : وكيف حال الأحرار من الرجال لديه ؟ فقالت : يحلهم ويوجب على نفسه احترامهم وينزلهم المنازل السامية .

(۱۹) قلت : أعود فأسأل ؟ ماذا تعرفين عن سهمه ؟ قالت : إنه مثل الصاعقة ، ونظير الشهاب المهلك .

(۲۰) قلت : وما سيفه ذلك ؟ و من عدوه ؟ قالت : ذلك نار وهذا زئبق .

(۲۱) قلت : هل يوجد شيء خارج عن نطاق حكمه ؟ فقالت : إذا وجد فآله الضياع والخسران .

(۲۲) قلت : إن أعداءه يقولون عليه زورا . فقالت : (إنهم) جميعاً كسيلة الكذاب .

(۲۳) قلت : إني لن أَرْضَى بِأَفَاقِ الْعَالَمِ بِهِ بَدِيلًا ؟ فقالت : وهل يَرْضَى الْإِنْسَانُ بِالْخَطِ بِدِيلًا مِنَ الصَّوَابِ .

- (۲۴) گفتم: از جود او عنابر کیست؟ گفت: برجامه باف و بر ضراب
(۲۵) گفتم: آن کز همه شریفترست؟ گفت: دادستش ایزد و هاب
(۲۶) گفتم: او ملک را کجا دارد؟ گفت: زیر نگین وزیر رکاب
(۲۷) گفتم: از مدح او نیاسایم. گفت: چونین کنند اولو الألباب
(۲۸) گفتم: اورا چه خواهم از ایزد؟ گفت: عمر دراز و دولت شاب^(۱)

- (۲۴) قلت: من یسقی بسبب جوده؟ (= علی من یقع العناء بسبب جوده). فقالت: من ینسج الثیاب ومن یضرب النقود.
(۲۵) قلت: هل هو ذلك یعد أشرف الناس جميعاً؟ فقالت: إن الله الوهاب هو الذی أعطاه (ذلك الشرف).
(۲۶) قلت: أين (کیف) یحیی ملکه و یحفظ سلطانه؟ فقالت: تحت خاتمة و تحت رکابه (أی بأوامره و قوته).
(۲۷) قلت: إنی لأکف عن مدحه. فقالت: كذلك یصنع أولو الألباب.
(۲۸) قلت: ماذا أرجو من الله له؟ فقالت: عمراً طویلاً و دولة فقیة.

(۱) انظر کتاب تذکرة الشعراء ص ۴۵ — ۴۶ ، و ترجمة براون ۱۲۱ —

٤ — العسجدى

هو أبو نظر عبد العزيز بن منصور المروزي^(١) أو الهروى^(٢)، وهو ثانى الشعراء الذين اختبروا الفردوسى حين وفد على غزنة كما علمت . وكان من تلاميذ العنصرى وملازمى السلطان محمود ، وقد عاش حتى عصر ابنه السلطان مسعود ، وتوفى معه سنة ٤٣٢ هـ .

ولا يعرف شىء عن ديوان أشعاره ، ولكننا نجد له شعراً رقيقاً منبثاً فى كتب الأدب ، وقد أجمع مؤرخو الأدب الفارسى على نباهة شأنه ، ومهارته فى قرض الشعر . ويصفه العوفى^(٣) بأنه عسجد منجم البلاغة ، وكوكب سماء الفصاحة ، ويقول إنه قد حظى برضا السلطان محمود ، وإن شعره قد راج فى سوق دولته ، وإنه كان فى خدمة هذا السلطان حين حطم أكبر أصنام الهنود المسمى سومنات فى^(٤)

(١) لباب الألباب : ٥٠ / ٢ (٢) التذكرة : ٤٧ .

(٣) يقول العوفى فى الباب (٥٠ / ٢) ما نصه بالفارسية : عسجدى عسجد كان بلاغت واختر آسمان فصاحت بود . خاك مرده بوجود أو مفاخر ، وذات أو منبع زلال مفاخر ، مقبول حضرت عین الدولة بود ، نقد سخن أو در روز بازار دولت این شاه نیک رایج ، ودر آن وقت که سلطان عین الدولة بمدد تائید یزدانی وتوفیق سبحانی در أقصى بلاد هندوستان سومنات را فتح کرد وتابش شمشیر آبدار أو خاك آید زمین را بخون آن باد بیما یان گلغونه یر کشید عسجدى ابن قصیده غرا در تهنیت آن فتح میگوید :

آبدار = لدن — باد بیما = سکیر = ضال — سانج . کلغونه = طلاء للوجه . ومعنى الجملة الأخيرة : ولطخت قوة سيفه اللدن تراب تلك الأرض بدم أولئك الضالين . (٤) كان ذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ٤١٦ هـ — انظر الجزء التاسع من تاریخ ابن الأثیر ص ١٢٧ وما بعدها تدرك وجه تسمية الأعمال التى قام بها المسلمون هنالك بالمعجزات . ويقال إن الهنود عرضوا على السلطان محمود أن يتنازل عن تحطيم الصنم ويعطوه فى نظير ذلك مبالغ طائلة من المال فقال : بت شکن به از بت فروش باشد = محطم الأصنام أفضل من بائع الأصنام .

أقاصى بلاد السند ، فهناه ومدحه بقصيدة غراء قال فيها :

(١) تاشاه خسروان سفر سومنات کرد کردار خویش را علم معجزات کرد

(٢) آثارِ وشنِ ملکانِ گذشته را نزدیک بخردان همه از مشکلات کرد

(٣) بزود زأهل کفر جهان را برأهل دین

شکر ودعاء خویشن ازواجبات کرد

(٤) محمود شهریار کریم آنکه ملک را بنیاد بر محامد و مکرمت کرد

(٥) شطرنج ملک باخت ملک باهزار شاه هر شاه را بلعب دگر شاهات کرد

(٦) شاهاتو از سکندر بیشی بدان جهت

کو هر سفر که کرد بدیگر جهات کرد

(١) إن ملك الملوك منذ أن سافر إلى سومنات قد جعل أعماله علماً على المعجزات (أو فناً من فنون المعجزات) .

(٢) إنه قد جعل جميع الآثار الظاهرة التي خلفها الملوك السابقون من الأمور الخفية المهمة في نظر ذوى العقول الأفهام .

(٣) قد طهر العالم من أهل الكفر ، فجعل شكره والدعاء له من الواجبات على أهل الدين .

(٤) هو محمود الملك الكريم ذلك الذي بنى الملك على أساس من المحامد والمكرمت .

(٥) لقد لعب الملك شطرنج الملك مع ألف ملك فقهر كل ملك بفن جديد من فنون اللعب .

(٦) أيها الملك إنك أعظم من الإسكندر من جهة أن كل رحلة قام بها كانت لأغراض أخرى .

(٧) عين الرضاى ايزد جوئى تودر سفر باز او سفر بجستن عين الحيات كرد

(٨) تو كارها بنيزه وتير و كان كنى او كارها بحيله و كلك ودوات كرد (١)

وقد عرف العسجدى بالبراعة فى الوصف القائم على الاستعارة والتشبيه ،

وبخاصة تشبيه التمثيل الذى تتعدد فيه عناصر المشبه والمشبه به ووجه التشبه .

فمن ذلك قوله يصف ناراً أوقدت على مرتفع من الأرض ، وتتصاعد دخانها وتتطاير

شررها ثم تساقط رماداً على جانبيها .

(١) زان آتش كه بر بلندى بالا مر أبر بلند را كند روزن

(٢) واز ابر چوسر برون زند نورش چون ماه برآ سمان زايد خرمن

(٣) مآند تن او بدسدين ابرى زو قطره چگان جودره گون ارزن

(٧) إنك تسمى فى طلب عين الرضا الإلهى فى كل رحلة من رحلاتك أما هو

فقد كان يرحل فى طلب عين الحياة الدينية .

(٨) هذا إلى أنك تحقق أغراضك بالرمح والسهم والقوس ، أما هو فقد حقق

أغراضه بالحيلة والقلم والدواة .

(١) الباب ٥١ / ٢ .

(١) إن الدخان المتصاعد من تلك النار (الموقدة) على نشر مرتفع من الأرض

يصنع سحباً عظيماً .

(٢) ومن « ذلك » السحاب حينما ينشر نوره « فى الفضاء » « تتولد هالة »

كما يصنع القمر المنير هالة على سطح السماء .

(٣) أما جرمها (النار) فيشبه سحباً مرجاني اللون تتقاطر منه قطرات تشبه

ذرات الهباء الملونة .

(۴) هر قطره زر که ازو جدا گردد چون سیم فرو فتد به پیرامن

(۵) باز از حرکات چون بیاساید از لاله ستانش بردم سوسن (۱)

ومنة قوله يصف قلعة مرتفعة أقيمت على جبل شامخ ، وترى فيه كثيراً من

أساليب البيان :

(۱) گهی بلند و بروا قلعه نهاده بلند بلند های جهان زیر و او ز جمله زیر

(۲) باستواری زر بخیل از بر زمین بیایداری نام سخی میان بشر

(۳) یسختی دل بدخواه برج او ایکن نگار بوده برو سنگها بسان جگر

(۴) وكل قطرة كالذهب (شرارة) تنفصل (تتطاير) منها تسقط حولها

كأنها قطع من الفضة .

(۵) « ثم إن هذه النار » بعد أن تحمد وتهدا (ثورتها) تظهر جمراتها

ملتهبة كأنها زهور السوسن المزدهرة في منبت السوسن .

(۱) راجع الباب ۲ / ۵۱ وما بعدها .

(۱) جبل شاهق « أقيمت فوقه قلعة شاهقة من تحتها عظام » (ما في العالم)

وهي من فوق من جملة « هذه العظام » .

(۲) لها حصن فوق الأرض (صنع من) ذهب البخيل ولها من الاستقرار ،

والخلود ما لاسم الكريم من الخلود بين الناس .

(۳) ولبرجها من القوة ما لقلب الشرير (السبي الطوية) من القسوة .

ولكن الحجارة قد رصفت من فوقها على شكل الكبد .

واین دوبیت در تشبیه خرَبُزَه گفته است ، و بهلال و بدر در دو حالت آنرا تشبیه کرده (۱) :

* * *

(۱) آن ز برجد رنگِ مشکین بوی و طعمش طعم شهد

رنگِ دیبا دارد و بوی قماری عود خام (ب)

(۲) چون تو بپردی شود هریک از آن ده ماه نو

و رنبری باشد او در ذات خود ماه تمام

وقال یصف تینة :

(۳) انجبر کش از شاخ بستدی تو وصفش تو دریک بیت بشنو از من

(۱) وقد نظم هذین البیتین فی تشبیه البطیخة ، وقد شبهها بالهلال ثم بالبدر

فی حالتین مختلفتین .

(ب) الورق القماری ورق طیب الرائحة لذیذ الطعم یجلب من قمر وهی بلاد

اثیویا ؟

(۱) تلك البطیخة زبرجدیة اللون مسکیة الرائحة و طعمها طعم الشهد . لها لون

الدیاج الأخضر و رائحة العود الخام القماری . الدیاج = قماش مزرکش = قماش

هندی منسوج من الذهب .

(۲) إذا قطعتها أجزاء عشرة صار کل جزء منها هلالا . وإذا لم تقطعها صار

کل جزء منها فی ذاته بدراً كاملاً .

(۳) التینة التي تمسکها من عنقها اسمع منی وصفها فی بیت واحد .

(۱) چون برگ کل زرد خرد کرده سر بسته و کرده میان پر ارزن
وله فی الحکم :

(۲) چرا نه مردم عاقل چنان بود که بعمر

چون درد سر کندش مردمان دژم گردند

(۳) چنانچه باید بود آن که گرسرش ببری

بسر بریدن او دوسه ————— تن خرم گردند

وله فی التوبة الزائفة :

(۴) از شرب مدام ولاف مشروب توبه

وزعشق بته ————— ان سیم غنغب توبه

(۵) دل درهوس گناه و برب توبه زین توبهء نادرست یارب توبه (۶)

(۱) (إنها) تشبه ورقة ورد صفراء صغرت وضمت أطرافها بعضها إلى بعض وملئ جوفها بالذرات .

(۲) من الحق أن العاقل ليس هو الذي إذا تألمت رأسه في حياته تألم الناس وحزنوا

(۳) كما أنه إذا قطعت رأسه فرح الناس لقطع رأسه .

دژم = حزين — آسف .

(۴) الغنغب : اللحم المتدلى تحت الحنك = قاموس — وهو هنا بمعنى الذقن ،

ومعنى البيت : إني أرجو الله أن يتوب على من شرب الخمر ومن التفاخر بالمشروب ،

ومن عشق الحسان ذوات الأدقان الفضية .

(۵) يفكر القلب في اقتراف الإثم وتنطق الشفتان بالتوبة فيارب تب على

من هذه التوبة الباطلة .

(۶) تذكرة الشعراء ص ۴۷ .

وله فی المدح :

- (۱) یاد کرد از لطیف طبعش بحر گشت پر در و عنبر اشهب
(۲) با گران حاش آشنا شده کوه شد مکان عقیق و کان ذهب

وله فی وصف جواد :

- (۳) مرکبی کش نیست جز آیین خود دادن نشان
خاصه آن گاهی که برزین برکشندش تنگ تنگ
(۴) گشتن پرکار و چوخ و رفتن از گشتی و تیر
کشی از طاوس و گور و جستن از خرگوش و رنگ

ومما يدل على مهارة العسجدی فی التلاعب بالألفاظ قوله متغزلاً :

- (۵) پاران قطره قطره همی بارم آبروار هر روز خیره خیره ازین چشم سیل بار

(۱) تذکر البحر طبعه اللطیف فامتلاً درا و عنبرا اشهب .

(۲) وألم الجبل بحلمه المتزن الوقور فصار مكاناً للعقیق ومنجماً للذهب .

(۳) هو مرکب (= جواد) لا يدل علیه إلا عاداته وبخاصة حين یوضع

علیه سرج ضیق .

(۴) (قد اقتیس) من الفرجار والفلک أسلوبه فی الالتفات ، ومن السفینة

والسهم أسلوبه فی السیر ، ومن الطاوس والحمار الوحشی ما علی جسمه من خطوط
وتقاسیم ، ومن الأرنب لونه وأسلوبه فی الوثب .

(۵) آبروار = مثل السحاب . خیره = مظلم = مضطرب — مختلج

جشم خیره شدن = ضعف البصر أو اختلاج العین . والمعنی : إني أمطر كالسحاب

(أذرف الدمع) مطراً يتساقط قطرة قطرة کل يوم ، وبسبب هذا الدمع يتكرر

اختلاج العین المحملة بالدمع ، أو تضعف قدرتها علی الأبصار بالتدریج .

(٢) زان قطره قطره باران شده خجل

زين خيره خيره خيره دل من زهجر يار

(٣) يارى كه ذره ذره نمايد همى نظر هجرانش پاره پاره بمن بر نهاد بار

(٤) زان ذره ذره ذره جو كوه آيدم بدل زان پاره پاره پاره بجشم آيدم غبار

(٥) دل گشته رخنه رخنه بزاري بتيغ هجر

زان مشك توده توده بران گرد لاله زار

(٢) وإن قطرة المطر لتخجل من تلك القطرات المتساقطة (من عيني لكبر هذه وصغر تلك) وإن قلبي ليضطرب من هجران الصديق ومن تتابع اختلاج العين أو ضعفها في الأبصار .

(٣) ذلك الصديق (الذي يخل على) بالنظرات الدائمة ، ولا ينظر إلى إلا نظرات خفيفة خفية كالذرات ، وإن هجرانه عبء ثقیل على ، يأتي إلى متوالياً قطعة بعد قطعة .

(٤) وإن ذرة من تلك الذرات لتأتى إلى قلبي فتجثم عليه كالجبل ، وإن قطعة من تلك القطع لتأتى إلى عيني كما يأتيها الغبار .

(٥) رخته = تشقق . توده = كومه ، والغرض هنا الخال البارز فوق الخد ، لاله زار = منبت السوسن ، والغرض هنا الوجه أو الحدود الحمراء .

ومعنى البيت : وإن قلبي ليتصدع مرة بعد أخرى حسرة وأسفاً (بزاري) بما أصابه من سيف الهجران . وبسبب وجود تلك الحالات المسكينة (اللون والرائحة) الناتجة حوالى « الوجه » الذى هو منبت السوسن . أو ذلك الهجران الآتى من تلك الحالات الخ .

(٦) زَان رَخْنَه رَخْنَه رَخْنَه شَدَه عَقْل وَدِين مَرَا

زَان تَوْدَه تَوْدَه تَوْدَه بَدَل پَرَا ز غَم نَگَار

فهنا نجد الشاعر يلتزم أسلوباً من أساليب البديع هو أسلوب الجناس التام ، وذلك بتكرار الكلمة مرتين ثم ثلاثاً بنظام معين لا يتخلف ، فكلية قطره ذكرت مرتين في الشطرة الأولى من البيت الأول ، وثلاثاً في الشطرة الأولى من البيت الثاني . وكلية خيره تكررت مرتين في الشطرة الثانية من البيت الأول ، وثلاثاً في الشطرة الثانية من البيت الثاني .

وإنك لترى اتباع النظام نفسه في تكرار الكلمات الأخرى .

ولا ريب أن ذلك التكلف اللفظي قد تم على حساب المعاني التي يعبر عنها الشاعر باستخدام هذه الألفاظ والتراكيب المزخرفة ، وهي معان تافهة لا يكاد يقيم لها وزن . فهي كما يقال معان من خشب وضعت في غمد من ذهب .

* * *

ومن جيد ما نظمه العسجدى قوله معبراً عن سوء حاله وخيبة آماله :

(٦) بسبب هذا التصدع المتكرر (الذي أصاب قلبي) تصدع عقلي وديني فامنحني أيها الصنم المحبوب ؛ من تلك الخالات خلا (يصل) إلى قلبي الممتلئ غماً (فيبرئه) .

وتقدير البيت السادس هكذا : عقل ودينم إز آن رخنه رخنه رخنه شده أست توى نكار مرا از آن تودها تودهء بده تابدل پرغم برسد وداروى أو بشود .

- (۱) فغان زدست ستمهای گنبدِ دوار فغان زسغلی وعلوی ثابت وسمیار
(۲) جه اعتبار براین اختران نامسعود جه اعتماد براین ر وزگار ناهموار
(۳) جفای چرخ بسی دیده انداهل هنر ازان بهرزه شکایت نمی کنند أحرار
-

- (۱) وا أسفاه من ید الظالم (ید) الفلك الدوار ! وا أسفاه من العالم العلوی
والعالم السفلی ومن الکواکب الثابتة والکواکب السیارة .
(۲) فأی ثقة بهذه الکواکب المشئومة ؟ وأی اعتماد علی هذا الزمن
الظالم الغادر .
(۳) لقد قاسی أهل الفضل کثیراً من جفاء الفلك وقسوته . ولذا لم یرتض
الأحرار الشکوی من هذا .
بهر = سبب . ازان بهر = من أجل هذا . زه کردن = الاستحسان .
-

٥ — الفرخى

هو أبو الحسن على بن جولوغ الفرخى السكزى . وكان من حلبة الشعراء الذين التفوا حول السلطان محمود الغزنوى ، وثالث الشعراء الذين اختبروا الفردوسى حين وفد على غزنة .

نشأ فى ترمذ أو سبستان . وكان من تلاميذ العنصرى . وقد عرف بسلامة تفكيره ، واعتدال طبعه . وله بين شعراء العجم منزلة المتنبى بين شعراء العرب كما يقول رشيد الدين الوطواط ؛ فشعر كل منها من السهل الممتنع ، الجزل اللفظ ، الغزير المعنى ، الخالى من التكلف .

وقد أجاد الفرخى المدح ، والغزل ، ووصف مظاهر الطبيعة . وشعره مليء بالتشبيهات المستملحة ، والاستعارات البديعة .

اتصل بالسلطان محمود ومدحه ، كما مدح كثيراً من أمراء عصره ، وفى مقدمتهم السلطان محمد بن محمود الغزنوى وأبو المظفر الجغانى ، والأمير الكبير أبو المظفر بن الأمير نصر بن ناصر الدين والى بلخ فى عهد السلطان محمود .

ويعد الفرخى منقطع النظير فى إجادة فنون البلاغة والفصاحة والنقد الأدبى ، ومن مؤلفاته « ترجمان البلاغة ، وصنایع الشعر » الذى كان — فى رأى العلامة براون — مرجع رشيد الدين الوطواط حين ألف كتابه « حديقة السحر » .

وكثيراً ما يستشهد الأدباء بشعر الفرخى ويثنون عليه ، ويروى دولتشاه أن ديوان الفرخى كان فى عصره (القرن التاسع الهجرى) معروفاً حتى فى بلاد ما وراء النهر ، أما فى خراسان فكان غير معروف . ويقال ابن ديوانه حوى نحو

تسعة آلاف بيت من قصائد وقطع وغزليات ورباعيات .
ويروى العوفي والجامي أن هذا الشاعر — بعد أن جمع مالا وافراً من
صناعة الشعر أيام السلطان محمود — سافر إلى سمرقند للاستمتاع بها ، ولكن
قطاع الطريق اعترضوا طريقه على مقربة من سمرقند ، ونهبوا جميع ما كان معه من
مال ، ودخل سمرقند صفر اليدين ، ولما اختل أمره وساءت حاله عاش في سمرقند
متتكرراً بضعة أيام ثم عاد .

وقد سجل مدى تأثيره من هذا الحادث بقوله (١) :

(١) همه نعيم سمرقند سر بسر ديدم

نظاره كروم درباغ ووادی ودشت

(٢) چون بود کیسه وجیب من ازورم خالی

لم زحّن أمل فرش خرمی بنوشت

(٣) بسی آزا هل هنر بارها بهر شهری

شنیده بودم کوثر یکیست وجنت هشت

(١) لباب الألباب ٤٨ / ٢

(١) راغ : مرج = رأيت نعيم سمرقند من أوله إلى آخره . وأطلت النظر في
الحقائق والمروج والوديان والسهول .

(٢) نوشتن : الطي = ولما صار كيسى وجيبى خاليين من المال طوى قلبي
فرش السعادة من صحن الأمل .

(٣) قد كنت سمعت كثيراً من أهل الفضل عدة مرات « يقولون » — في
كل مدينة — « إن » الكوثر واحد والجنت ثمان .

(۴) هزار کوثر دیدم هزار جنت بیشی

ولی چه سود که لب تشنه باز خواهم گشت

(۵) جودیده نعمت بیند بکف درم نبود

سری بریده بود در میان زرین طشت

وكانت وفاة الفرخی سنة ۳۲۹ هـ فی عهد السلطان شهاب الدین مودود بن

مسعود بن محمود یمین الدولة ۴۲۱ — ۴۳۲ .

* * *

وفی نشأة الفرخی وظهور أمره يقول النظامی العروسی السمرقندی فی

کتابه چهار مقاله^(۶) (تم تألیفه حوالی سنة ۵۵۰ هـ) .

«كان الفرخی من أهالی سیستان ، وهو ابن جولوغ مولی الأمير خلف بانو^(۷)

وكان شاعراً نابغة ذا مواهب بلغت من السمو غاية ، نظم الشعر ، وأجاد الضرب

على الرباب . وكان يشتغل بالزراعة فی خدمة أحد دهاقین سیستان فی نظیر ألف

(۴) «ولکنی» رأیت ألف کوثر وألف جنة بل أكثر . ولكن ما الفائدة ؟

فانی سوف أعود (من هذه الدیار) ظمان الشفتین .

(۵) حينما ترى العين النعيم وليس فی اليد مال فذلك كرأس منفصلة على الجسد

(مقطوعة) وضعت فی وسط طست من الذهب .

(۶) راجع هذا الکتاب ص ۳۶ وما بعدها .

(۷) هو أبو أحمد خلف بن أحمد بن محمد بن خلف بن الليث الصفاری . وبانو

هذه أمه ، وكان هذا الأمير من محبی العلم والأدب تولى إمارة سیستان إلى أن

استولى عليها السلطان محمود الغزنوی سنة ۳۹۳ هـ وتوفی سنة ۳۹۹ هـ

رطل من الحب ومائة درهم نوحى من الفضة (كل عام) . وكان هذا الأجر السنوى ينفى بحاجته فى أول الأمر ، ولكنه تزوج امرأة من بنى خلف فزادت نفقاته ، وما زال يسرف فى الإنفاق ويبعث أمواله ذات اليمين وذات الشمال حتى صار فقيراً معدماً ، ولم يكن هناك من يلجأ إليه لإسعافه سوى مواليه من بنى خلف ، فاضطر أن يرفع أمره إلى الدهقان سيده ، فرفع إليه شكوى يقول فيها : إن نفقاتى قد زادت ، ولا وسيلة لخروجى من هذا الضيق إلا أن يتفضل الدهقان بما عرق عنه من كرم فيزيد فى دخلى ، فيجعله خمسمائة وألف رطل من الحب وخمسين ومائة درهم من الفضة ؛ كى يكون أجرى كافياً لنفقاتى . فأجابه الدهقان إلى طلبه ، ووقع على الطلب فقال : « لن تحرم هذا القدر ولكن لا أمل فى زيادة بعد » .

« رأى الفرخى ذلك فأدركه اليأس ، وأخذ يتنسم الأخبار من الرأى والغادى ، عليه يسمع عن سيد من السادات فى أى جهة من الجهات ، ليلجأ إليه ويصيب خيراً على يديه . وأخيراً استدل على الأمير أبو المظفر الجغانى ^(١) الذى يقرب إليه هذا النوع من المحتاجين ، ويصلهم بالوافر من ماله ، وينعم عليهم بالجوائز الفاخرة ، وليس له ضريع فى ميدان الكرم والجود » .

« سمع الفرخى ذلك فأسرع إلى نظم قصيدة فى مدح هذا الأمير ، ووطد العزم على التوجه إليه ، ومطلع هذه القصيدة :

(١) هو أبو المظفر أحمد بن محمد من آل محتاج الذين تولوا إمارة چغانيان فى القرن الرابع الهجرى . وچغانيان جزء من مقاطعة سمرقند كما قلنا من قبل . وأسرة آل محتاج من أشهر الأسر التى كان لها شأن عظيم فى بلاد ماوراء النهر فى عهد الدولتين السامانية والغزنوية . ولها تاريخ مجيد ذكر العلامة محمد عبد الوهاب القزوينى طرفاً منه فى حواشى كتاب چهارمقاله ص ١٦٣ وما بعدها .

باكاروان حله برقم ز سيستان . باحله تنيده ز دل بافته زجان^(١)
وهى قصيدة حسنة السبك وصف فيها الفرخى فن الشعر وصفاً بلغ غاية
الجمال ، وضمنها مدح الأمير مدحاً عديم المثال .

« ثم إنه تأهب للرحيل وولى وجهه نحو چغانيان . ولما وصل إلى دار الملك كان
الربيع قد أقبل ، وذهب الأمير إلى الموسم (داغگاه) أى المكان الذى توسم
فيه الماشية » .

(١) تنيده = غزلت نسجت .

ومعنى البيت : ذهبت من سيستان مع قافلة الحلة (حيث يقيم الأمير) ومعى حلة غزلت
من القلب ونسجت من الروح .

ويلى هذا البيت قوله : (حواشى چهار مقالة ص ١٦٦)

(١) باحله فريشم تركيب أو سخن

(٢) هرتارا ورنج برآ ورده از ضمير

(٣) نه حله كز آب مهورا رسد گزند

(٤) نه رنگ او تباہ كند تربت زمين

(٥) تا نقش كرد بر سر هر نقش بر نوشت

(٦) بن أحمد محمد شاه جهان بناه

= (١) بحلة حرير مصنوعة من الكلام

(٢) كل لحتها متزع بعناء من القلب

(٣) حلة لا يصل إليها من الماء أذى

(٤) لا يفسد لونها تراب الأرض

(٥) ما نقش (نقاش) إلا وكتب فوق كل نقش

مدح أبى المظفر ملك چغانيان

(٦) هو محمد بن أحمد الملك ملجأ أهل العالم

ذلك الأمير القابض على زمام المملكة المستولى على عرش البلاد

فريشم = ريشم — أبريشم — أبريشم آبريشم — بريشم فريشم — أفريشم =
بالعربية : إبريشم .

يقول النظامي : « بلغنى أن الأمير المظفر كان يملك ثمانية عشر ألفاً من الأفراس التى تقتنى للنسل يتبع كلا منها وليدها ، وكان من عاداته أن يذهب كل عام إلى الموسم ، ويأمر بوسم هذه الدواب » .

« كان الأمير حينئذ بالموسم ، وكان عميد حشمه المسمى : أسعد يعد الطعام الفاخر ليرسل إلى الأمير ، فتقدم إليه الفرخى وأنشده القصيدة . وكان هذا العميد من فضلاء الرجال يحب الشعراء ، ويقر بهم إليه ، فأدرك ما فى شعر الفرخى من طلاوة وغذوبة ورقة فن ، ولكنه نظر إلى الشاعر فوجده سكرى ^(١) المنظر عديم الهندام ، جبته ممزقة من الأمام والخلف ، ولقد لبس عمامة كبيرة ، وحذاء فى غاية القبح ، بيد أن شعره قد بلغ من الجودة أعلى عليين ، فلم يعتقد أن هذا الشعر الرفيع من نظم ذلك السكرى الوضع » .

« فقال له على سبيل الاختبار ، « إن الأمير بموسم الدواب الآن ، وإني ذاهب إليه وسأخذك معى إلى الموسم ، وإنه لموسم عظيم فى مكان يسر الناظرين ، وسترى هنالك أرضاً خضراء فى أرض خضراء ، قد ملئت خياماً بهامصاييح منيرة كالنجوم الزاهرة ، تنبعث من كل خيمة أصوات الناي ونغمات الرباب ، وهناك يجلس الأحبة والصحاب يحتسون الخمر ، وينعمون بملذات الحياة ، وبحضرة الأمير نار موقدة يرتفع لهيبها إلى السماء كشامخ الجبال ، والأفلاء من حولها توسم ، والأمير جالس بإحدى يديه كأس الشراب وبالأخرى يهب ويهدى للأصدقاء من تلك الأفلاء . فانظم الليلة قصيده تناسب المقام ، وصف مكان الموسم وما به كى آخذك

(١) أى يشبه السكرين سكان سكر ، وهو جبل فى زابلستان عرف أهله بعدم الاهتمام بالملبس .

معى غداً لتحتظى ببقاء الأمير .

« صدع الفرخى بالأمر ، وقضى سواد ليله فى نظم القصيدة المطلوبة (التي سميت داغگاه) فجاءت غاية فى الجودة . ولما أصبح الصباح توجه إلى العميد أسعد وعرض عليه القصيدة ومطلعها :

(١) چون پرندِ نیلگون بر روی پوشد مرغزار
پرنيانِ هفت رنگ اندر سر آرد كوهسار
وفيهما يقول :

(٢) خاك را چون نافِ آهو مشك زايد بى قياس
بيد را چون پَرِ طوطى برگ رويد بى شمار
(٣) دوش وقت صبحدم بوى بهار آورد باد
حبذا بادِ شمال وخرّما بوى بهار

(١) پرند : نوع من الحرير العادى أو المنقوش = حينما لبس سطح المرج «حلة» من الحرير النيلي اللون زينت قمم الجبال رءوسها «بجمل من الدمقس» ذى الألوان السبعة .

(٢) وتنبعث من الأرض رائحة مسكية كرائحة مسك الغزال لا نظير لها . وينمو ورق الصفصاف مثل ريش البغواء إلى حد يفوق الوصف . ناف : كيس المسك . وهو فى الأصل الصرة أو الوسط .

(٣) دوش : ليلة أمس ، صبحدم : تنفس الصباح . وفى رواية أخرى : نيم شب : فى نصف الليل . وآتى النسيم سحرأً (أو نصف الليل) ليلة أمس بأنفاس الربيع ، فحبذا ريح الشمال ومرحباً بأنفاس الربيع .

- (۴) بادگوئی مشکِ سوده دارد اندر آستین
 باغ گوئی لعبتانِ جلوه دارد برکنار
 (۵) نَسْتَرَن لؤلؤی بیضا دارد اندر مُرْسَلَه
 ارغوان لعلِ بدخشی دارد اندر گوشوار
 (۶) تا برآمد جامهای سرخ مُل برشاخِ گل
 پنجهای دست مردم سر فرو کرد از چنار
 (۷) باغ بو قلمون لباس و شاخ بو قلمون نمای
 آب مروارید گون وابر مروارید بار

- (۴) وَكأنما النسيم قد حمل في أردانه المسك المدقوق . وكأن الرياض قد ضمت
 إلى أحضانها عرائس الفرج ودماء .
 (۵) نَسْتَرَن : النرجس . مُرْسَلَه : العقد المرسل حول الجيد . بدخش :
 اسم إقليم بين الهند وخراسان مشهور بياقوتة الكبير الحجم . گوشوار : القرط .
 ارغوان : شجر زهره وثمره أحمر جميل . ومعنى البيت : ولبس النرجس عقوداً
 من اللؤلؤ الأبيض ، والأرغوان أقراطاً من الياقوت البدخشي الكبير الحجم .
 (۶) مُل : الخمر أو أى شراب روحى . والكثرى . چنار : شجر الجيز . والمعنى
 ولما نبتت على فروع شجر الورد كؤوس حمراء مخمرة اللون تدلت من شجر
 الجيز أوراق خماسية الأطراف كأنها أيدي بنى الإنسان الخماسية الأصابع (أى
 كأنها تريد أن تمسك بتلك الكؤوس) .
 (۷) بو قلمون : متعدد الألوان . مروارید : اللؤلؤ . والمعنى : وقد كسيت
 الحقائق حللاً ذات ألوان ، وازدهرت فروع الأشجار بألوان الزهور المختلفة ،
 وجرى الماء حولنا لؤلؤى اللون ، وسار السحاب من فوق كأنما يحمل اللؤلؤ .

(۸) راست پنداری که خلعتهای رنگین یافتند

باغهای پر نگار از داغگاه شهریار

(۹) داغگاه شهریار اکنون چنان خرم بود

کاندرو از خرمی خیره بماند روزگار

(۱۰) سبزه اندر سبزه بینی چون سپهر اندر سپهر

خیمه اندر خیمه بینی چون حصار اندر حصار

(۱۱) هرکجا خیمه است خفته عاشقی بادوست مست

هرکجا سبزه است شادان یاری از دیدار یار

(۱۲) سبزه ها پر بانگ چنگ و مطربان چرب دست

خیمه ها بابانگ نوش و ساقیان میگسار

(۸) ويحقق لك أن تتصور أن الحقائق المملوءة بالصور والمناظر الجميلة قد

لبست خلعا ذات ألوان « مهداة إليها » من موسم الأمير .

(۹) وإن موسم الأمير قد صار فرحا مستبشراً حتى صار الزمان في حيرة من

فرحه واستبشاره .

(۱۰) وإنك لترى (هنالك) خضرة تحيط بها خضرة كفلك من الأفلاك

يحيط به فلك آخر ، وترى خيمة من بعد خيمة كما ترى حصناً من بعد حصن . وفي

رواية أخرى : بيني چون سيمين حصار : مثل حصن من الفضة .

(۱۱) وحيثما توجد خيمة يوجد عاشق نائم مع صديق ثمل ، وحيثما توجد

خضرة تجد حبيباً فرحاً برؤية حبيبته .

(۱۲) أما كن خضراء تملؤها نغمات الناي وألحان المطربين المهرة في العزف ،

وخيام ينبعث منها صوت (انصباب) الشراب ، وبها السقاة ساكبو الخمر .

(۱۳) عاشقان بوس و کنار و نیکوان ناز و عتاب

مطربان رود و سرُود و خفتگان خواب و خمار

(۱۴) بر در پرده سرای خسرو پیزوز بخت

از پی داغ آتشی افروخته خورشید وار

(۱۵) برکشیده آتشی چون مِطَرِدِ دیبای زرد

گرم چون طبع جوان وزرد چو زرعیار

(۱۶) داغها چون شاخهای بُسَدِ یاقوت رنگ

هریکی چون نار دانه گشته اندر زیر نار

(۱۷) بُردگانِ خواب نادیده مصاف اندر مصاف

مرکبانِ داغ نا کرده قطار اندر قطار

(۱۳) فمن العاشقين التقبیل والعناق ، ومن الحسان الدلال والعتاب . ومن

المطربین الغناء ولحن الرباب ، ومن النائمین النوم وفعل الشراب .

(۱۴) وقد أوقدت للوسم نار كالشمس أمام باب سراي الملك السعيد المؤزر .

(۱۵) نار متصاعدة الذهب كأنها علم من الديباج الأصفر ، لها من الحرارة

ما لطبع الشباب ، ومن الصفرة ما للذهب الحر « المذاب » .

(۱۶) ومیاسم یاقوتیة كفروع المرجان ، كل واحد منها یصیر وهو فی النار

أحمر كأنه حبة رمان .

(۱۷) بردگان : عبید ، مفرده : برده . وغللمان مصطفون صفاً من وراء

صف لم تر النوم أعینهم ، وجیاد لم توسم واقفة قطاراً من وراء قطار .

(۱۸) خسرو فرخ سیر بر باره دریا گذر

با کمندر اندر میان دشت چون اسفندیار

(۱۹) همچو زلفِ دلبران خُرد ساله تاب خورد

همچو عهدِ دوستانِ سانخورده استوار

(۲۰) میر عادل بو المظفر شاه بایوستانگان

شهریار شیر گیر و پادشاه شهردار

(۲۱) ازدها کردار پیچان در کفِ رادش کمند

چون عصای موسوی در دست موسی گشته مار

(۲۲) هر کرا اندر کمند شصت بازی در فگند

گشت نامش بر سرین و شانه و رویش نگار

(۱۸) والامیر المبارک السیره علی جواد (باره) يخوض لجج البحار ، ويیده

الوهق . و كأنه وهو في قلب السهل البطل اسفندیار .

(۱۹) « وهق » له من الطيات الصغيرة ما لحصل الشعر الملتوية في رءوس

صغار الحسان جاذبات القلوب ، ومن المتانة ما للميثاق بين قدامى الأصدقاء .

(۲۰) والامير العادل أبو المظفر شاه مع حاشيته ، ملك شجاع وإمبراطور

فاتح منتصر . شیر کیر = من يقتنص الأسد .

(۲۱) وفي يده الماهرة يتلوى الوهق كما تتلوى الأفعى ، كأنه عصا موسى

التي صارت في يد موسى حية تسعى .

(۲۲) وكل ما يقع صيداً في شرك الوهق يصير (صار) اسم الأمير سمّة

(نكار) على كتفه وعجزه ووجهه .

(٢٣) هرچه زين سو داغ كرد از سوى ديگر هديه داد

شاعران را بالگام و زياران را بافسار^(٢٤)

سمع العميد أسعد هذه القصيدة فبهت ؛ إذ لم يطرق أذنه مثل هذا الكلام من قبل ، فترك جميع أعماله وأخذ الفرخى معه وتوجه نحو الأمير . وفى وقت الأصيل تقدم إلى الأمير وقال له : أيها السيد ! لقد أتيت إليك بشاعر لم ير أحد مثله منذ غرب وجه الدقيقى فى أطباق الثرى . » ثم قص عليه القصة التى رويناها ، فاستدعى الأمير الفرخى للمشول بين يديه ، ففعل وقام بواجب التحية ، فمد الأمير إليه يده وحياه ، وعين له مجلساً لائقاً ، وأخذ يتلطف معه فى السؤال ، ويعطف عليه فى الحديث ، حتى قوى فى نفسه الأمل . و بعد أن دارت كؤوس الشراب بين الحاضرين عدة مرات نهض الفرخى وأخذ ينشد بصوته الشجى الرخيم قصيدته الأولى التى مطلعها :

با كاروان حله رقىم ز سيستان

فلما انتهى من إنشادها أعجب بها الأمير أيما إعجاب ؛ فقد كان هو نفسه يقدر الشعر وينظم القصائد ، وحينئذ قال العميد : « مهلا يا مولاي فستسمع ما هو خير من هذه القصيدة . » بعد ذلك سكنت الفرخى وانتظر حتى أخذ السكر من الأمير كل مأخذ فنهض ، وأخذ ينشد قصيدته الثانية المسماة « داغگاه » بأسلوبه المؤثر الجذاب ، وسمعها الأمير فاعتزته نشوة فيها دهشة ، وفيما هو طرب نشوان

(٢٣) وكل ما وسم من ناحية يقدم هدية من الأخرى ، فلا شعراء ما ألجم (الخليل) ولزارين ما له زمام (كالضأن) .

(٢٤) انظر ترجمة چهار مقاله لبراون ص ٤١ وما بعدها .

هزته أريحية الكرم ، فتوجه إلى الفرخى وقال له . قد جىء هنا بألف رأس كلها من الأفلاء الغرّ المحجلة ، وهى ختمية النوع ، وهذه السبيل أمامك سهلة ميسرة ، وأنت رجل مكابر فكل ما تستطيع يدك أن تقع عليه من هذه الأفلاء فخذفه فهو لك .

كان الشراب قد لعب برأس الفرخى غاية اللعب ، وأثر فى نفسه بالغ التأثير ، فخرج لوقته مسرعا ، وخلع عمامته من فوق رأسه ، وانطلق يجرى بين قطعان الدواب ، فساق أمامه قطيعاً منها ، وخرج به إلى السهل . ثم ساق عدداً عظيماً آخر من الدواب ذات اليمين وذات الشمال ، وفى كل جهة من الجهات ، ولكنها تشتت فلم يظفر بواحد منها .

وفى النهاية ظهر للأفلاء رباط مهدم على مقربة من أحد المعسكرات فأوت إليه ، ولحق بها الفرخى ، وهنالك حل به التعب الشديد ، فاضطجع فى دهليز الرباط ، متوسداً عمامته ، فأخذته سنة من النوم من شدة التعب وفعل الشراب .

وعُدت الدواب فكلنت اثنين وأربعين رأساً . وعلم الأمير بالحادث فاشتد به العجب ، وطفق يضحك ثم قال : « إن هذا الرجل سعيد وسيظهر أمره ، فعليكم بالمحافضة عليه وعلى الأفلاء . وحينما يهب من سباته فأخبرونى . » فصدعوا بالأمر . ولما كان الغد هب الفرخى من نومه عند طلوع الشمس فاستدعى للقاء الأمير ، وكان قد هب من نومه أيضاً . وبعد أن أدى الصلاة جلس لاستقبال الرعية ، ودخل عليه الفرخى فكرمه واحتفى به ، وأمر أن يمنح تلك الدواب والمشرفين عليها ، وأن يوهب له جواد لائق معدٌّ بعدته الخاصة ، وأن يعطى خيمتين وثلاثة بغال ، وخمسة من العبيد ، بوملابس وسجادة فاخرة .

حينئذ ظهر أمر الفرخى وظل فى رعاية الأمير يعيش عيشة تحمل ورفاهية .
ومن ثم رحل إلى غزنة ، والتحق بحضرة السلطان يمين الدولة محمود الغزنوى ،
ورآه السلطان متجملاً تبدو عليه آثار النعمة فرمقه بعين رعايته ، وأنزله المنزلة اللائقة
به ، وهنالك علا شأنه ، وذاعت شهرته ، وعظم جاهه ، حتى إنه كان إذا سار ركب
خلفه ثلاثون من الغلمان — وقد شددت خياصرهم بأحزمة من الفضة .

ولكن كل نعيم إلى زوال ؛ فقد نهب كل ما كان لهذا الشاعر من متاع ومال
فى أثناء رحلته إلى سمرقند كما علمت .

ويبدو أن العمر قد امتد به ولم يحظ بصديق وفى ، يدل على ذلك قوله —
وهو من جيد رباعياته :

(١) تاكى در طلب دوست همى بشتابم

عمرم بگراں رسيد ومن در خوابم

(٢) گيرم كه وصالِ دوست خواهم يافت

اين عمر گذشته را كجا در يا بيم^(٣)

ومن رباعياته فى الغزل قوله :

(١) حتى متى أسمى جاداً فى طلب الصديق (الوفى)

قد اقترب عمرى من النهاية ولا أزال أعطى فى النوم

(٢) ولأفرض أنى سأحظى بوصول الصديق

فأين أجد هذا العمر المنصرم

٣ — قد اخترنا معظم ما ذكرنا من شعر الفرخى من كتاب لباب الألباب

(۱) خط آوردی ، رواست ، ای روی چوماه

خوشت گشتی از آنچه بودی صـداره

(۲) وز آرزوی حظّ تو خوابان سپاه

برروی همی گشند خطهای سیاه

ومن خیند عزله قوله :

(۳) بر وعده مراشکیم فرمائی تاکی کنم ای صنم شکیمیائی ؟

(۴) ازبهر سه بوسه مستمندی را خواهی که سه سال صبر فرمائی ؟

(۵) راز دل خویش با تو بگشادم باشد که برین رهی بیخشائی ؟

(۶) بربرگ سُمن بمشک بنبشتی تا راز مرا بخلق بنمائی

(۱) رسمت خطا (زججت الحواجب) یا ذات الوجه المشابه للبدر ، وهذا حسن مباح . لقد صرت أحسن مما كنت (من قبل) مائة مرة .

(۲) ورغبة فی الوصول إلى حظک رسم حسان (شبان) الجيش خطوطا سوداء علی وجوههم ؟

(۳) تأمریننی بالصبر علی الوعد (بالوصل) . فختام أصبر أيها الصنم (المعبود) ؟

(۴) أمن أجل ثلاث قبلات تودین أن تأمری المسکین (المعنی فی حبک) بالصبر ثلاث سنوات ؟

(۵) قد أفشیت لك سر قلبي ، فهل یمكن (یکون) أن تمنحینی طریقا (إلی وصلک) علی هذا الأساس ؟

(۶) لقد سطرت (أسراری) علی أوراق الیاسمین المعطرة بمداد من المسک کی تذیع أسراری بین الناس .

(۷) بد مهر بُتی و سنگ دل یاری لیکن چو دل و چو دیده دریائی
وَمَا نَظَّمَهُ فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ الْغَزْنَوی قَوْلُهُ :

(۱) شاه زاولستان محمود غازی سرگردن کشان هفت کشور

(۲) بنیزه کرکدن را بر کند شاخ بزوپین بشکند سیمرغ را پر

وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةِ اتَّحَدَتْ فِيهَا أَوَائِلُ الْأَبْيَاتِ مَعَ أَوَاخِرِهَا فِي اللَّفْظِ :

(۱) پار آن اثر مُشک تبودست بدیدار امسال دمید آنچه همی خواسته ام پار

(۲) عطار شد آن عارض و آن خط سیه عطر

هم عاشق عطر من وهم عاشق عطار

(۷) إِنَّكَ صَنَمٌ (مَحْبُوبَةٌ) سَيِّئَةُ الْحُبِّ (لَا تَقَابِلِينَ الْحُبَّ بِمِثْلِهِ) وَصَدِيقَةُ
حَجَرِيَّةٍ (قَاسِيَةٍ) الْقَلْبِ ، وَلَكِنَّكَ بَحْرٌ (مَقْدَسَةٌ مَحْبُوبَةٌ صَافِيَةُ الرُّوحَانِيَّةِ) مِثْلُ
الْقَلْبِ وَمِثْلُ الْعَيْنِ .

(۱) سر = سید = غالب = قاهر . گردن کش : عاص متمرّد . کشور :
إقْلِيم = مَمْلَكَةٌ : (هو) ملك زابلستان محمود الغازی — قاهر العصاة (في) الأقاليم
السبعة .

(۲) نیزه : الرمح . زوپین : رمح ذو حدین . ومعنی البيت : یحِثُّ (یقطع)
أَطْرَافَ الْکَرْدَنِ بِرَمْحِهِ ، وَيَكْسِرُ أَجْنَحَةَ الرِّخِّ بِحَرْبَتِهِ .

(۱) پار : حتی الآن = العام الماضي : لم يقع في مجال الإبصار ذلك الخط
المسكى حتى الآن . وما كنت أرجوه في العام الماضي قد ازدهر وتفتح عن نوره
هذا العام .

(۲) قد صار ذلك العارض عطاراً (ينبعث منه العطر) وصار ذلك الخط
الأسود عطرا — وإني لعاشق العطر والعطار معا .

- (۳) بسیار دعا کردم کین روز به بینم این روز بدیدم زدعا کردن بسیار
 (۴) بارغم وانديشه همه زين دل برخاست
 تاشك ســـــیه دیدم کافور ترا بار
 (۵) کار من وتو ساخته بود ست ونبودست
 امروز بکام دل ما گشت هـــــمه کار
 (۶) گفتار نبود ست میان من وتو هیچ
 وربود بیکبار بیستی در گفتار
 (۷) هموار دل بُرده من کام توجُستست
 چونانك جهان کام ملك جوید هموار

- (۳) كثيراً ما كنت أدعو (أرجو) أن أرى هذا اليوم — وقد رأيت هذا اليوم (الآن) نتيجة لكثرة الدعاء (الرجاء) .
 (۴) کافور ترابار = مشك سیه کافور بار ترا . ومعنی البيت : قد زال عنی عبء الغم والتفكير كله من قلبي حين رأيت مسكك الأسود المخلوط بالكافور .
 (۵) كان عملي وعملك (رغبتی ورغبتك) قد تم أو لم يتم « فيما مضى » أما الآن (اليوم) فقد صارت جميع الأعمال مطابقة لرغبة قلوبنا .
 (۶) لم يكن بيني وبينك حديث مطلقاً (فيما مضى) — وإذا كان ؛ فقد كنت تغلقين باب الحديث جملة (أما الآن فقد تبدلت الحال) .
 (۷) قد كانت رغبتك تسعى دائماً في « امتلاك » قلبي المعذب — كما أن إرادة المليك تسعى دائماً في « امتلاك » العالم = قد كان هدفك دائماً اقتناص قلبي المعنى — كما أن هدف الملك على الدوام أن يمتلك العالم .

(۱۸) سالار زمان فخر جهانداران محمود آن شه که چو جم دارد صد حاجب سالار
ومما نظمه فی مدح الأمير محمد بن محمود بن سبکتگین قوله : (وهو من
المنظرات الشعرية) :

(۱) گفتم : مراسم بوسه ده ای شمسه بُتان

گفتا : زحور تو بوسه نیابی درین جهان

(۲) گفتم : زبهر بوسه جهانی دگر نخواه

گفتا : بهشت را نتوان یافت رایگان

(۳) گفتم : که کوز کرد مرا قدت ای رفیق

گفتا : رفیق تیر نباشد مگر کان

(۴) گفتم : همی ترا نتوان دید ماه ماه ! ؟

گفتا : ستاره گم نتوان کرد ز آسمان

(۱۸) « هو » محمود زعيم العصر نحر الملوك — ذلك الملك الذي له مائة
حاجب من القواد مثل جمشيد .

(۱) قلت « أعطني ثلاث قبلات ياشمسا » الجميلات . فقالت : لن تحظى
بقبلة من الحور في هذا العالم .

(۲) قلت : لا تطمئني في انتقالی إلى عالم آخر من أجل قبلة . فقالت :
لا يحظى أحد بالجنة بدون مقابل .

(۳) فقلت : قد أحنى ظهري قوامك أيتها الرفيقة . فقالت : لا يرافق
السهم إلا القوس .

(۴) قلت : ألا يستطيع أحد أن يراك يا قمر الشهر ؟ فقالت لا يستطيع
أحد أن يضيع من السماء كوكباً .

(۵) گفتم : ستاره نیست نگارا سرشکهاست

گفتا : سرشك نتوان چیدن از رخان ؟

(۶) گفتم : زآب دیده من روی تازه

گفتا : زآب تازه توان داشت بوستان

(۷) گفتم : بروی روشن توروى برنهم ؟

گفتا : نه کآب را ببرد رنگ زعفران

(۸) گفتم : مرا فراق تو ای دوست پیر کرد

گفتا : شوى بخدمت شاه جهان جوان

(۹) گفتم : ملك مؤيد مسعود کا مکار ؟

گفتا : ملك محمد محمود کامران (۱۰)

(۵) ققلت . ليس هناك حجاب أيتها الجميلة « الصورة » بل هناك دموع

فقلت : ألا يستطيع أحد أن يمسخ (يجمع) الدموع من الحدود .

(۶) لقد صرت نضره الوجهه من « شرب » دموع عيني . فقلت : لا عجب

فمن الماء يجعل البستان نضراً .

(۷) قلت : هل لى أن أضع وجهى على وجهك المشرق ؟ فقلت : لا ؛

خشية أن يختلط لون وجهك الأصفر الزعفرانى بلون وجهى الأحمر فيذهب بجمرة .

(۸) قد أشابنى بعدك عنى أيتها الصديقة . فقلت : ينبغى أن تصير فتى

بخدمه ملك العالم .

(۹) قلت (أتعنين) الملك المؤيد المسعود المظفر ؟ فقلت : هو الملك محمد

ابن محمود السعيد .

وقوله :

- (۱) چهار چیز گزین بود خسروانرا کار
نشاط کردن چوگان و بزم و رزم و شکار
(۲) ملك محمد محمود آمد و بفزود
بر آن چهار بتوفیق کردگار چهار
(۳) نگاهداشتن عهد و برکشیدن حق
بزرگ داشتن دین و راستی گفتار

۶- الأسدی الطوسی

هو أبو نصر أحمد بن منصور الأسدی الطوسی:
یروی دولت‌شاه السمرقندی فی کتابه تذکرة الشعراء^(۴) عن هذا الشاعر ما ترجمته.
هو من جملة المتقدمين من الشعراء ، وكان ذا طبع سليم وذهن مستقیم ، و يُعدُّ

- (۱) قد كان الملوك « السابقين » أربعة أشياء اختاروها أعمالا « لهم »
وهی: (۱) النشاط فی اللعب بالصولجان ، و (۲) الاهتمام بالمائدة ، و (۳) الشجاعة
فی الحرب ، و (۴) الولع بالصید .
(۲) وجاء الملك محمد بن محمود فزاد علی هذه الأربعة أربعة « أخرى » بتوفیق
« الملك » الجبار .
(۳) وهذه الأربعة هی: (۱) الوفاء بالعهد ، و (۲) إعلاء شأن الحق ، و (۳) إكبار
الدین ، و (۴) قول الصدق .
(۴) : ص ۳۵ وما بعدها

الفردوسى الطوسى تلميذا له . وقد كان زعيما لشعراء خراسان فى عهد السلطان محمود الغزنوى ، وقد طلب إليه عدة مرات أن ينظم الشاهنامة ، ولكنه كان يطلب إعفاء من هذا العمل معتذراً بكبر سنه وضعفه ، وليس ديوانه معروفاً الآن ، ولكننا نجد أشعاره مسطورة فى المختارات الشعرية ، وإليه ينسب نظم كتاب « كرشاسب نامه ^(١) » على وزن الشاهنامة . وقد نظم عدة مناظرات شعرية فأبدع سبكها . ويؤخذ من أسلوبه الشعرى أنه كان رجلاً فاضلاً .

وقد كان دائماً يشير على الفردوسى بنظم الشاهنامة ، ويقول له : إن هذا العمل سوف يتم على يديك . ويحكى أن الفردوسى حينما فر هارباً من غزنة أتى إلى طوس ، ومن ثم ذهب إلى رستمدر ، ثم عاد إلى وطنه المألوف بعد أن قضى مدة برستمدر وطالقان .

وحين اقتربت وفاته فى أثناء إقامته بوطنه طلب الأسدى وقال له : « أيها الأستاذ : إن وقت الرحيل عن هذا العالم قد اقترب ، وقد بقى قليل من الشاهنامة ، وأخشى حين أرحل من هذا الكون ألا يقوى أحد على أن ينظم باقى الشاهنامة . » فقال الأستاذ : « لا تغتم يابنى : فإذا كتبت لى الحياة من بعدك فسأتم هذا العمل . » فقال الفردوسى : « أيها الأستاذ ! إنك شيخ كبير فمن المشكوك فيه أن يتم هذا العمل على يديك . » فقال الأسدى : « يتم إن شاء الله » .

وخرج الأسدى من عند الفردوسى ، وتفرغ لهذا العمل سواد ليله وطيلة نهاره حتى موعدا صلاة العصر ، فأتم نظم الأربعة الآلاف بيت الباقية من الشاهنامة — ولم يزل

(١) المحقق أن هذا الكتاب من نظم الأسدى « الصغير » ابن هذا الأسدى الذى يوصف « بالكبير » .

الفردوسى على قيد الحياة ؛ لأنه اطلع على مسودة تلك الأبيات وأثنى على استقامة تفكير أستاذه ^(١) .

وتوجد هذه المنظومة فى نهاية الشاهنامه ، وتبدأ بالكلام على بداية استيلاء العرب على بلاد العجم ، وتشمل قدوم المغيرة بن شعبه لمحاربة يزيد جرد شهر يار ، وحرب سعد بن أبى وقاص مع ملوك العجم ، وبذلك ينتهى كتاب الشاهنامه . ويرى الفضلاء أنه من الممكن أن يعلم بالفراصة حيث انتهى نظم الفردوسى وبدأ نظم الأسدى .

وقد برع الأسدى فى نظم المناظرات الشعرية ، والمعروف أنه نظم المناظرات الخمس الآتية وهى :

(١) بين العرب والفرس ^(٢) (٢) بين السماء والأرض

(٣) بين الرمح والقوس (٤) بين الليل والنهار (٥) بين مسلم ومجوسى .
ويروى دولتشاه أن الاهتمام بالمناظرات الشعرية قد قل فى عصره أى القرن التاسع الهجرى .

(١) يرجح العلامة بروان عدم صحة هذه الرواية ، ويقول إن الجزء المشار إليه من نظم الفردوسى ، ويستند فى ذلك إلى عبارة كتبها بعض المعلقين على ما ذكره دولتشاه فى نسخة من التذكرة بخط اليد عثر عليها بكيمبرج برقم ADD 831 وإليك ترجمة هذه العبارة :

« إن الفردوسى وحده هو الذى أكمل الشاهنامه ، كما سيذكر المؤلف فى المقالة الخاصة به فيما بعد ، ومن ذلك يظهر أنه لم يشترك أحد آخر فى نظم الشاهنامه ، فإنه بعد أن انتهى من نظمها (فى أول الأمر) نجح فى تدبير حيلة لسحبها من مكتبة الملك (السلطان محمود) وأضاف إليها القصيدة التى نظمها فى هجاء هذا السلطان . فما ذكر هنا مناقض لما ذكر هناك . »
وقد اطلع معلق آخر على هذه العبارة فكتب تحتها نـكـو كفتى = لقد قلت حقا .

راجع كتاب تاريخ أدبى لبلاد فارس ١٤٨ — ٢/١٤٩ .

(٢) يمدح الأسدى فى هذه المناظرة اثنين من أمراء بويه هماشمس الدولة أبو طاهر الهمدانى (٩٩٧ — ١٠٢١ م) ومجد الدولة أبو طالب رستم (٩٩٧ — ١٠٢٩ م) ويغلو فى مدحهما فيشير حنق السلطان محمود عليه لاعترازه بنفسه وغيرته من أمراء هذه الدولة — براون ٢/١٥٢ .

وإليك المناظرة التي نظمها الأسدي بين الليل والنهار^(۱).

(۱) بشنوا زحجت گفتارش شب و روز بهم سرگذشتی که ز دل دور کند شدتِ غم

(۲) هر دورا خاست جدال از سبب بیشی فضل

در میان رفت فراوان سخن از مدحت و ذم

(۳) گفت شب: فضل شب از روز فزون آمد از آنک

روز را باز ز شب کرد خداوند قدم

(۴) نزد یزدان ز پرستنده و از عابد روز

ساجد و عابد شب را ست فزون قدر و قیم

(۵) قوم را سوی مناجات بشب برد کلیم

هم بشب گشت جُدا لوط ز بیداد و ستم

(۱) استمع إلى الجدال الذي حدث بين الليل والنهار ، فإنها قصة تزيل شدة

الغم من قلبك .

(۲) فقد قام بين الاثنين جدال بسبب الأفضلية ، ودار بينهما حديث طويل

من مدح وذم .

(۳) قال الليل : إن الليل أفضل من النهار لأن الله القديم (سبحانه) خلق

النهار بعد الليل .

(۴) ومن يعبد ويسجد لله بالليل أفضل عند الله وأعلى قدراً ممن يعبد

ويسجد بالنهار .

(۵) وقد قاد موسى الحكيم قومه لمناجاة الرب ليلاً كما فر لوط من الظلم

والجور في جنح الليل .

(۱) تجد الأصل بالتذكرة ص ۳۶ — ۳۹ ، والترجمة بالجزء الثاني من كتاب براون

ص ۱۵۰ وما بعدها .

(۶) قمر چرخ بشب کرد محمد بدو نیم

سوی معراج بشب رفت هم از بیت حرم

(۷) هرمهی باشد سی روز و بقرآن شب قدر

بهتر از ماه هراز ست زبس فضل و شیم

(۸) سترپوش است شب وروز نماینده عیب

راحت افزا ست شب وروز فزاینده الم

(۹) هست در روز ز اوقات که نهیست نماز

وز نماز همه شب فخر نبی بود و اُم

(۱۰) منم آن شساه که تخم زمی است ایوان چرخ

مه سپهدار و همه انجم سیاره خَدَم

(۶) وباللیل شق محمد قمر السماء نصفین ، وباللیل أُسری النبی من البیت الحرام

إلى ساحة المعراج .

(۷) فی کل شهر ثلاثون يوماً . وقد ورد فی القرآن : « ليلة القدر خیر من

ألف شهر » ؛ لعظم قدرها وجلال مناقبها .

(۸) واللیل لباس یستر نقائص العباد ، أما اللیل فیظهر عیوبهم ، واللیل

یزید فی راحة الخلق ، والنهار یزید ألمهم .

(۹) وفی النهار أوقات نهی عن الصلاة فیها ، وبالصلاة طول اللیل یتفخر

النبی والأئم .

(۱۰) وإنی ذلک الملک الذی عرشه الأرض ، وإیوانه الفلک ، وقائد جیشہ

القمر ، وخدمه وهشمه النجوم والکواکب .

- (۱۱) هر مه سال عرب را عدد از ماه منست
 بر سر ماه منست از پر جبریل رقم
 (۱۲) بر رخ ماه من آثار درستیت پدید
 بر رخ و چهره خورشید تو آثار سقم
 (۱۳) راست خورشید تو چندا نکه بسالی برود
 کم ز ماهی برود ماه من از کیف وز کم

- (۱۴) روز از شب بشنید این و برآشت و بگفت
 خامشی کن چه دارائی سخن نا محکم
 (۱۵) روز را عیب بطعنه چه کنی کا یزد عرش
 روز را پیش زشب کرد ستایش بقسم

- (۱۱) وبوساطة قمری يعدون أشهر السنة العربية ، وعلى وجه قمری اثر من
 جناح جبریل .
 (۱۲) وتبدو على وجه قمری آثار الصحة والقوة ، أما على وجه شمسك
 وجينها فتبدو آثار السقم والمرض .
 (۱۳) والحق أن ما تقطعه (تجريه) شمسك في عام يقطعه قمری في أقل من
 شهر (نظراً) لكيفه وكه ؟ .
 (۱۴) سمع النهار من الليل هذا الكلام فغضب وقال : اسكت (أيها الليل !)
 كيف يكون منك (هذا) الكلام غير المحكم ؟
 (۱۵) كيف تطعن في النهار وتعييه مع أن إله العرش جعل النهار قبل الليل ،
 وفضله عليه في القسم ؟ . أي في قوله تعالى : (والشمس وضحاها الخ) .

- (۱۶) روزهء خلق که دارند بروز ست همه
بحرم نیز بروز ست حج از رب حرم
(۱۷) عید وآدینه فرخ عرفه عاشورا
همه روز ست چو بینی بهم از عقل وفهم
(۱۸) روز خواهد بود برخاستن خلق بمحشر
روز شد نیز وجود همه مردم زعدم
(۱۹) تو بعاشق نه برنجی وبأطفال نهیب ؟
درتن دیو دلی بر دل بیمار ستم
(۲۰) بوم وخفاش بشب مرغ وسیه جنی ودیو
دزد اکثر همه شب گرد وهمه اهل نهم

- (۱۶) وإن كل ما يؤديه الخلائق من صوم (إنما) يكون بالنهار ، والحج إلى الحرم يكون بالنهار أيضاً (كذا ورد) عن رب الحرم .
(۱۷) والاحتفال بالعيد ، ويوم الجمعة السعيد ، وبالوقوف بعرفة ويوم عاشوراء ، كل هذا يكون بالنهار إذا نظرت بعقلك وفهمك .
(۱۸) وسيكون قيام الخلق إلى الحشر بالنهار ، كما كان إيجاد الناس من العدم بالنهار أيضاً .
(۱۹) ألسنت تؤذى العاشق وتؤلم الأطفال ؟ ألسنت قلباً في جسم الشيطان ، وعبئاً قاسياً ظالماً على قلب المريض .
(۲۰) ويظهر بالليل البوم والخفاش والطيور (المقلقة) والجن الأسود والشيطان ، واللص في الغالب يطوف بالليل — وكل هؤلاء يصيرون ذوى نهم وجشع بالليل .

(۲۱) من بأصل از خور چرخم تو بجنس از دل خاك

من چوتابان ضوء نارم تو چو تاريك فحم

(۲۲) روی آفاق زمن خوبی نماید ز تو زشت

ديده خلق زمن نور فزايد ز تو نم

(۲۳) مر مرا گونهء اسلام و ترا گونهء كفر

مر مرا جامه شاديست ترا جامه غم

(۲۴) تو بچهار از حبشی فخر بحسن از چه کنی ؟

حبشی را چه رسد حسن اگر هست صنم

(۲۵) سپه و خيل نجوم تو چه باشند چه پاك

بگریزند چو خورشید من افراخت علم

(۲۱) إني وليد ضوء الفلك من حيث أصل ، أما أنت فمنبعث من قلب التراب

من حيث جنسك ، وإني مثل ضوء النار المشرق أما فتشبهه الفحم المظلم .

(۲۲) وبسببي يبدو الجمال على وجه الأفق ، وبسببك يظهر القبح على جبين

السماء ، وبسببي تزداد أعين الخلق نوراً ، وبسببك تفيض (تزداد) أعينهم عبرات .

(۲۳) ولى سمة الإسلام (البياض) ولك سمة الكفر (السوداء) ولى لباس

الفرح والسرور ، ولك لباس الغم والحزن .

(۲۴) كيف تفخر بالحسن ووجهك أسود حبشی اللون ؟ وكيف يوصف

الحبشی بالحسن ، ولو كان جميل القد والقوام .

(۲۵) ونجومك (التي هي) جيشك وخيلك ما هي ؟ وما فائدتها ؟ إنها تفر

حينما تنشر شمسی أعلامها .

(۲۶) چه زیان کت به نبی پیش زمن داشت خدای

در نبی نیز هم از پیش سمعیست اصم

(۲۷) «خلق الموت» بخوان گرچه حیات از پس اوست

به زموتست بهر حال حیات آخر هم

(۲۸) گر ز ماه تو شناسند مه وسال عرب

ز آفتابم همه دانند مه وسال عجم

(۲۹) گرچه زرد آمده خورشید هم اوبه زمهست

گرچه زرد آمده دینار هم اوبه زدرم

(۳۰) ماه تو از ضوء خورشید من افزاید نور

وز پی خدمت خورشید کند پشت نجم

(۲۶) وأی ضرر یلحقنی إذا قدمك الله علی فی قرآن الرسول ؟ ففی القرآن

أیضاً نجد الأصم مقدماً علی السميع (هل یستوی الأعمی والبصیر) .

(۲۷) اقرأ قوله وتعالی (خلق الموت والحیة) فمع أن الحیة قد ذكرت بعد

الموت فإن الحیة علی أی حال أفضل من الموت مع أنها متأخرة أیضاً فی الذكر .

(۲۸) وإذا كانت مشهور العرب وسنواتها تعرف بوساطة قمرک فإن مشهور

العجم وسنواتها تعرف بوساطة شمسی .

(۲۹) ومع أن شمسی صفراء اللون فإنها أفضل من القمر ؛ فإن الدینار مع کونه

أصفر اللون یفضل الدرهم رغم بیاض لونه .

(۳۰) وإن قمرک لیزداد نوراً من ضیاء شمسی ، وإنه لیحیی ظهره من أجل

المثل بین یدی الشمس والقیام علی خدمتها .

(۳۱) گرز خورشید سبکتر رود او پیک ویست

پیک البته سبکتر نهد از شاه قدم

(۳۲) از فریضه سه نمازست بر روز و دو شب

ز آن نمازتو کم آمد که زمن هستی کم

(۳۳) و ربقولم نبیدی راضی و خواهی که بود

در میان حکم کنی عدل خداوند حکم

(۳۴) یاپسند آر بگفتارشه عادل راد یا رضاده برئیس الوزرا کان کرم

(۳۵) زاد بو نصر خلیل احمد کرا نصرت وجود

افسرجاه وجلالت و سر ملک ونعم

(۳۱) وإذا كان (القمر) يسير أسرع من الشمس ، فما ذلك إلا لأنه

رسولها ، ومن الضروري أن يكون رسول الملك أسرع منه في السير .

(۳۲) ومن الصلوات المفروضة ثلاث تؤدي بالنهار واثنان تؤديان بالليل فكان

عدد صلواتك قليلاً لأنك أقل مني منزلة .

(۳۳) وإذا لم تكن راضياً بقولي وتريد أن تكون راضياً فاختر حكماً بيننا

يتصف بالعدل والحكم .

(۳۴) فإما أن تتقبل حكم الملك العادل النبيل ، وإما أن ترضى بكلام رئيس

الوزراء معدن الجود والكرم .

(۳۵) ذلك هو النبيل أبو نصر خلیل بن أحمد ، الذي ينتمى إليه النصر والجود ،

وهو تاج الجاه والجلال ، ورأس الملك والنعمة .

٧ — منوچهری

هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد الملقب بالمنوچهری^(١) ولد بدامغان^(٢) وتوفي حوالی سنة ٤٣٢ هـ في عنقوان شبابه .

ويروى العوفي أنه كان من نواذر العصر ومعجائب الدهر لقوة ذا كرتة ، وتوقد ذكائه . وقد نبغ في قرض الشعر منذ حدثته ، حتى إنه ما اقترح عليه أحد أن ينظم شعراً في معنى ما إلا وطاوعته نفسه وسارع خاطره إلى نظم ما اقترح عليه . وكان مع مهارته في الشعر متمكناً من بعض العلوم كالطب والنحو وعلوم الشريعة .

ويروى دولتشاه^(٣) أنه كان يلقب بصاحب « الستين قطيعا » (شصت گله) . ولكن يؤخذ مما ذكره صاحب كتاب راحة الصدور أن الملقب بهذا اللقب كان شاعراً آخر ظهر بعد هذا الشاعر في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي أو الخامس الهجري اسمه شمس الدين أحمد بن منوچهر .

ومع أن هذا الشاعر يعد من شعراء السلطان محمود فقد ظهر أمره في عهد السلطان مسعود بن محمود ؛ فإن معظم قصائده في مدح هذا السلطان ومن اتصل به من الوزراء والحكام .

وقد ترك منوچهری ديواناً من الشعر يحوى نحو ثلاثة آلاف بيت ظهر بطهران .

(١) لقب بهذا اللقب نسبة إلى الأمير الزيارى فلك المعالى منوچهر بن قابوس شمس المعالى ابن وشمكير . وكان منوچهر خامس أمراء الدولة الزيارية امتد حكمه من سنة ٤٠٣ إلى سنة ٤٢٠ هـ . وقد استولت هذه الدولة على نواحي طبرستان وجرجان كما ذكرنا قبل .

(٢) دامغان مدينة تقع على ثلاثين ميلاً جنوبى استراباد على الطريق الممتد بين طهران ومشهد .

(٣) راجع التذكرة ص ٤٠

حوالى سنة ١٨٨٠ م ، ثم طبعه العلامة دى بيير شتاين (١) كازميرسكى سنة ١٨٨٦ و ترجمه وعلق عليه بتعليقات قيمة .

ويؤخذ من أشعاره : أنه كان ملماً بأشعار المتقدمين من شعراء العرب والعجم ، وأنه كان متمكناً من العربية ؛ يتبين ذلك مما اقتبس من معانى شعراء العرب ، وما استخدمه من ألفاظ وأساليب عربية نادرة .

وقد كان يألف الطبيعة و يعجب بمظاهرها من طيور ورياض و بساتين ؛ فقد ذكر فى أشعاره كثيراً من أسماء الطيور والزهور والثمار ، ووصفها وصفاً بديعاً يمتاز بدقة المعانى وحسن اختيار الألفاظ والأساليب المعبرة عن تلك المعانى أقوى تعبير . ولشعره تأثير خاص فى النفوس ؛ إذ أنه يستهوى الأفتدة ، ويخلب الألباب ، ويبعث فى القلوب الفرح والسرور ، ويحمل السامع على النشاط والطرب . وما ذلك كله إلا لعدوثة ألفاظه ، وطلاوة أساليبه ، ودقة معانيه .

وإليك دليلاً على هذا طرفاً من قصيدته المشهورة المسماة بالقصيدة الشمعية ، التى يصف فيها الشمعة وصفاً هو أقرب ما يكون إلى الغزل ، ثم ينتقل إلى غرضه من نظم القصيدة ، وهو مدح أستاذه العنصرى الشاعر الآنف الذكر :

يقول رحمه الله مخاطباً الشمعة (ب) :

(١) اى نهاده برميان فرق جان خو بشتن

جسم ما زنده بجان . وجان تو زنده بتن

(١) يا من وضعت روحك فوق هامتك (فوق مفرق رأسك) — (ما أظهر الفرق بيننا وبينك) إن أجسامنا تستمد الحياة من أرواحنا . أما أنت فتستمدن روحك (الحياة) من جسمك .

(۲) گرنه کُوب چرا پیدا نگردی جز شب

ورنه عاشق چرا گری می بر خو یستن

(۳) کوکی آری ولیکن آسمان تست موم

عاشق آری ولیکن هست معشوق لکن

(۴) پیرهن در زیر تن داری و پوشد هر کسی

پیرهن بر تن ، توتن پوشی همی بر پیرهن

(۵) گر بمیری آتش اندرتو رسد زنده شوی

چون شوی بیمار خوشتر گردی از گردن زدن

(۶) تاهمی خندی همی گری و این بسی نادرست

هم تو معشوقی وهم تو عاشق بر خویشین

(۲) إذا لم تكونی کوباً فلم لا تطهرین إلا لیلاً ؟ وإذا لم تكونی عاشقة فلم تبکین علی نفسک ؟ .

(۳) نعم إنک کوب ولكن سماءک هی الشمع ، ونعم أنت عاشقة ولكن معشوقک هو الشمعدان .

(۴) أنك تلبسین قميصک من تحت جسمک (القميص هو الفتیلة والجسم هو مادة الشمع المحیطة بها) فی حین أن کل شخص یلبس قميصه فوق جسمه وأنت تلبسین القميص فوق الجسم .

(۵) إذا مت (انطفأت) وصلت إلیک النار فتحسین . وإذا مرضت عادت إلیک العافیة بقطع رقبتک : = قص الجزء المحترق من فتیلتک .

(۶) إنک ما دمت تضحکین فأنت تبکین (الضحک = الإضاءة ، والبكاء = ذوبان الشمع حول الفتیلة) وهذا نادر جداً ، وأنت فی الوقت نفسه عاشقة لنفسک ومعشوقة من نفسک .

- (۷) بشکفی بی نوبهار و پُرمی بی مهرگان
 بگری بی دیدگان و باز خندی بی دهن
 (۸) تومرا مانی بعینه من ترا مانم همی
 دشمن خویشیم هردو دوستدار انجمن
 (۹) خویشان سوزیم هردو بر مراد دوستان
 دوستان در راحتند ازما وما اندر حزن
 (۱۰) هرد و گریانیم و هردو زرد و هردو در گداز
 هردو سوزانیم و هردو فرد و هردو ممتحن
 (۱۱) آنچه من در دل نهادم بر سرت بینم همی
 آنچه تو بر سر نهادی در دلم دارد وطن

- (۷) إناك تزدهرين في غير وقت الربيع ، وتذبلين في غير وقت الخريف ،
 وأنت تضحكين دون أن يكون لك فم ، وتبكين دون أن تكون لك عينان :
 (۸) إناك شبيهة بي حقاً وأنا شبيه بك أيضاً ؛ فنحن كلانا أعداء أنفسنا ،
 وأصدقاء غيرنا من جماعة الناس (نضر أنفسنا لننفع غيرنا) .
 (۹) فكلانا يمحترق وفقاً لرغبة الأصدقاء ؛ فالأصدقاء في راحة بسببنا ، أما
 نحن ففي هم وحزن .
 (۱۰) كلانا نبكي وكلانا ممتقع اللون ، وكلانا نذوب (أسي) وكلانا نمحترق
 وكل منا وحيد ، وكل منا في محنة .
 (۱۱) إني أرى على هامتك تلك (النار) التي أخفي في قلبي ، وتلك (النار)
 التي وضعت فوق رأسك قد اتخذت من قلبي وطناً .

(۱۲) روی تو چون شنبلید بر شگفت بامداد

وآن من چون شنبلید نا شگفته در چمن

(۱۳) از فراق روی تو گشتم عدو آفتاب

وز فراق تو شب تاری شد ستم مفتن

(۱۴) من دگر یاران خود را از مودم خاص و عام

نی طلبگاری زیك تن نی وفا اندردون

(۱۵) زاردار من توئی ای شمع یار من توئی

غمگسار من توئی من آن تو تو آن من

(۱۶) توهی تابی چو نورو من همی خوانم بمهر

هر شبی تا روز دیوان أبو القاسم حسن

(۱۲) إن وجهك كالزهرة المتفتحة في الضحى (الصباح) أما وجهي فكالزهرة

التي تزين البستان ولكن لم تفتح أكامها بعد .

(۱۳) قد صرت عدو الشمس بعد فراق وجهك ، وأصبح الليل البهيم يفتني

بعد أن هجرتني بعد هجرانك .

(۱۴) قد امتحنت أصدقائي الآخرين وخبرتهم صغيرهم وكبيرهم وخاصهم

وعامهم فلم أجد في واحد منهم عطفاً علىّ ، ولا بين اثنين وفاء .

(۱۵) إنك أيتها الشمعة موطن أسراري ، وإنك صديقتي ، وإنك تسرّي

الهم عنى . إني لك (صديق) وأنت لى (صديقة) .

(۱۶) إنك تضيئين كالنور في حين أنى أقرأ بشغف ومحبة كل ليلة إلى (أن

يأتى) النهار ديوان أبى القاسم حسن (العنصرى) .

- (١٧) اوستاد اوستادان زمانه عنصری
عنصر دین ودلش بی عیب وبی غش وقین
(١٨) شعراو چون فضل او هم بی تکلف هم بدیع
فضل او چون شعراو هم نازنین وهم حسن
(١٩) زین فزونتر شاعری دعوی بودلاف وگراف
ابن حکیمان دگر یکفن واو بسیار فن
(٢٠) درزغن هرگز نباشد فن اسپ راهوار
گرچه باشد چون صهیل اسپ آواز زغن

- (١٧) إنه العنصری أستاذ أساتذة العصر ، إنه عنصر الدين (النقي) وقلبه
بريء من العيب والغش والخذاع .
(١٨) وإن شعره كفضله بدیع خال من التكلف أيضاً ، وفضله كشعره جميل
وحسن أيضاً .
(١٩) ومن ادعى شاعرية أفضل من هذه الشاعرية كانت دعواه زائفة باطلة ؛
فقد برع كل من هؤلاء الحكماء في فن واحد أما هو فقد برع في كثير من الفنون .
(٢٠) ولم يكن للغراب يوماً ما للجواد السباق من فضل ، على الرغم من
أن نعيق الغراب قد يشبه صهيل الفرس .

(١) انظر ترجمة هذه القصيدة في كتاب براون ١٥٢/٢ . وتجد في ١١٩ ج ٤ من
التيمة قطعة في وصف الشمعة لابن أبي الثياب أبي محمد .

(٢١) تاهمی خوانی تواشعارش همی خائی شکر

تاهمی بوئی تو ایاتش همی بوئی سمن

وله من قصيدة في مدح السلطان يمين الدولة :

(١) قيصر شرابدار تو جيپال پاسبان پيغو ركاب دار تو فغفور پرده دار

(٢) اندر حجاز رزم كنى در عراق رزم اندر عرب مظالم و اندر عجم شكار^(٣)

(٢١) إنك تأكل (تمضغ) السكر حين تقرأ أشعاره ، وتشتم رائحة الياسمين

حين تشتم عبير أبياته .

(١) أيها القيصر إن جيپال الحارس صاحب شرابك (إذا شربت) وإن

فغفور يكون حارس ستارتك (إذا دخلت مقصورتك) .

(٢) إنك تقيم الولائم في الحجاز و (تقود) الحرب في العراق ؛ وترفع

المظالم عن العرب ؛ وتستغل بالصيد والقنص بين العجم .

(٣) جيپال أحد ملوك لاهور وكان في حوزته ثلثمائة فيل وتحت قيادته ثلاثون

ألف مقاتل من الخيالة ، وهو اسم لأحد ملوك دلهي يقول الهنود عنه إنه أول من

صنع صنج الميزان وقد سجنه وقبض عليه السلطان محمود ، وهو أيضا اسم لابن فغفور

ملك الصين — كشف اللغات ٣٠ / ١ .

ويغو نوع من أنواع الصقور ، ولعل المراد منه هنا أحد الملوك أو الأمراء

المعروفين في الهند أو الصين كما يدل عليه السياق .

فغفور إمبراطور الصين ، وهو أيضا اسم لأحد ملوك الأشكانيين نسبة إلى

أشكان من أولاد يافث بن نوح ، وكان ملكا بعد الإسكندر واستولى على البلاد

الواقعة بين دجلة والرى ، واستمر حكمه واثنين وستين سنة ، وهو اسم لعدد من

الملوك الذين كانوا يسمون ملوك الطوائف — كشف اللغات ٨٢ / ٢

ومن جيد شعره في الغزل قوله :

- (۱) با رُخت اُی دلبر عیار یار
(۲) دورخ رخشان تو گلنار گشت
(۳) چشم تو خون خواره وهر جادوئی
(۴) بنده وفادار و هواخواه تست
(۵) داد کن اُی کودك و بردار جور
(۶) اُی تو دل آزار ومن آزرده دل
- نیست مرا نیز دگر بار یار
بر دل گل ریخته گلنار نار
مانده از آن چشمك خون خوار خوار
بنده هوا خواه و وفادار دار
منبری پیش آور و بردار دار
دل شد از آن دل آزار زار

- (۱) ليس بيني أيضاً وبين وجهك أيها الصديق الجذاب المخادع صداقة
مرة أخرى .
- (۲) إن وجهك (وجنتك) النضر قد صار مثل زهر الرمان ، وقد نثر
زهر الرمان (هذا) على قلبي ناراً (أشعله بنار الحب) .
- (۳) وإن عينك تشرب الدماء ، وأن كل ساحر يقف (يبقی) ذليلاً حائراً أمام
(بسبب) عينك الصغيرة التي تمتص الدماء .
- (۴) إن عبدك وفيّ (لك) مرتج هواءك وعشقك فاحتسب (هذا العبد)
وفياً ومرتجياً لعشقتك .
- (۵) اعدل أيها الصغير وارفع الظلم (عني) أقم (أحضر أمامك) منبر
(العطف والرحمة) وارفع مشنقة (العذاب) .
- (۶) يا من أنت معذب القلب أما أنا فمعدب القلب ، إن قلبي قد صار معنى
أسفاً من جراء ذلك المعدب للقلوب .

(۷) گردل من باز نبخشی بمن جور مکن لشکری تیمار^(۸) مار

(۷) إذا كنت (لا تريد) أن ترد إلى قلبي فلا تظلمه ؛ فإن الجندی يعالج المريض (إذا وقع أسيراً في يده) تیمار = المرض : مار — السليم الجسم : وأطلق هنا على المريض تفاؤلاً .

(۸) الباب : ۲/۵۵ .

٨ — الغضائرى

تحدثنا فيما سبق عن أشهر شعراء الدولة الغزنوية الذين كانوا يعدون بالملئات كما قلنا من قبل . وإنا ذا كرون لك على سبيل الإيجاز بعض الشعراء الذين لم يكن لهم من الشهرة مثل ما كان لمن ذكرناه ، وفي مقدمة هؤلاء أبو زيد محمد بن على الغضائرى الرازى .

يقول دولتشاه (١) عن هذا الشاعر : إنه نشأ بالرى ، ثم نزع إلى غزنة واندمج فى سلك شعراء السلطان محمود . وهنالك برزت شخصيته ومقدرته الشعرية فى مبارزة قرنائه من الشعراء ، ومصارعتهم فى مضمار الشعر . وقد امتاز هذا الشاعر ببراعته فى الغلو والإغراق ؛ فقد نظم قصائد ومقطعات شعرية سلك فيها هذا المسلك فكانت موضع إعجاب زملائه .

ومن هذه القصائد قصيدته الغراء فى مدح السلطان يمين الدولة وأولها :

١ — اگر مراد بجاه اندراست وجاه بمال

مرايين که به بينى جمال را بکمال

٢ — من آن کسم که بمن تابخشر فخر کتد

هر آنکه برسر يك بيت برنويسد قال

(١) ص ٣٣ .

(١) إذا كان ما تريد ينحصر فى الجاه ، وإذا كان الجاه يقاس بالمال فانظر إلى ترجعاً مصحوباً بکمال .

(٢) أنا ذلك الشخص الذى يفخر بى حتى يوم القيامة كل من يكتب فى مقدمة بيت من الشعر (كلمة) « قال » . = كل من يقرض الشعر .

وفيهما يقول مغاليا في مدح هذا السلطان :

٣ — صواب کرد که پیدا نکرد هردو جهان

یگانه یزد دادار بی نظیر و همال

٤ — وگرنه هردو ببخشیدی او بروز سخا

امید بنده نمادی بایزد متعال

ویروی دولتشاه أن هذا الغلو قد حاز إعجاب السلطان فأنعم على الشاعر بسبع بدر من الذهب بها أربعة عشر ألف درهم .

والغلو في عرف بلغاء الفرس هو أقصى درجات المبالغة ؛ إذ أن المبالغة عندهم على ثلاث درجات :

الأولى تسمى التبليغ ، وذلك حيث يكون الحكم من النوع الممكن تصوره في العقل وتحققه في الواقع .

والثانية تسمى الإغراق ، وذلك حين يكون الحكم من النوع الذي يمكن تصوره في العقل ويبعد احتمال تحققه في الواقع .

والثالثة تسمى الغلو ؛ وذلك حيث يكون الحكم مستحيل التحقق ، كما في

(٣) لقد أصاب الله العادل المنزه عن النظم والشبيه إذ لم يخلق العالمين معا .

(٤) وإلا كنت يوم جودك تعطى العالمين معا ، ولم يبق لأحد من عباد الله

أمل في (كرم) الله تعالى .

قصيدة الغضائرى ، و كقول الشاعر نبيل الزرندى يخاطب بهاء الله زعيم البابين (١) :
خلق گویند خدائی ومن در غضب آیم پرده برداشته میسند بخود ننگ خدائی
= يقول الناس : « أنت الله » فأغضب

ارفع النقاب ، لا تترض لنفسك عار الإلهية

ومن جيد شعر الغضائرى الذى يغلو فيه فى مدح السلطان يمين الدولة أيضاً

قوله : (ب)

(١) البايون طائفة تدعى التجديد فى الإسلام تزعمها شاب من أهل شیراز اسمه ميرزا على محمد الملقب بالباب . وقد ولد فى غرة الحرم سنة ١٢٣٥ هـ وتوفى مقتولا بالرصاص فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ . والباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر ، رقىل فى تعليل هذه التسمية إنه « باب العلم » أو « باب السماء » أو « باب الحقيقة » . ويصف هذا الرجل نفسه بأنه « القائم المبشر بقرب نزول المنقذ المجيد ودخول العالم فى طور جديد » . ومعنى القائم فى اصطلاحهم الإمام القائم مقام المهدي المنتظر . وقد تفرع من البابية أو حل محلها « البهائية » نسبة إلى بهاء الله واسمه ميرزا حسين على . ولد فى الثانى من الحرم سنة ١٢٣٣ هـ وتوفى ثانى ذى القعدة سنة ١٣٠٩ هـ وكان بهاء الله فى مقدمة من اتبعوا الباب وناصروه ، وقد حمل لواء دعوته من بعده . وأشهر زعماء هذه الطائفة بعد بهاء الله ابنه السيد عباس أفندى الملقب بعبد البهاء ، وكان معاصراً للأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده ، وقد ولد فى ربيع سنة ١٨٤٤ م منتصف ليلة اليوم الذى أعلن الباب فى مسائه دعوته ، وتوفى فى ليلة ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هـ الموافق الثانى من نوفمبر سنة ١٩٢١ م .

وأساس الدعوة البابية البهائية تحكيم العقل فى العقيدة ، وتوحيد الأديان ، ونشر المحبة والأخوة بين جميع بنى الإنسان .

ولعرفة نشأة هذه الفرقة وتفاصيل تعاليمها والرد عليها ارجع إلى :

(١) كتاب البابين فى التاريخ للسيد عبد الرزاق الحسنى — مطبعة العرفان بصيدا

سنة ١٩٣١

(٢) « عبد البهاء والبهائية » لسليم قيعين — مطبعة العمران بالقاهرة سنة ١٩٢٢

(٣) « الحراب فى صدر البهاء والباب » لمحمد فاضل — مطبعة دار التقدم بشارع محمد

على — القاهرة سنة ١٩١١

(٤) Bahai, The spirit of the Age, by Horce Holley . Kegan Paul s co. 1921.

(ب) الباب ص ٢/٥٩ .

۱ — باهمه گینی عدویک تیرباران توبس

نی ، غلط کردم چه حاجت تیر ؟ پیکان توبس

۲ — وآنکهی کاندز نورزدند آسمان چون نامۀ

آسمان جاودان ازسقف ایوان توبس

۳ — دولتِ باقی چه گفت این عمرِ نا انجام را ؟

گفت : رای او بگاہِ درد درمانِ توبس

۴ — ما بجز سلطانِ دگر سلطان نخواهیم آورد

وآنکه را سلطان لقب دادیم سلطان توبس

= (۱) یوجد شخص واحد یعادى العالم كله

هو أنت فقط (یا من) یطر (على العالم) السهام

لا ، لقد أخطأت فما الحاجة إلى السهام ؟ إن رماحك تكفى

۲ — وفى ذلك الوقت الذى تطوى فيه السماء مثل (طی) الكتاب

لا تبقى إلسماء خالدة (تؤخذ) من سقف قصرک فقط

۳ — ماذا قالت الدولة الباقية لذلك العمر الذى لا نهاية له (= السلطان الخالد)

قالت : إن حسن رأیه وتديره دواء كاف لك حين یوجد الداء .

۴ — سوف لا نطلق (لقب) سلطان على سلطان آخر غیر السلطان (محمود)

ومن أطلقنا علیه لقب سلطان هو سلطانک فقط .

ومن طریف شعره قوله : (۱)

۵ — نسیم دو زلفین او بگذرد بیامیخته با نسیم ص——با

۶ — چه گویم چو بگذشت او؟ گویمش

ألا یا نسیم الصبا مرحبا
 = ۵ — یر نسیم طرّیه
 ۶ — ماذا أقول حین یر؟ أقول له
 ألا یا نسیم الصبا مرحبا

و كذلك قوله (۱):

۷ — جام می آورد بامداد بمن داد آنک مرا بالباش کار فتاد ست

۸ — گفتم مهرست گفت مهرش پرورد گفتم ماهست گفت ماهش زادست

۹ — باده بمن داد از لطافت گفتم جام بمن داد لیک باده ندادست

= ۷ — جاءت بالخمر فی الصباح وأعطتني إياها

تلك التي (بتقبيل) شفّيتها يتم لي المراد

۸ — قلت: هي الشمس. فقالت: إن الشمس هي التي تعهدتها

قلت: هي القمر. فقالت: إن القمر هو الذي أنجبها.

۹ — أعطتني الخمر فقلت من شدة لطاقتها:

أعطتني الكأس، ولكن لم تعطني الخمر^(۱۰).

وقوله:

۷ — مطربی خوب روی و بربط او چو یکی کوز پُشت عاشق پیر

۲ — ناله شیر خوار دارد لیکن بکنار اندر نخواهد شیر

= ۱ — هنا مطرب جميل الوجه و (معه) بربطه

(بیدو) کعاشق کهل انحنی ظهره

۲ — (تصدر عنه) نعمة (طفل) يشرب اللبن، لكنه

وهو على الصدر لا يحب (أن يشرب) اللبن

۹ — الإمام عبد الرحمن بن محمد العطاردي^(۳)

كان من الشعراء الذين اتصلوا بحضرة السلطان محمود، ونالوا حظوة لديه .

ومن شعره في قصيدة يمدح بها هذا السلطان قوله :

۴ — مُلْكُ قَلَادِهِ اسْتِ وَأَوْمِيَانِ قَلَادِهِ زَيْنُ نَكِيرِ قَلَادِهِ جَزْ بِمِيَانِهِ

۵ — حِشْمَتِ أَوْبَرِ دِهَانِ دِهَرِ دِهَانِهِ اسْتِ

فضل نیارد لگام جز بدهانه

= ۴ — إِنْ الْمُلْكُ بِمِثَابَةِ قَلَادَةٍ وَهُوَ وَاسِطَةُ هَذِهِ الْقَلَادَةِ

ولا يكون للقلادة جمال إلا بواسطتها

۵ — وَإِنْ حِشْمَتُهُ وَوَقَارُهُ شَكِيمَةٌ عَلَى فَمِ الدَّهْرِ

ولیس للجام قيمة بدون الشکيمة

ومن غزله هذا الرباعي :

۶ — سَيْلِي دَارْمِ بَرَخِ پَرَا زَخُونِ چَکَرِ آن رُوزِ کِه مَرِگَانِ تَرَا بِنِیمِ تَرِ

۷ — أَيْ چُونِ شَکَرِ شَکِستِه اَز پَایِ تَاسَرِ

مگری که تباه گردد از آب شکر

= ۶ — إِنْ وَجْهِي لِيَفِيضَ بِدَمِ كَبْدِي ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي أَرَى فِيهِ أَهْدَابَكَ الْغَضَّةَ

۷ — یا من يشبه قطع السكر من قدمه إلى رأسه
لا تبك فإن السكر يفسد بتأثير ماء (الدمع)

ومن طريف عتابه هذا الرباعي :

۱ — شديار و مرايبوسه خشنود نکرد
پرسش نمود و نیز بُدروود نکرد

۲ — آن آتش آفروخته جز دود نکرد

از عشقِ بتان هیچ کسی سود نکرد

= ۱ — ذهب الصديق ولم يسعدني بقبلة

و لم يسأل (عني) ولم يسلم على

۲ — وتلك النار الموقدة (نار الهجر) لا تحلف غير الدخان

و لم يحن أي أحد فائدة من عشق الأصنام (= الحسان)

۱۰ — رابعة بنت كعب القزداري^(۳)

تلك امرأة لها من المفاخر ما يجعلها تفوق كثيراً من الرجال ؛ فقد كانت لها
جولات موفقة في ميدان الأدب ، ومقدرة فائقة على قرض الشعر بالعربية والفارسية .
ولها مقطعات مستملحة في العشق والغرام .

ويطلق الأدباء عليها لقب « الذبابة الفحاسية » وذلك لقولها :

۴ — خبر دهند که بارید بر سر ایوب زاسمان ملخان و سرهمه زرین

۵ — اگر بیارد زرین ملخ پرواز صبر سزد که بارد بر من یکی مگس روئین

= ۴ — یقولون فی الخبر إنه قد سقط علی رأس آیوب

من السماء جرادات رؤوسها کلها ذهبیه

۵ — فإذا كانت السماء قد أمطرته جرادا ذهبیاً لصبره

فمن المناسب أن تمطرني السماء ذبابة من نحاس

ومن جید غزلها قولها :

۶ — مرا بعشق همی محتمل کنی یحیل چه حجت آری پیش خدای عزوجل

۷ — نعیم بیتو نخواهم جحیم باتو رواست

که بی تو شکر زهرست و باتو زهر عسل

۸ — هرآینه نه دروغست آنچه گفت حکیم

فمن تکبر یوما فبعد عزّ ذلّ

= ۶ — إنک تتحایل لتحملی أعباء العشق

فأی حجة تتذرع بها (لتبرذلک التعذیب) أمام الله عزوجل

۷ — إنی لا أرغب فی النعیم بدونک، والجحیم معک مقبولة مرضیة

فإن السكر بدونک سم والسم مع وجودک عسل

۸ — ولیس من الباطل فی شیء ما قاله الحکیم

من تکبر یوما ذلّ بعد عزّ

ومن جید عتابها وشکواها قولها :

۱ — دعوت من بر تو آن شد کایزدت عاشق کناد

بریکی سنگین دلی نامهربان چون خویشان

۲ — تابدانی دردِ عشق وداغِ مهر وغمِ خواری

تابهجر اندر به پیچی وبدانی قدر من

= ۱ — أدعو عليك أن يجعلك الله عاشقا

لمعشوق حبرى القلب غير رحيم مثلك

۲ — لكي تعرف ألم العشق وتكوى بميسم الحب وتقاسى الغم

ولكي تقلوى من ألم الهجر وتعرف قدرى

ومن شعرها الملمع الآتى :

۳ — شاقنى نأح من الأطيّار هاج سقى وهاج لى تذكارى

۴ — دوش برشاخك درخت آن مرغ نوحه مىکرد ومیگریست بزارى

۵ — قلت للطير لم تنوح وتبكي فى دجى الليل والنجوم درارى

۶ — من جُدايم زيار از آن مى نالم توجه نالى كه با مساعد يارى

۷ — من نگويم چوخون دیده ببارم توجه گوئى چوخون دیده ببارى

= ۴ — أمس كان ذلك الطير ينوح ويبكى متألماً على غصن شجرة

۶ — إني بعيدة عن الصديق ولذا أئن وأتوجع

فلم تنّ أنت يا من فى صحبة الرفيق المسعد ؟

۷ — إني لا أقول شيئاً مع أنى أمطر دم العين

فإذا تقول أنت ولست تمطر دم العين ؟

١١ — الكوكبي المروزي (١)

هذا أحد الشعراء الذين لا نعرف كثيراً عن حياتهم ، ولكنه عرف بالدقة في الوصف ، يتبين ذلك من قوله يصف الكأس والخمر :

١ — قدح وباده هردو از صفوت همچو ماهِ دو هفته دارد اثر

٢ — يا قدح بی می است یا می ناب بی قدح درهوا شکفت نگر .

= ١ — إن القدح والخمر كلاهما لهما من الصفاء والأثر

ما للبدر في الليلة الرابعة عشرة

٢ — (فلك أن تقول) إما قدح بلا خمر ، وإما خمر صافية

بدون قدح (معلقة) في الهواء فتأمل هذا الأمر العجيب .

وهذا معنى قول الشاعر العربي :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ومن قوله يصف وردة حمراء لم تفتتح بعد :

٣ — نگه کن بگل سُرخ ناشگفته تمام چو لعبتی که شمن را همی نماز برَد

٤ — بسانِ دولبِ معشوقِ سرخ و کوچکِ و تنگ

که گاهِ بوسه ب_____اشق همی فراز برَد

= ٣ — انظر إلى وردة حمراء لم يتم تفتيحها بعد

إنها تشبه دمية تؤدي الصلاة للصنم

٤ — (أوقل إنها) تشبه شفتي المعشوقه الحمراءين الصغيرتين الضيقتين
التي ترفع (شفتيها) نحو العاشق وقت التقبيل

١٢ — أبو المنصور عبد الرشيد الهروي (١)

كان من شعراء هذا العصر المقلين . ومن جيد شعره في مدح أحد الأمراء
هذا الرباعي :

٥ — گفتم که چه دارد عَلمَت ؟ گفت : قمر

گفتم که چه دارد قَلمَت ؟ گفت : گهر

٦ — گفتم که چه دارد حَشمَت ؟ گفت : ظفر

گفتم که چه دارد کَرَمَت ؟ گفت : خطر

٥ = — قلت : أى شيء يحمل علمك ؟ فقال : الهلال

قلت : أى شيء يطر قلمك ؟ فقال : الجواهر .

٦ — قلت أى شيء يوصف به جندك وحشمك ؟ فقال : النصر والظفر

قلت : على أى شيء يقضى (يقطع) كرمك ؟ فقال : الخطر .

١٣ — أدب السلطان محمود

يطيب لى الآن أن أحدثك حديثاً موجزاً عن أدب السلطان محمود بن سبكتكين
الغزنوى ، سلطان زمانه ، وأكبر دولة في تاج الإمبراطورية الإسلامية في عصره ،

ومركز دائرة الأدب ، وقطب رحا الشعر ، ومطمح أنظار الأدباء والعلماء .

يقول العوفي في ذلك ما ترجمته : (١)

« على الرغم من هذه المهام (مهام الفتوح والغزوات ، والسعى في نشر لواء الإسلام في ربوع الهند ، وتحويل بيوت الأصنام إلى مساجد وصوامع يذكر فيها اسم الله الواحد الأحد) على الرغم من هذا كله لم يُغفل هذا السلطان أمر العلماء والأدباء ، ولم يبد منه أى تقصير في رعاية حقوقهم ؛ فقد كانت لديه رغبة صادقة في محاورتهم ومساجلتهم ، وإغداق الهبات السنوية والصلوات الفاخرة عليهم . فلا جرم أن يبذل كل منهم ما في وسعه في تخليد اسمه ، والإشارة بجليل مآثره وجميلفعاله ، بما كتبوا من من نثر ، وما نظموا من شعر بالعربية والفارسية معا ؛ فقد ألف أبو منصور محمد بن عبد الجبار العتبي في ذلك كتابه المسمى : « تاريخ يميني » . والحق أنه كتاب قد جمع من غرائب أساليب البيان ما يشبه في لطفه الماء الزلال ، وفي خفته ريح الشمال ، وشمل من درر الألفاظ والعبارات وغرر الأساليب ما يصلح زينة لنحور الحور ، وما تدعو قراءته إلى راحة القلوب التي في الصدور . »

ويمضى العوفي فيقول في بيان مقدرة السلطان الشعرية ما خلاصته : أنه كانت له جارية جميلة تسمى گلستان (= حديقة الورد) ، وكان يسكن إليها ، ويرغب في مغازلتها . ولما توفيت جزع عليها أشد الجزع ، فأنشد هذه الأبيات الثلاثة في رثائها :

١ — تاوای ماه زیر خاک شدی خاک را بر سپهر فضل آمد

۲ — دل جزع کرد گفتم: ای دل صبر این قضا از خدای عدل آمد

۳ — آدم از خاک بود خاکی شد هر که زو زاد باز اصل آمد

= ۱ — حیما ثویت فی التراب أیتها البدر المنیر

صار الثری أعلى قدرا من الفلك

۲ — جزع القلب فقلت له : أیها القلب صبرا

فهذا قضاء جاء من رب العدل

۳ — واذ كان آدم من تراب فإنه إلى التراب یمیل

وكل من تناسل منه فهو لا بد عائد إلى أصله

ولما أحس باقتراب منيته ، وشعر بعجزه وتدهور قوته ، أنشأ هذه الأبيات

بیکی علی نفسه ، ویتحسر علی یومه وأمهه : قال :

۴ — زیم تیغ جهانگیر وگزر قلعه کشای

جهان مسخر من شد چو تن مسخرای

۵ — گهی بعز و بدولت همی نشستم شاد

گهی ز حرص همی رفتمی ز جای بجای

۶ — بسی تفاخر کردم که من کسی هستم

کنون برابر بینم همی امیر و گدای

۷ — اگر دو کله پوسیده برکشی ز دو گور

سر امیر که داند ز کله کرّای

۸ — هزار قلعه کشادم بیک اشارت دست

بسی مصاف شکستم بیک فشردن پای

٩ — چو مرگ تاختن آورد هيچ سود نكرد

بقا بقاى خدا يست وملك ملك خداى

= ٤ — فرقا من حسامى فاتح العالم ومن صولجانى قاهر الحصون

أصبح الكون طوع إرادتى كما يصبح الجسم طوع إرادة العقل

٥ — فطورا جلست على العرش سعيداً بعزتى ودولتى

وطورا دعانى الحرص على التقلب فى البلاد من مكان إلى آخر

٦ — وكثيراً ما افتخرت وقلت إني شخص «عظيم»

أما الآن فإني أرى أن الأمير والحقير سـيان

٨ — إذا استخرجت جمجمتين باليتين من قبرين

فمن (يستطيع أن) يميز رأس الأمير من رأس الأجير

٨ — لقد استوليت على ألف قلعة بمجرد إشارة واحدة من يدي

وهزمت كثيراً من صفوف الجنود بخطوة واحدة من قدمي

٩ — (ولكن) حينما يَكْرهُ الموت فلن ينفع شيء (من هذا كله)

إن البقاء لله «وحده» ، والملك ملكه «لا شريك له»

هذا هو صوت الحق والاعتراف بعجز القدرة البشرية أمام سلطان قضاء

الله وقدره يصدر من رجل دانت له الرقاب ، وخضعت له الجبابرة ، وعنت له وجوه

الصناديد . ذلكم هو السلطان محمود الذى قال العنصرى إن القضاء والقدر من

خاتمه وخنجره . ذلكم هو يمين الدولة وأمين الملة ، رب التاج والصولجان ، الذى

قال فيه بديع الزمان :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني

أفريدون في التاج	أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت	إليينا بسليمان
أطلت شمس محمود	على أنجم سامان
وأمسى أهل بهرام	عبيدا لابن خاقان
إذا ما ركب الفيل	لحرب أو لميدان
رأت عينك سلطانا	على منكب شيطان
فمن واسطة الهند	إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السند	إلى أقصى خراسان
على مقتبل العمر	وفي مفتتح الشان
فيوما رسل الشاه	ويوما رسل الخان
فما يغرب بالغرب	من طاعتك اثنان
لك السرج إذا شئت	على كاهل كيوان
أيا والى بغداد	ويا صاحب غمدان
تأمل مائتي فيل	على سبعة أركان
يقلبن أساطين	ويلعبن بشعبان
عليهن تجافيف	يشهرن بألوان
ويأجوج ومأجوج	من الجنود تموجان

١٤ — تعليق و تعقيب

إن الكلام على شعراء العصر الغزنوى يطول ، وقد ذكر العوفى فى كتابه لباب الألباب أسماء تسعة وعشرين منهم ، وروى الجيد من أشعارهم . ولا يتسع المقام للكلام عليهم جميعهم ، فنكتفى بذكر من ذكرنا منهم ، وبرواية ما روينا من أشعارهم .

ولا ريب أن من يتصفح هذه الأشعار يجد فيها آثار نهضة واضحة المعالم ، فيها تجديد ، وفيها قوة ، ولكنه يجد مع ذلك أن معظم جهود الشعراء فى ذلك العصر قد اتجهت إلى المدح أكثر مما اتجهت إلى غرض آخر من أغراض الشعر . ويرجع ذلك على ما يظهر إلى أن سوق المدح كانت رائجة حينئذ لشدة التنافس بين ولادة العصر وأمرائه ، وقصر عطايهم على من يغنون فى مدحهم ، ويغنون فى الإشادة بذكرهم وتسجيل ما أثرهم . وليس من العسير أن ندرك أن للشعر فى ذلك العصر مميزات أهمها :

١ — ظهور القصائد الطوال ، وقد نظم الشعراء معظم قصائدهم فى مدح السلطان محمود الغزنوى ؛ لأنه كان علم العصر وفخر الدهر ، وأشد السلاطين رغبة فى تشجيع الأدباء .

لقد كان الشعراء فى العصر السامانى يكتبون ببضعة أبيات ينظمونها فى المدح أو الوصف ، أما فى العصر الغزنوى فقد اتجهت همهم إلى نظم القصائد الطوال فى شتى الأغراض ومختلف المعانى ، ليكافئهم الأمراء عليها أعظم مكافأة . وكان العنصرى والعسجدى والفرخى أشهر شعراء القصائد فى ذلك العصر .

٢ — مزيد اهتمام الشعر بنظم الملاحم والأساطير الوطنية ، وأطول ملحمة

نظمت في هذا العصر هي الشاهنامه من نظم الفردوسي الذي تحدثنا عنه حديثاً وافياً.
٣ — ظهور المناظرات الشعرية ، وهي من الصور الشعرية التي لم نعهدها
من قبل . وقد علمت أن المدح كان من بين أغراض هذه المناظرات ، وأن الأسدي
كان بطل هذا الميدان .

٤ — ظهور نوع من القصائد تسمى الملمعات ، والملمع قصيدة يتوخى فيها
الشاعر نظم بيت بالعربية يليه آخر بالفارسية أو العكس ، مع مراعاة انسجام
المعاني ، وأخذ بعضها بحجز بعض ، بحيث تكون القصيدة كلها وحدة متماسكة
الأطراف .

٥ — ولع الشعراء بالدقة في وصف الفواكه وغيرها مما تخرجه الأرض
أو تصنعه يد الإنسان ؛ فقد وصفوا التين ، والبطيخ ، والورد ، والشمعة .
ولست أعلم فيما أعلم أن أحداً من شعراء العربية قد أفاض وأجاد في وصف
الشمعة مثلاً فعل المنوچهری .

وقد ذكرت في هامش صفحة ٢٨٣ من كتابنا هذا أن ابن الثياب أبي محمد
قد نظم قطعة في وصف الشمعة . وهأنذا أروى لك هذه القطعة . يقول الشاعر :^(١)

ومجدولة مثل صدر القنا	ة تعرت وباطنها مكتسى
لها مقلة هي روح لها	وتاج على الرأس كالبرنس
إذا غارلتها الصبا حركت	لساناً من الذهب الأملس
فنحن من النور ^(٢) في أسعد	وتلك من النار في أنحس

(١) يتيمة الدهر للشعالي : ٤/١١٩ .

(٢) في الأصل : النار وأظنه غير صحيح .

وقد ناب وجهك عن حسنها وعن ذا البنفسج والرجس
وقد روى لى أحد طلبتي بدار العلوم هذه القطعة منسوبة لشاعر يسمى سليمان
ابن حسان النصيبي على الصورة الآتية :

ومجدولة مثل صدر القنا	ة تعرت وباطنها مكتسى
لها مقلة هي روح لها	وتاج على الرأس كالبرنس
إذا رنقت لنعاس عرا	وقطعت من الرأس لم تنعس
وإن غارلتها الصبا حركت	لسانا من الذهب الأماس
وتنتج في وقت تلقيحها	ضياء يجلى دجى الخندس
فنحن من نورها في أسعد	وهي من النار في أنحس
توقدّها نزهة للعيو	ن ورؤيتها منية الأنفس
تكيد الظلام كما كادها	فتفنى وتقنيه في المجلس .

والقطعتان متقاربتان جداً ، وسواء أصححت هذه الرواية أم تلك فما لا شك
فيه أن هذا الوصف أو ذاك لا يبلغ ما بلغه وصف المنوچهرى في الدقة والاقتراب
من الكمال .

وهنا أختتم الجزء الأول من كتاب « قصة الأدب الفارسى » مبتهلاً إلى
المولى جل وعلا أن ينفع به ، وأن يهيئ من الظروف المواتية ما يعيننى على
إخراج زميليه .

والله يتولى هداانا ، ويسدد فى سبيل الخير خطانا ؟

المؤلف

مراجع الكتاب

أولاً: المراجع العربية

١ — الأخبار الطوال — للدينوري

٢ — تاريخ اليعقوبي

٣ — تاريخ الطبري

٤ — يتيمة الدهر — للشعالبي

٥ — تاريخ يميني — للعتبي

٦ — الفهرست — لابن النديم

٧ — كتاب الفخرى — لابن طباطبا المشهور بابن الطقطقي .

٨ — تاريخ ابن الأثير .

٩ — مقدمة ابن خلدون .

١٠ — شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل — لشهاب الدين الخفاجي .

١١ — مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام بك لترجمة البنداري للشاهنامه .

ثانياً: المراجع الفارسية

١ — لباب الألباب — لمحمد عوفي . جزآن .

٢ — تذكرة الشعراء — لدولتشاه السمرقندي .

- ٣ — الشاهنامه — للفردوسی .
- ٤ — چهار مقاله — للنظامی العروضي السمرقندی .
- ٥ — بهارستان — للملا عبد الرحمن الجامی .
- ٦ — سیاست نامه — للوزير نظام الملك
- ٧ — زرادشت باستانی وفلسفه او — بقلم ميرزا عبد المحمد خان إيراني .

ثالثاً : المراجع الإنجليزية

- 1 — A Literary History of Persia Vols . 1 — 2 . by . E . Browne .
- 2 — Persian Literature . by . Levy .
- 3 — studies in Islamic Poetry ch . 1 . by . R.A. Nicholson .
- 4 — Translation of Chahār Maqala by . E . Browne .
- 5 — Persia . by S.G.W. Benjamin .
- 6 — A History of Persia . by Sylees .
- 7 — The Mohammedan Dynasties by S. Lane - Poole .
- 8 — Language . by Otto Jespersen .

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	س	ص
وولدت .	ولدت .	٦	١٧
أهورامازدا .	أهورامزرا .	١٠	٣١
الأبستاقية .	الأبساكية .	٧	٤٢
سنة ٤٨٦ .	سنة ٨٤٦ .	١٦	٧٦
أنوش زاد .	أتوش زاد .	١٣	٨٠
عبد الملك بن مروان .	عبد الله بن مروان .	١١	٨٨
(٥) (٦) (٧) .	(١) (٢) (٣) .	١١	٩٥
خفيفة .	حقيقة .	٥	١٢٤
يصلون .	يضلون .	١	١٤١
في تقوسها .	في نفوسها .	٣ هامش آخر سطر	١٥٧
جديدة .	جديد .		١٨٧
وللـ كلمات الدخيلة .	وللـ كلمات الفارسية الدخيلة .	١٨	١٩٣
otto .	Etto .	٣ هامش	١٩٥
فاء .	ماء .	٢	١٩٨
الكلمات .	كلمات .	٦	١٩٩
لباس .	لياس .	٤	٢٠٠
خويشتن .	خويشين .	١٠	٢٨٠
راز دار .	زار دار .	٧	٢٨٢

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٩٨	٨	والإشارة .	والإشادة .
٣٠٢	٢٠	اهتمام الشعر .	اهتمام الشعراء .
٣٠٣	١٥	تجعل تاء القناة في آخر الشطرة الأولى من البيت .	
وفي	٤		
٣٠٤	٦	وقطعت .	وقطت .
٣٠٤	٩	نورها .	النور .
٣٠٤	١٠	توقدها .	توقدها .

فهرس تفصيلي لكتاب قصة الأدب الفارسي

صفحة

٢٣ — ٦

(١) المقدمة :

علاقة العرب بالفرس قبل الإسلام وأثرها في الثقافة واللغة :
٤ — ٥ . قوة هذه العلاقة بعد فتح العرب بلاد فارس : ٥ .
النهضة القومية الفارسية في القرن الثالث الهجري ، وظهور
الفارسية الحديثة : ٦ . تأثر كل من الفارسية والعربية بالأخرى :
٦ . فوائد دراسة الفارسية لدارسي اللغة العربية وآدابها والتاريخ
الإسلامي : ٦ — ٧ . خطة هذا الكتاب والغرض من تأليفه :
٧ — ٨ .

الأساطير الإيرانية الهندية : ٩ — ٢٣ .

الدول التي حكمت إيران قبل الإسلام : الدولة الپيشدادية :
گیومرت : ١٠ . هوشنگ : ١٠ — ١١ . طهمورث : ١١ .
جمشید : ١١ — ١٣ . الضحاک : ١٢ — ١٣ . أفریدون :
١٣ — ١٤ . أولاد أفریدون : ١٤ . منوچهر : ١٤ . طهماسب :
١٤ . زوْأوزاب : ١٥ .

الدولة الكيانية : ١٥ — ١٦ . رأى مؤرخي الفرس
والعرب في هذه الدولة : ١٥ . رأى مؤرخي الفرنجة فيها : ١٦ .
أبطال الفرس في عهد الدولة الكيانية : ١٦ . بهمن بن اسفنديار :

صفحة

١٦ — ١٧ . خمانى وأخوها بهمن : ١٧ ولدهما داراب : ١٧ .
أخوها ساسان جد الأسرة الساسانية : ١٧ . حكم الإسكندر
لبلاد فارس واختلاف المؤرخين فى نسبه : ١٨ — ١٩ . عصر
ملوك الطوائف واختلاف المؤرخين فى مدته : ١٩ — ٢٠ .
خطأ تاريخى : ٢٠ .

عصور الأدب الفارسى : ٢١ — ٢٢ . (١) العصر القديم
أو الأخمينى : ٢١ . (٢) العصر المتوسط أو الساسانى : ٢١ —
٢٢ . العصر الإسلامى : ٢٢ .

٢٦ — ٤٥ . (ب) العصر القديم :

١ — تمهيد تاريخى : ٢٦ — ٢٨ .
الشعب الإيرانى وعلة تسميته الشعب الفارسى : ٢٦ . اللغة
الإيرانية : ٢٦ موطن الإيرانيين الأصلي : ٢٦ . الدولة الأخمينية :
٢٦ — ٢٨ . كورش وقمبيز ودارا : ٢٧ . الملوك من بعدهم :
٢٧ — ٢٨ .

٢ — الفارسية القديمة : ٢٨ — ٢٩ .
نقش بهستون وأهميته التاريخية واللغوية : ٢٨ — ٢٩ .
اقتباسات منه : ٢٩ .

٣ — حالة إيران الاجتماعية فى العصر القديم : ٣٠ .

٤ — الديانة الزرادشتية : ٣٠ — ٣٦ .

اختلاف المؤرخين في منشأ زرادشت وديانته : ٣٠ — ٣٢
أصح الآراء في ذلك : ٣١ أساس الديانة الزرادشتية : ٣١ — ٣٢ .
أهورا مازدا قوة الخير والنور : ٣١ — أهريمان قوة الشر
والظلام : ٣١ الصراع بين قوى الخير وقوى الشر : ٣١ . واجب
الإنسان في هذا الصراع : ٣٢ الخضوع التام لأهورا مازدا :
٣٢ . أهورا مازدا قوة روحانية مجردة من شوائب المادة : ٣٢ .
الشمس والنار رمزان لهذه القوة : ٣٣ . تقديس النار : ٣٣ —
٣٤ . النيران الثلاث العظمى : ٣٤ . الجد والعمل في مقدمة
تعاليم زرادشت الخلقية : ٣٤ — ٣٥ . اهتمامه بالزراعة : ٣٥ .
الأوساط الاجتماعية الأربعة المقدسة : ٣٥ . اقتباس من سفر
الوينديداد في قدسية الزراعة : ٣٦ . تعاليم خلقية زرادشتية
أخرى : ٣٦ .

٥ — الأبتاق كتاب زرادشت المقدس : ٣٧ — ٤٠
اشتقاق هذا الاسم : ٣٧ . تاريخ تدوين هذا الكتاب :
٣٧ — ٣٨ . أقسام الكتاب وما بقي منها وما انقرض : ٣٨ .
لغة الأبتاق : ٣٨ — ٣٩ . اختلاف المؤرخين في ذلك وفي
موطن الزرادشتية الأصلي : ٣٩ . خلاصة رأى جاكسون في
الموضوع وما يتصل به : ٣٩ — ٤٠ .

٦ — الأبتاق الموجود الآن : ٤١ — ٤٥ .

قضاء الإسكندر على الأبتاق القديم : ٤١ . أسفار الأبتاق
الموجودة الآن : ٤٢ — ٤٥ . ١ — اليسنا واقتباسات منه :
٤٢ — ٤٣ . ٢ — الويسپرت : ٤٣ . ٣ — الوينديداد : ٤٣ .
٤ — اليشتات أو الترنيات : ٤٤ . ٥ — الخورده أوستا
وأقسامه : ٤٤ — ٤٥ .

٩٨ — ٤٨

(ج) العصر المتوسط :

١ — تمهيد تاريخي : الدولة الساسانية : ٤٨ . بيان موجز
ملوكها ومدة ملك كل منهم : ٤٨ — ٥٠ . ظهور أردشير مؤسس
الدولة الساسانية : ٥٠ — ٥١ . نسبه الحقيقي ووجه تسميته أردشير
ابن بابك : ٥٠ . استدعاؤه إلى قصر أردوان آخر ملوك الطوائف :
٥١ . تزوجه من محظية أردوان أو ابنته : ٥١ . خروجه على
أردوان واستقلاله بملك فارس : ٥١ .
أسطورة ولادة سابور بن أردشير : ٥٢ — ٥٣ . أسطورة محاربة
سابور للضيزن : ٥٣ — ٥٤ . علاقة سابور بابنة الضيزن : ٥٤ .
ظهور ماني الزنديق في عهد سابور : ٥٤ . اعتناق سابور
مذهب ماني : ٥٥ . مناقشة أحد الموبدان لماني أمام بهرام
ابن هرمز بن سابور : ٥٥ حبس ماني ثم قتله في عهد بهرام : ٥٥ .
أصول مذهب ماني : ٥٦ — ٥٩ .

- مبدأ النور ومبدأ الظلام . نشأتها منفصلين ثم امتزاجهما :
- ٥٦ الفرائض الإحدى عشرة التي فرضها ماني على أتباعه : ٥٧ .
- موقف ماني من اليهود والنصارى : ٥٨ طبقات المانويين : ٥٨ .
- معجزة ماني ٥٨ كتب ماني الستة : ٥٨ — ٥٩ .
- اشتقاق كلمة زنديق : — رأى بيتان وهو الراجح : ٦٠ — ٦١ .
- رأى آخر في هذا الاشتقاق : ٦١ .
- بين الزرادشتية والمانوية : ٦١ — ٦٣ .
- الزرادشتية ديانة مادية روحانية تدعو إلى التناسل والعمل :
- ٦١ — ٦٢ . المانوية روحانية في أساسها تدعو إلى الرهبنة وانقطاع
- التناسل : ٦٢ . الزرادشتية ديانة وطنية استعمارية تغلب عليها
- المادية : أما المانوية فعالمية استسلامية تقشفية : ٦٣ . معارضة المانوية
- لليهودية والمسيحية والإسلام : ٦٣ .
- تاريخ انتشار المانوية : ٦٣ — ٦٦ .
- حالتهم في العهد الساماني : ٦٣ . ظهورهم في عهد الدولة
- الأموية : ٦٤ . كثرته عددهم في عهد الدولة العباسية وإنشاء منصب
- صاحب الزنادقة في عهد الخليفة المهدي : ٦٤ . وصية المهدي لابنه
- موسى في أمر الزنادقة : ٦٤ — ٦٥ . الزنادقة في عهد المقتدر :
- ٥٥ . مارواه ابن النديم عن الجعدي وغيره ممن اتهم بالزندقة من
- المسلمين : ٦٥ — ٦٦ .

قصة مزدك والمزدكية : ٦٦ — ٧٦ .

القول في نشأة المذهب الشيعي بإيران : ٦٦ — ٦٧ . هل
كان هناك مزدكان ؟ ٦٦ — ٦٧ . رأى ابن النديم في ذلك : ٦٦ .
رأى الطبري : ٦٧ . بين الشيوعية المزدكية والشيوعية الأفلاطونية :
٦٨ . ظهور مزدك الثاني في عهد قباد ودخوله في المزدكية : ٦٨ .
تلخيص ابن الأثير لمذهب مزدك : ٦٨ — ٦٩ . ونتائج شيوعه
بين الناس : ٦٩ . خروج العظماء على قباد وخلعه ثم حبسه وتولية
أخيه جاماسب الملك : ٦٩ إخراجهم من السجن وهربه إلى ملك
الهياطلة : ٦٩ — ٧٠ . تزوجه في طريقه إلى هذا الملك : ٧٠ علمه
بولادة ابنه أنو شروان حين عودته وحمل زوجته وابنه معه . ٧٠ .
اعتذار الفرس إليه وإعادته إلى العرش : ٧٠ — ٧٢ . تحقيق
القول في شفاعته أنو شروان لأمه حين هم بها مزدك وبيان ما وقع
فيه ابن الأثير من تناقض في هذا الموضوع : ٧١ — ٧٤ . متى
كان القضاء على مزدك والمزدكية ؟ رأى معظم المؤرخين أن ذلك
كان بعد وفاة قباد : ٧٢ . ورأى نظام الملك أنه كان قبل وفاة قباد :
٧٤ . قصة مذبحة المزدكية كما يرويها نظام الملك : ٧٤ — ٧٦ .
انتقال بعض عقائد مزدك إلى الإسماعيليين وغيرهم من الفرق
الإسلامية : ٧٦

أنو شروان العادل الحكيم : ٧٧ — ٨٢ .

لماذا وصف أنو شروان بأنه عادل ؟ : ٧٧ . تسامحه مع

أرباب الديانات الأخرى : ٧٧ — ٧٨ . استقباله للحكماء السبعة
من أساطين الأفلاطونية الحديثة : ٧٨ . آثار هجرة هؤلاء الحكماء
إلى إيران : ٧٨ — ٧٩ . انتقال التصوف الأفلاطوني إلى التصوف
الإسلامي بوساطة الفرس : ٧٩ . موقف أنوشروان ممن كان
بيلاده من النصاري : ٧٩ — ٨٠ . سلوكه مسلك الشدة مع
الملاحدة الهدامين : ٨٠ . موقفه من ابنه أنوش زاد : ٨٠ — ٨١ .
كتابه إلى خليفته بمدينة طيسفون حين أخبره بخروج ابنه هذا
عليه : ٨١ — ٨٢ . مقارنة التاريخ النبوي بتاريخ الفرس : ٨٢
٢ — اللغة الفهلوية . ٨٣ — ٨٧ .

اشتقاق كلمة فهلوى : ٨٣ . رأى القدماء من جغرافي العرب
في مدلول كلمة فهلة : ٨٣ . إطلاق كلمة فهلوية على اللغة والحروف
الفهلوية : ٨٤ . أصل الخط الفهلوى : ٨٤ . نظام الهزوارش
في اللغة الفهلوية : ٨٤ — ٨٥ . اشتقاق كلمة هزوارش : ٨٥ —
٨٦ . بقاء الخط الفهلوى قرنين بعد الفتح الإسلامي : ٨٦ . اللغة
الفهلوية إحدى اللهجات الإيرانية : ٨٦ . ما يمثل اللغة الفهلوية :
٨٦ — ٨٧ .

٣ — النقوش الفهلوية : ٨٨ — ٨٩ .

تاريخ أقدم النقوش الفهلوية : ٨٨ . بقاء النقود الفارسية
تحت نقوشاً فهلوية إلى عهد عبد الملك بن مروان : ٨٨ . نقشا

أردشير وسابور : ٨٨ . نقوش كهوف سالسيت : ٨٨ — ٨٩ .
نقوش لوحة التوقيعات : ٨٩ .

٤ — الأدب الفهلوى ٩٠ — ٩٧ .

معناه وعصره : ٩٠ — أقدم ما بقي منه : ٩٠ — ٩١ .
أقسامه نقلا عن ويست : (١) ترجمات من نصوص الأستاق
وهي المساة بالزند : ٩١ . معنى زند وپازند : هامش ص ٩١ .
(٢) نصوص فهلوية دينية تشمل : (١) دينكارت :
٩١ — ٩٢ . و (ب) بندهش : ٩٢ . ثم (١) داتستان دينيك :
٩٢ ، و (ب) شكند كومانك ويچار : ٩٢ ، و (ح) ديناي
مينيوى خرد : ٩٢ . و (د) أردده ويراف نامك : ٩٣ . و (هـ)
ما تگان گيسسك أبالش : ٩٣ . و (و) جاماسب نامك : ٩٣ .
و (ز) أندرز خسرو گواتان : ٩٣ . ٣ — نصوص فهلوية في
موضوعات غير دينية : ٩٣ . انقراض كثير منها والسبب في ذلك
٩٣ — ٩٤ . المؤلفات التي تدخل في القسم الثالث : (١) كتاب
قوانين المجتمع الزرادشتي : (٢) ياتسكار زيرران ، و (٣) قصة
خسرو گواتان ، (٤) كارنامك أرتخشير بابكان : ٩٤ . مؤرخو
العرب الذين كانت لهم دراية بالتاريخ والآداب الفارسية : ٩٤ —
٩٥ . بعض المؤلفات الفارسية الحديثة التي تشتمل على معلومات عن

قدماء الفرس وآدابهم . ٩٥ . بقية مؤلفات القسم الثالث وهي :
 (٥) رسالة في مدن إيران . (٦) رسالة في عجائب سجستان .
 (٧) درخت آشوريك . (٨) چترنگ نامه . (٩) رسالة في
 العبارات . (١٠) رسالة في عقد الزواج . (١١) فرهنگ پهلويك :
 ٩٥ . مؤلفات بالفارسية الحديثة في الزرادشتية : (١) زردشت
 نامه . (٢) صدر : ٩٥ . (٣) علماء إسلام . (٤) الروايات .
 (٥) قصة سنجان : ٩٦ . الكلام على كتاب ياتسكارزيران
 أو شاهنامه گشتاسب : ٩٦ . وعن كارنامك أرتخشير بابكان :
 ٩٦ — ٩٧ . تأثر الدقيقى والفردوسى بهما ٩٧ . الفرق بين
 أسلوبهما وأسلوب الشاهنامه : ٩٧ .
 ٥ — الشعر الفهلوى : ٩٨ .

(د) العصر الإسلامى :

١ — فارس فى عصر صدر الإسلام : ١٠٠ — ١٠٢
 أثر الفتح الإسلامى لفارس فى لغة الفرس ودينهم : ١٠٠ .
 تغير العقلية الفارسية : ١٠٠ . أثر عقائدهم وتقاليدهم القديمة فى
 عقائدهم وتقاليدهم الجديدة : ١٠١ . أحوال إيران الداخلية إلى
 ١٥٠ سنة بعد الإسلام . ١٠١ .

٢ — نفوذ الفرس فى الدولة العباسية . ١٠٣ — ١١٠ .

- تغلب الفرس على العرب نتيجة لانتصار المأمون على الأمين :
- ١٠٣ . أثر ذلك في أخلاق العرب ونظام الحكم واقتباس من كتاب الفخرى في هذا الصدد : ١٠٣ — ١٠٤ . مميزات القرن الأول من الخلافة العباسية . (١) من الوجهة السياسية :
- ١٠٤ ، (٢) من الناحية الثقافية ، و (٣) من الناحية الدينية :
- ١٠٥ . انقلاب الأوضاع في عهد المتوكل : ١٠٥ . إنشاء وظيفة وزير واقتباس من كتاب الفخرى في هذا الصدد : ١٠٥ —
- ١٠٦ . شيوع بعض التقاليد الفارسية : ١٠٦ .
- الفرس في طليعة المؤلفين والكتاب والشعراء : ١٠٦ — ١٠٧ .
- اقتباس من مقدمة ابن خلدون في هذا الصدد : ١٠٧ — ١٠٨ .
- كتاب يتيمة الدهر للثعالبي أعظم سجل لشعراء العربية من الفرس : ١٠٨ . نفوذ الفرس لم يضعف من شأن العربية : ١٠٩
- حالة اللغة الفارسية في ذلك العصر : ١٠٩ — ١١٠ .
- ٣ — استقلال الأوطان الفارسية : ١١١ — ١١٢ .
- ابتداء استقلال الأوطان الفارسية في عصر المأمون : الدويلة الطاهرية وأمراؤها : ١١١ ، أمراء الدويلة الصفارية : ١١١
- ١١٢ . أمراء الدويلة السامانية : ١١٢ .

(هـ) نشأة الأدب الفارسي الحديث في عهد

الطاهريين والصفاريين . ١١٤ — ١١٨

١ — الأدب الفارسي الحديث في عهد الطاهريين : ١١٤

— ١١٦ .

حنظلة البادغيسي — محمود وراق الهروي . شعر حنظلة :

١١٤ . قصة احمد بن عبد الله الخجستاني : ١١٤ — ١١٦ .

بيتان من شعر حنظلة يغيران مجرى حياته : ١١٥ — ١١٦ .

ما رواه العوفي من شعر حنظلة : ١١٦ .

٢ — شعراء عهد الصفاريين : ١١٧ — ١١٨ .

أبو سليك الكرگانی — فيروز المشرقي : ١١٧ — ١١٨ .

(و) النهضة الأدبية الفارسية في عهد الدولة

السامانية : ١٢٠ — ٢٠٠

تمهيد : ١٢٠

١ — أبو شكور البلخي : ١٢١ — ١٢٩ .

لم سمي أباشكور؟ ١٢١ — من شعره في وصف الخمر :

١٢١ — ١٢٢ . وفي الحكم : ١٢٢ . وفي الهجران : ١٢٢ .

وفي الغزل ١٢٣ . نقد ترجمة البستي لهذا الغزل : ١٢٣ — ١٢٤ .
الكلام على صعوبة ترجمة الشعر الفارسي إلى شعر عربي :
١٢٤ — ١٢٩ . ترجمة بديع الزمان لثلاثة أبيات فارسية إلى
العربية شعراً ونقدها : ١٢٥ — ١٢٧ . ترجمة أبي القاسم لبيتين
فارسيين إلى العربية شعراً ونقدها : ١٢٧ — ١٢٩ .
٢ — الرودكي : ١٣٠ — ١٤٤ .

منزلته بين شعراء الفرس وآراء شعرائهم فيه . ١٣٠ —
١٣١ . دولتشاه يتحدث عنه وعن سبب تلقيبه بالرودكي : ١٣١ —
١٣٣ . العوفي يتحدث عنه وعن شعره ١٣٢ — ١٣٣ . ما قاله
الرشيدى عنه : ١٣٢ . دفاع النظامى العروضى السمرقندى عنه :
١٣٣ . أسلوب الرودكى والأغراض الشعرية التى قصد إليها :
١٣٤ . ترجمته لكتاب كليله ودمنة شعراً : ١٣٤ . حادثة
تاريخية تظهر فضله . ١٣٥ — ١٣٧ . مختارات من أشعاره
١٣٨ — ١٤٤ . من شعره فى الحمر : ١٣٨ — ١٣٩ — وفى
الغزل : ١٣٩ — ١٤٠ . وفى النصيح بالتغاضى عن هموم الدنيا :
١٤٠ . وفى النفاق : ١٤١ — وفى الاتعاض بحوادث الدهر :
١٤١ . وفى وصف القلم : ١٤١ — ١٤٢ . وفى مدح نصر بن
أحمد السامانى : ١٤٢ . وفى مدح الوزير أبى الطيب الطاهر : ١٤٢ —
١٤٣ . وفى رثاء أبى الحسن المرادى : ١٤٣ . وفى الإلغاز :

١٤٣ . مميزات أسلوبه : ١٤٤

٣ — الدقيق : ١٤٥ — ١٥١ .

بدوّه نظم الشاهنامه — قتله قبل أن يتمها والسبب في قتله :
١٤٥ — ١٤٦ . شهادة العميد أسعد له : ١٤٦ . العوفي يصف
شعره : ١٤٦ . من شعره في مدح الأمير أبي سعيد الجفاني :
١٤٦ — ١٤٧ . وفي مدح الأمير منصور بن نصر بن أحمد
الساماني : ١٤٧ وفي مدح نوح بن منصور بن نوح الساماني :
١٤٧ — ١٤٨ . وفي التغزل : ١٤٨ — ١٤٩ . وفي الخمر .
١٤٩ . وفي وصف قدح من البلور مليء ماء مثلجاً : ١٤٩ —
١٥٠ . وفي مناجاة السحاب والألم لفراق الحبيب : ١٥٠ —
١٥١ . وفي ضرر الإقامة بمكان واحد : ١٥١ .

٤ — الشيخ أبو العباس الفضل بن عباس الربنجي : ١٥٢ .
من شعره يرثي الأمير نصر بن أحمد الساماني ويهني خلفه الأمير
نوح بن منصور وهو من جيد ما قيل في مثل هذا المقام : ١٥٢

٥ — أبو الحسن علي منجيك : ١٥٣

يصف الورد : ١٥٣

٦ — أبو عبد الله محمد بن الحسن البلخي : ١٥٣ — ١٥٤ .
من شعره في مدح عبد الملك بن نوح الساماني : ١٥٣ ، وفي الغزل
الجيد : ١٥٤ .

٧ — منصور بن علي المنطفي الرازي : ١٥٥ — ١٥٦ .
من شعره في مدح صاحب إسماعيل بن عباد : ١٥٥ . وفي
مدح كافي الكفاة : ١٥٥ . وفي مدح شخص بالكرم :
١٥٦ . هذا الشاعر هو ناظم الأبيات الثلاثة التي ترجمها
بديع الزمان إلى العربية شعراً .

٨ — أبو بكر محمد بن علي الخسروي السرخسي الحكيم
١٥٦ — ١٥٩ . بعض أبيات له بالعربية . ١٥٧ . ومن شعره
في الغزل ومدح شمس المعالي قابوس بن وشمكير : ١٥٧ . وفي
مدح كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن عباد : — ١٥٧ — ١٥٨ .
وفي مدح ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور :
١٥٨ — ١٥٩ . وفيما يجب أن يكون عليه الاعتقاد في
الله : ١٥٩

٩ — الشيخ أبو زراعة المعمرى : ١٦٠ — ١٦١ . بينه وبين
الرودگی : ١٦٠ . من شعره في الاعتداد بمواهبه : ١٦٠ — ١٦١ .
١٠ — أبو القاسم زياد بن محمد القمري الجرجاني : ١٦١ —
١٦٢ . من جيد شعره في مدح شمس المعالي قابوس : ١٦١ — ١٦٢ .
١١ — أبو طاهر الطيب بن محمد الخسرواني : ١٦٢ — ١٦٣ .
من شعره في مرض استعصى علاجه : ١٦٢ . وفي الدعوة إلى
القناعة واستنكار الجشع : ١٦٢ — ١٦٣ .

١٢ — أبو المظفر نصر بن محمد الاستغنائى النيسابورى : ١٦٣ .

من جيد شعره فى التغزل : ١٦٣ .

١٣ — أبو عبد الله محمد الجنيدى : ١٦٤ .

بعض أبيات من شعره بالعربية : ١٦٤ . ومن شعره الفارسي

فى الخمر : ١٦٤ .

١٤ — أبو منصور عمارة المروزى : ١٦٥ — ١٦٧ .

من جيد شعره فى الرثاء : ١٦٥ . وفى مدح السلطان محمود

الغزنوى : ١٦٥ . وفى وصف سطح الأرض فى الربيع : ١٦٥ —

١٦٦ . وفى وصف الخمر فى القدح : ١٦٦ . وفى وصف حسناء تقدم

الشراب : ١٦٦ — ١٦٧ . وفى وصف منظر طبيعى : ١٦٧ .

مختارات من أشعار من بقى من شعراء العصر

السامانى : ٦٨ — ١١٧ .

(١) للتركى الإيلاقى فى معنى الصبر والأناة : ١٦٨ .

(٢) وله فى الشجاعة والحكمة . (٣) ولأبى المثل البخارى

فى الشيخوخة : ١٦٨ — ١٦٩ . (٤) ولأبى المؤيد البلخى فى

وصف أصابع حسناء : ١٦٩ . (٥) ولأبى المؤيد الرونقى البخارى

فى مدح أمير خراسان : ١٦٩ . (٦) وله فى وصف النبىذ :

١٦٩ . (٧) وللمعنوى البخارى فى التوكل على الله : ١٧٠ .

صفحة

(٨) وله في حسن المعاملة : ١٧٠ . (٩) وللبخارى النيشابورى
في وصف طرقي معشوق ١٧٠ — ١٧١ . (١٠) وللسپهرى في
وصف السوسن .

أميران من أمراء هذا العصر : ١٧٢ — ١٨٠

(١) الأمير منصور بن نوح السامانى : ١٧٢ — ١٧٤

العوفى يتحدث عن حالة الدولة السامانية في عصره : ١٧٢ .
وعن شجاعته وشاعريته : ١٧٣ . ويذكر شيئاً من شعره في
الشجاعة والحكم : ١٧٣ — ١٧٤ . وفي شكوى الفلك الغدار : ١٧٤ .

(ب) شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى : ١٧٤ — ١٨٠

تمهيد تاريخى عن الدولة الزيارية : ١٧٤ — ١٧٦ . العوفى
يتحدث عن فضل شمس المعالى وماثره : ١٧٦ . أبوربحان البيرونى
يتحدث عن أخلاقه ومنزلته في قومه : ١٧٦ — ١٧٧ . مقدرة
في اللغة العربية : ١٧٧ . أبو منصور الثعالبي يتحدث عن
أخلاقه ويروى بعض أشعاره العربية : ١٧٧ — ١٧٨ .
العوفى يصف شعره ويروى بعض أشعاره الفارسية : ١٧٨ —
١٧٩ . من شعره الفارسى في الشجاعة والكرم : ١٧٨ — ١٧٩ .

وفي الغزل : ١٧٩ .

كيكاوس بن وشمگیر يقتفي أثر أبيه في محبة العلم وقرض

الشعر بالفارسية : ١٨٠ .

٢٠٠ — ١٨١

تعليق و تعقيب :

خصائص الشعر في العصر الساماني : (١) أنه من نوع
المقطعات الشعرية : ١٨١ — ١٨٢ . (٢) توخي السهولة في
الألفاظ والعبارات : ١٨٢ . (٣) استخدام الألفاظ العربية
واصطناع بحور الشعر العربية : ١٨٢ . (٤) ولع الشعراء بالمدح
والوصف وبخاصة وصف الخمر : ١٨٢ . ولع شعراء الفرس بوصف
الخمر وسببه : ١٨٢ — ١٨٣ . نقد رأى من يقولون إن شعراء
العرب أخذوا عن شعراء الفرس الغزل بالذكر . ١٨٣ . سبب
إقبال الشعراء على المدح : ١٨٣ — ١٨٤ . أبواب الشعر الأخرى
التي طرقها شعراء هذا العصر : ١٨٤ .

مظاهر أخرى لنهضة الأدب الفارسي في الدولة السامانية :

١٨٥ — ١٨٦

(١) ترجمة الشعر الفارسي إلى شعر عربي وبالعكس : ١٨٥

(٢) ترجمة كليلة ودمنة إلى الفارسية شعراً . ١٨٥

(٣) ترجمة تاريخ الطبري وتفسيره إلى الفارسية : ١٨٥

(٤) تأليف بعض الكتب بالفارسية مثل : كتاب « الأبنية

عن حقائق الأدوية « وتفسير للقرآن بالفارسية .

الصراع بين الفارسية والعربية : ١٨٧ — ٣٠٠ .

١ — تأثر الشعر العربي باللغة الفارسية : ١٨٧ — ١٩٣

تأثر الفارسية بالعربية : ١٨٧ . مظاهر تأثر الشعر العربي بالفارسية . (١) وجود بعض إشارات لا يفهمها إلا من يعرف الفارسية ١٨٨ — ١٨٩ . التلاعب بالألفاظ : ١٨٩ (٢) الإكثار من ذكر عيى النيروز ، والمهرجان : ١٨٩ — ١٩١ (٣) اتباع بعض الصور الشعرية الأصلية فى الشعر الفارسى كالمثنوى : ١٩١ — ١٩٢ . والرباعى أو الدوبيت : ١٩٢ — ١٩٣ .

٢ — الألفاظ الفارسية الدخيلة فى العربية : ١٩٣ — ٢٠٠

خصائص الكلمات الدخيلة فى العربية : ١٩٣ — ١٩٥ .

(١) هذه الألفاظ قليلة نسبياً : ١٩٣ — ١٩٤ . (٢) هى

أسماء : ١٩٤ . (٣) هى أسماء من أنواع خاصة . ١٩٤ — ١٩٥ .

(٤) منقولة عن شعوب اشتهرت باستعمال مدلولاتها : ١٩٥ .

(٥) تصقل بالصيقل العربى : ١٩٥ . القواعد التى اتبعها العرب فى

تعريب الألفاظ الفارسية : ١٩٥ — ٢٠٠ . (١) قلب هاء

السكت جيمًا . (٢) قلب هذه الهاء قافًا . (٣) قلب الدال والهاء

المتطرفتين ذالا فيما فحيمًا . (٤) قلب الكاف جيمًا . (٥) قلب

هذه الكاف كافًا . (٦) أو قافًا أو غينًا : ١٩٧ . (٧) قلب

البياء الثقيلة فاء أو باء . (٨) قلب الشين سيناً : ١٩٨ . بعض
الكلمات المركبة المأخوذة عن الفارسية ١٩٩ — ٢٠٠ .

٢٠٢ — ٣٠٤

(ز) الدولة الغزنوية :

٢٠٢ — ٢٠٩

١ — تمهيد تاريخي :

نشأة الدولة الغزنوية : ٢٠٢ . حالتها في عهد السلطان
محمود : منزلة هذا السلطان لدى الخلفاء العباسيين — وفضله على
العلماء والأدباء : ٢٠٢ — ٢٠٣ . كبار سلاطين هذه الدولة —
وما آل إليه أمرها من بعدهم : ٢٠٣ — ٢٠٤ . نصان بالفارسية
عن نشأة هذه الدولة وظهور أمرها وسقوطها : ٢٠٤ — ٢٠٥ .
ترجمة هذين النصين إلى العربية : ٢٠٥ — ٢٠٧ . ما رواه
دولتشاه عن ماثر السلطان محمود : ٢٠٧ — ٢٠٩ .

٢١٠ — ٢٢٩ .

٢ — السلطان محمود والفردوسى :

حياة الفردوسى الأولى : ٢١٠ . رحلته إلى غزنة واختبار
الشعراء له . ٢١٠ — ٢١١ . العنصرى يقدم الفردوسى إلى السلطان
محمود : ٢١١ — ٢١٢ . السلطان يختبر الفردوسى ويعجب به
ويكلفه نظم الشاهنامه : ٢١٢ . الفردوسى ينظم الشاهنامه ويقدمها
إلى السلطان بوساطة الأستاذ الميمندى . ٢١٢ . أعداء الأستاذ

يخطون من قدر الشاهنامه لأن فيها ما يدل على أن الفردوسى معتزلى شيعى : ٢١٢ — ٢١٤ . الفردوسى لا يرضى بمكافأة السلطان ويوزعها على شخصين ويفر من غزنة إلى طبرستان وينظم قصيدة فى هجاء السلطان ويعرضها على شهریار أمير طبرستان فيأخذها ويكافئ الفردوسى ويسترضيه : ٢١٤ — ٢١٥ . بعض أبيات من هذه القصيدة : ٢١٥ — ٢١٦ . حادثة تذكر السلطان بالفردوسى فيعطف عليه : ٢١٦ — ٢١٧ . السلطان يأمر بإرسال هدية سنمية إلى الفردوسى : ٢١٧ . وصول الهدية إلى طوس يوم وفاة الفردوسى : ٢١٧ . خاتمة المأساة : ٢١٧ — ٢١٨ .

وصف موجز للشاهنامه : المدة التى قضيت فى نظمها ؛ وأسلوبها وعدد أبياتها وبحرها الشعرى . ٢١٨ — ٢١٩ . ما تضمنه الشاهنامه من أساطير وحوادث تاريخية : ٢١٩ . رفع الفردوسى من شأن الزرادشتية : ٢١٩ . الدول التى دون الفردوسى تاريخها : ٢١٩ — ٢٢٠ . أسطورة أبوة دارا الأول للإسكندر الأكبر : ٢٢٠ . مثالب الشاهنامه ومزايها : ٢٢٠ — ٢٢١ . الكتب التى نسجت على منواله : ٢٢١ . العوفى يصف مقدرة الفردوسى الشعرية : ٢٢٢ — ٢٢٣ . ويرى بعض أشعاره فى مدح السلطان محمود : ٢٢٣ . وفى شكوى الزمان ٢٢٣ —

٢٢٤ . دولتشاه يتحدث عن منزلة الفردوسى الشعرية ويروى
آراء الأدباء فيه : ٢٢٤ — ٢٢٥ . ويقص رؤيا الشيخ أبى
القاسم الجرجانى الخاصة بالفردوسى : ٢٢٥ — ٢٢٦ .
مختارات من الشاهنامه فى مدح السلطان محمود : ٢٢٦ .
وفى تقلبات الدهر : ٢٢٦ — ٢٢٧ . ومن القصيدة التى نظمها
فى هجاء السلطان محمود : ٢٢٧ — ٢٢٨ . وفى الخطاب الذى
كتبه على لسان زال إلى سام : ٢٢٨ — ٢٢٩ .

٣ — العنصرى : ٢٣٠ — ٢٣٨

نشأة ومنزلة فى الدولة الغزنوية : ٢٣٠ . العوفى ودولتشاه
يتحدثان عن شعره ومنزلته بين شعراء هذه الدولة . ٢٣١ .
تلقينه ملك شعراء الدولة : ٢٣٢ . مختارات من شعره فى مدح
السلطان محمود : ٢٣٢ — ٢٣٣ . وفى الصبر والعتاب : ٢٣٤ .
ابتكاره الشعر التجاورى والتمثيل لذلك : ٢٣٤ — ٢٣٨ .

٤ — العسجدى : ٢٣٩ — ٢٤٨

مقدرته الشعرية ووصف العوفى لشعره : ٢٣٩ . ملازمته
السلطان محمود وقصيدته فى مدح السلطان بعد أن حطم صنم
سومنات : ٢٣٩ — ٢٤١ . براعته فى الوصف والتمثيل لذلك

صفحة

بوصفه ناراً : ٢٤١ — ٢٤٢ . وبوصف قلعة : ٢٤٢ . وبوصف
البطيخة والتينة : ٢٤٣ — ٢٤٤ . ومن شعره في الحكم : ٢٤٤
وفي التوبة الزائفة . ٢٤٤ . وفي المدح : ٢٤٥ . وفي وصف
حصان : ٢٤٥ . مهارته في التلاعب بالألفاظ والتمثيل لذلك :
٢٤٥ — ٢٤٧ . ومن شعره يصف سوء حاله وخيبة آماله :
٢٤٧ — ٢٤٨ .

٥ — الفرخي :

٢٤٩ — ٢٦٨

نشأته وشاعريته : ٢٤٩ — ٢٥٠ . قطاع الطريق ينهبون
ماله فيسجل تأثره بذلك في شعره : ٢٥٠ — ٢٥١ . النظامي
العروضي السمرقندي يتحدث عن نشأته الأولى ثم عن سبب شهرته
٢٥١ — ٢٥٢ . رحلته إلى أبي المظفر الجعاني وقصيدته في فن
الشعر : ٢٥٢ — ٢٥٣ . مقابلته للعميد أسعد : ٢٥٤ — ٢٥٥ .
قصيدته المسماة داغگاه : ٢٥٥ — ٢٦٠ . إعجاب أبي المظفر به
ومكافأته له : ٢٦٠ — ٢٦٢ . من شعره في قلة الأصدقاء
الأوفياء : ٢٦٢ — ٢٦٣ . وفي التغزل : ٢٦٣ — ٢٦٤ . وفي
مدح السلطان محمود : ٢٦٤ . وفي التغزل من قصيدة اتحدت فيها
أوائل الأبيات مع أواخرها في اللفظ : ٢٦٤ — ٢٦٦ . وفي
مدح السلطان محمود وهي مناظرة شعرية : ٢٦٦ — ٢٦٧ .
وفي مدح هذا السلطان أيضاً : ٢٦٨ .

٦ — الأسدى الطوسى :

٢٦٨ — ٢٧٧ .

دولتشاه يتحدث عن هذا الشاعر وعلاقته بالفردوسى :

٢٦٨ — ٢٧٠ . هل فى شاهنامه الفردوسى ما هو من نظم

الأسدى ؟ : ٢٧٠ . براعة الأسدى فى نظم المناظرات الشعرية :

٢٧٠ . مناظرته الشعرية بين الليل والنهار : ٢٧١ — ٢٧٧ .

٧ — منوچهرى :

٢٧٨ — ٢٨٦

العوفى يتحدث عن شاعريته وحبه للمظاهر الطبيعية :

٢٧٨ — ٢٧٩ . من جيد شعره فى وصف الشمعة : ٢٧٩ —

٢٨٤ . وفى مدح السلطان يمين الدولة ٢٨٤ . وفى الغزل :

٢٨٥ — ٢٨٦ .

٨ — الغضائرى :

٢٨٧ — ٢٩٢ .

دولتشاه يتحدث عن نشأة هذا الشاعر ومقدرته الشعرية :

٢٨٧ . براعته فى الغلو والإغراق والاستشهاد على ذلك بقصيدة

يمدح فيها السلطان بيمين الدولة : ٢٨٧ — ٢٨٨ . درجات المبالغة

فى عرف بلغاء الفرس : ٢٨٨ — ٢٨٩ . التمثيل للغلو ببيت من

شعر نبيل الزرندى فى بهاء الدين زعيم البايين : ٢٨٩ . وأبيات

من شعر الغضائرى : ٢٨٩ — ٢٩٠ . البايون والبهائيون :

هامش ص : ٢٨٩ من شعر الغضائرى فى الغزل : ٢٩٠ —
٢٩١ . وفى النحر : ٢٩١ . وفى وصف مطرب : ٢٩١ — ٢٩٢ .

٩ — الإمام عبد الرحمن العطار دى : ٢٩٢ — ٢٩٣

من شعره فى مدح السلطان محمود : ٢٩٢ . وفى الغزل : ٢٩٢ —
٢٩٣ . وفى العتاب : ٢٩٣ .

١٠ — رابعة بنت كعب القزدارى : ٢٩٣ — ٢٩٥

تلقبها الذبابة النحاسية والسبب فى ذلك : ٢٩٣ — ٢٩٤ .
من جيد شعرها فى الغزل : ٢٩٤ . وفى العتاب والشكوى :
٢٩٤ — ٢٩٥ . وفى التألم من الفراق : ٢٩٥ .

١١ — الكوكبى المروزى : ٢٩٦ — ٢٩٧

من جيد شعره فى وصف الكأس والنحر : ٢٩٦ . وفى
وردة حمراء لم تتفتح بعد : ٢٩٦ — ٢٩٧ .

١٢ — أبو المنصور عبد الرشيد الهروى : ٢٩٧

من جيد شعره فى مدح أحد الأمراء : ٢٩٧ .

٢٩٧

١٣ — أدب السلطان محمود :

العوفى يتحدث عن اهتمامه بالعلماء والأدباء : ٢٩٨ .
و بيان مقدرته الشعرية والاستشهاد على ذلك برثاء جاريته :
٢٩٨ — ٢٩٩ . و بقطعة نظمها في أواخر حياته يتحسر على
ماضيه ويحقر من شأن الدنيا : ٢٩٩ — ٣٠٠ . قصيدة لبديع
الزمان يمدح بها هذا السلطان : ٣٠٠ — ٣٠١ .

١٤ تعليق وتعقيب في مميزات الشعر في العصر

٣٠٢ — ٣٠٤

الغزنوى :

أهم هذه المميزات : (١) ظهور القصائد الطوال ، (٢) مزيد
الاهتمام بنظم الملاحم والأساطير الوطنية : ٣٠٢ — ٣٠٣ .
(٣) ظهور المناظرات الشعرية ، و (٤) ظهور الملمعات ، (٥) ولع
الشعراء بالدقة في وصف الفواكه وغيرها : ٣٠٣ . قطعتان من
الشعر العربي في وصف الشمعة : ٣٠٣ — ٣٠٤ .
مراجع الكتاب : ٣٠٥ — ٣٠٦ .
جدول الخطأ والصواب : ٣٠٧ — ٣٠٨ .
الفهرس : ٣٠٩ — ٣٣٣ .

[تم طبع كتاب « قصة الأدب الفارسي » في مطبعة لجنة
البيان العربي بالقاهرة يوم الثلاثاء ٨ من رمضان سنة ١٣٧٠
(الموافق ١٢ من يونيه سنة ١٩٥١) . والحمد لله أولاً وآخراً]

سيد محفوظ كامل

المدير الفني للطبعة

891.5109:A13KA:v.1:c.1

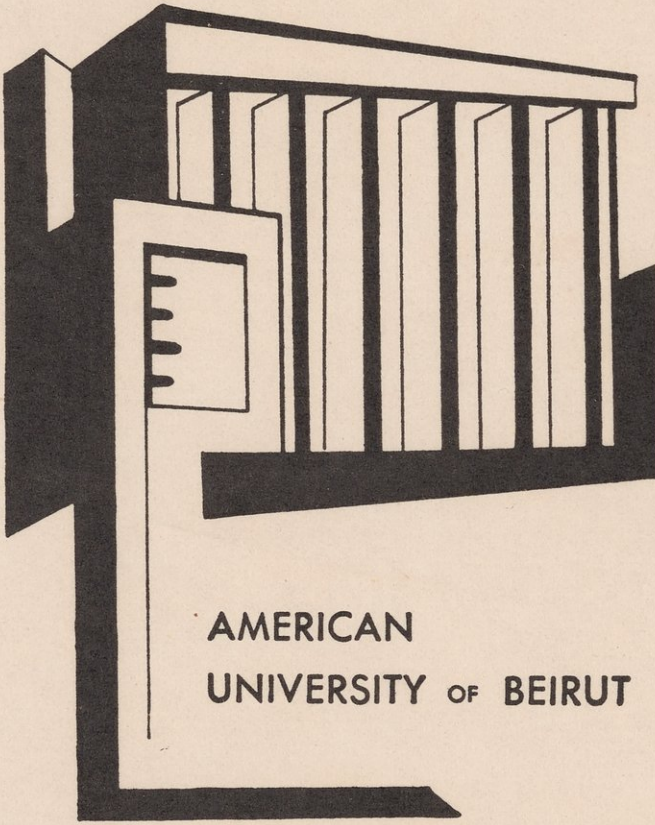
عبد القادر ، حامد

قصة الادب الفارسي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032282



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

